



جامعة غليزان
RELIZANE UNIVERSITY

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غليزان
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

الآليات الإجرائية لمعالجة أمراض الكلام في ضوء النظرية الخليلية

أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه ل.م.د في اللسانيات العربية المقارنة

إشراف: أ. د براهيم بوداود

إعداد الطالب(ة): بوعزة حليلة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
بن شيحة نصيرة	أستاذ	جامعة غليزان	رئيسا
براهيم بوداود	أستاذ	جامعة غليزان	مشرفا مقرا
هامل لخضر	أستاذ محاضرا	جامعة غليزان	مناقشا
هارون مجيد	أستاذ	جامعة شلف	مناقشا
تركي محمد	أستاذ محاضرا	جامعة تيارت	مناقشا
باقل دنيا	أستاذ	جامعة تيارت	مناقشا

السنة الجامعية: 2022م/2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غليزان
كلية الآداب واللغات
نباية العمادة المكلفة بما بعد التدرج
و البحث العلمي و العلاقات الخارجية

إقرار والتزام بالمعايير الأخلاقية والأمانة العلمية

أنا الموقع أدناه الطالب(ة): يسوعزة حليمية
تاريخ ومكان الميلاد: غليزان 1988 م غليزان
التخصص: لسانيات عربية مقارنة

عنوان الأطروحة:

اللسانيات الأخرائية لمعالجة أمراض الكلام في
صحة النظرية الخليلية

أعلن بأني التزمت بقوانين الوزارة الوصية وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة بإعداد الدكتوراه عندما قمت شخصيا بإعداد أطروحتي وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الأطارح العلمية. كما أنني أعلن أن أطروحتي غير منقولة أو مستلة من أطارح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية.

وتأسيسا على ما تقدم فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق المجلس العلمي للكلية أو الجامعة بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن المجلس العلمي للكلية أو الجامعة.

غليزان في: 2021

توقيع الطالب

غليزان في 04 جويلية 2024

رقم القيد: ك. أ. ل. 2024/007

محضر مناقشة أطروحة دكتوراه (الطور الثالث)

طبقا للقرار رقم 191 بتاريخ 16 جويلية 2012 الذي يحدد كفايات تنظيم التكوين في الطور الثالث من أجل الحصول على شهادة الدكتوراه،

في يوم : الأربعاء 03 جويلية 2024 بجامعة غليزان،

ناقشت علنيا طالبة: حليلة بوعزة،

المولودة بتاريخ: 1988/08/26 بغليزان.

أطروحة الدكتوراه الموسومة ب: الآليات الإجرائية لمعالجة أمراض الكلام في ضوء النظرية الخيلية،

أمام لجنة المناقشة المعينة بموجب مقرر نائب مدير جامعة غليزان للتكوين العالي والتكوين المتواصل والشهادات

المؤرخ في: 16 أفريل 2024 تحت رقم 117.

وبعد المناقشة العلنية التي دامت من الساعة إلى
والمداولة القانونية قررت اللجنة منح الطالبة المناقشة درجة الدكتوراه بتقدير

تشكل لجنة المناقشة من:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الإمضاء
01	نصيرة بن شيحة	أستاذ	رئيسا	
02	بوادود ابراهيمي	أستاذ	مشرف مقرا	
03	باقل دنيا	أستاذ	مناقشا	
04	مجيد هارون	أستاذ	مناقشا	
05	أحمد تركي	أستاذ محاضرا	مناقشا	
06	لخضر هامل	أستاذ محاضرا	مناقشا	

مصادقة عميد الكلية

و. أ. مفلح بن حيدر
عميد كلية الآداب واللغات
جامعة غليزان

كلية الآداب واللغات - جامعة غليزان - حي برمادية - 48000 - غليزان

إهداء

إلى نبع الحنان أمي ماممة وإلى
جدتي زهرة إلى والدي رحمه الله وجعل
مثواه الجنة .

إلى كل من كان لي سندا ودعما في انجاز هذا
العمل

شكرو عرفان

أسمى عبارات الشكر والعرفان إلى لجنة تكوين الدكتوراه
لسانيات عربية مناقشة على مجهوداتهم المبذولة.
وأصل شكري و امتناني إلى أستاذي الفاضل بوداود ابراهيمي
الذي كان لي سندا و عوناً والى كل الأساتذة الكرام الذين كان
لهم دور في تكويني العلمي.

مقدمة

مقدمة

مما لا ريب فيه، أنّ التّواصل اللّغوي ظاهرة اجتماعية لازمت الإنسان منذ بدء تواجده فوق البسيطة، وتولّد مقتضى التعبير عن الحاجة لديه، وبروز الضّرورة الملّحة لنقل ما يكتنفه عقله من فكر وتدبير، بغرض ترجمته إلى سلوك معيشي، ضمن علاقة منطقيّة قائمة بين مرسل ومستقبل عبر سياق مشترك؛ حيث تتمثل اللّغة بوصفها أداة ووسيطا ناقلا للمحمولات الدلاليّة التي تؤدي وظيفة التبليغ والتعبير.

وبغض النّظر عن طبيعة وشكل هذا الوسيط، سواء كان رسما مرئيا أو لفظا مسموعا أو إيماء حركيا، فإنّه لا يعدو أن يكون إلّا بناء من الوحدات والعناصر والعلائق التّوافقية المسؤولة عن تحقيق التّواصل بين أفراد المجتمع، عبر خطية المعيار اللّساني الذي يؤديه الجهاز النّحوي، وعبر سلسلة الاختيارات الأدائيّة التي ترهّن إلى فردية الأداء على غرار ما يؤديه الفعل الكلامي في الخطاب المنطوق.

ومن هنا، فإنّ العمليّة التّواصلية التي تنهض في جوهرها على ثنائية الفهم والإفهام لا تعدو أن تكون في حقيقتها، إلّا جملة من التجارب و الأداءات التّلفظية وغير التّلفظية المتسلسلة، تحتكم إلى آلية تجتمع وتتوافق عليها أفراد المجتمع، وأيّ إخلال يلحق بتلك الخطية التّسلسلية، سيكون حتما، سببا مباشرا في إعاقة العمليّات التّواصلية. ومن ثمة، يدفع إلى إحداث اضطراب في عمليتي الإرسال والاستقبال.

ووفق هذا المعطى، فإنّه من البديهي أن تكون أشكال الاضطراب بدلالة اللّغة المستعملة وطبيعتها سواء كانت مكتوبة أم منطوقة، يرتد إلى عوامل عدّة، قد تكون فيزيولوجية أو نفسية أو اجتماعية أو سلوكية مكتسبة عند المرسل أو المستقبل تؤثر على هيئة الرّسالة التّواصلية.

ولئن كان مردّ الاضطرابات التي تعيق تحقيق العمليّة التواصليّة، يعود في أغلبه إلى علل فيزيولوجيّة تلحق بقطبي العمليّة التواصليّة (مرسل/مرسل إليه) يؤدي ذلك إلى تشوّحات أدائيّة في الكلام وصعوبات أكوستيكيّة في استقباله؛ حيث كان الاهتمام بالجانب العضوي المسؤول عن إحداث عمليتي التّلفظ والسّماع، فإنّ الدّراسات الحديثة التي عُيّنت بحقل التّواصل أثبتت أنّ الاشتغال على اضطرابات الكلام قد تترد إلى أسباب و معارف وعلوم أخرى، تتقدمها الدّراسات الاجتماعيّة واللّغويّة اللّسانية.

إنّ الوثبة التي حققتها المدرسة البنيويّة بخاصة في حقل الفونولوجيا، حيث التفتت إلى دراسة الخصائص الفيزيائيّة للصّوت اللّغوي أو الفونيم؛ حيث أدركت الميزات الخلاقية للفونيمات في كافّة الأنظمة اللّسانية، لم تكن اعتباطيّة، فهي أسباب مباشرة في إحداث التشكل البنيوي للّفظة، كما تسهم تلك الفروقات في أداء الوظيفة التعبيريّة للفونيم التي تعدد بمهيئة الصّورة السّميّة وتشكل الصّورة الذهنيّة.

ومن هنا، فقد أيقن "تروبتسكوي Nikolai Troubetskoi 1890م-1938م"

و" جاكبسون Roman Jakobson 1896م-1982م " وغيرهم من رواد المدرسة الوظيفيّة الفونولوجيّة أنّ عمليّة إدراك الملفوظ وإعادة بنائه، هي عملية معقّدة لا يؤدي فيها الجانب الفيزيولوجي إلا دورا جزئيا، ولعلّه الجزء الظاهر من العمليّة، أمّا الجانب الأعقد هو جملة العمليّات المضمرة الداخليّة التي تتم داخل المناطق الخلوويّة الدّماغيّة، وهي عمليات دقيقة ومعقدة، حيث تتحول تلك الأصوات أو الصور إلى إشارات أكوستيكية أو ضوئية يتم تشفيرها وفك شفرتها عبر تلك العمليّات الدّماغيّة.

وفق الممارسة اللّسانية التي قدمتها المدرسة الوظيفية، ندرك بالبداهة أنّ التّشوه الكلامي أو التّلفظي أيّا كان نوعه أو سببه أو طبيعته فإنّه سيحدث تغييرا في شكل وطبيعة الإشارة التي يتلقاها

الدماغ، ومن ثمّ يلحق العُطب والتعطيل عمليتي التشفير وفك التشفير، ومن الطّبيعي أيضا، أن يلحق الإخلال بعملية بناء الصّورة الذهنيّة ومن ثمّة العمليّة التّواصلية بشكل عام.

وعبر هذا التّفريع والتّشكل للعملية الكلاميّة، اكتسب البحث في ظاهرة الأمراض أو الاضطرابات الكلاميّة صفة البراديعم الإبتسمي الذي يتوجّه صوب البحوث التّكاملية التي تؤدي فيها اللّسانيّات صدارة الحضور، بخاصة في عمليّة التأهيل أو التجويد اللّغوي، الذي يُعنى بتهديب وتعديل الكلام بوصفه مادةً للعمليّة التّواصلية.

وعلى الرغم من التّحول الذي أحدثته المدرسة الفونولوجيّة في تعضيد البّحث الأرتطوفونيّ الذي عُني بسؤال اضطراب الكلام، فإنّ المتمحّص في ثنايا المدوّنة اللّغويّة العربيّة يقف على إسهامات قويّة لعلماء البلاغة والخطابة الذين التفتوا إلى ظاهرة العلل الكلاميّة، يتقدّمهم "الجاحظ 155 هـ - 255 هـ" الذي جعل للكلام مراتبا وأنواعا يتصدّره الحسن والمليح وينتهي به إلى الهذر والهجر، وعلى ذات المنوال سار بعض من اللّغويين المحدثين العرب الذين أولوا اهتماما لإشكاليّة اضطراب الكلام في بعده اللّساني اللّغوي، يتصدرهم "عبد الرحمن حاج صالح 1927 م - 1917 م"، بخاصة في أعماله التي عُنيّت بالمقاربات التّراثيّة الحدائيّة لعلوم اللّسان التي جمعها في نظريته الموسومة بالنظرية الخليلية ومن هذا المنطلق جاء عنوان بحثنا موسوماً بـ:

"الآليّات الإجرائيّة لمعالجة أمراض الكلام في ضوء النظرية الخليلية"

فالعنوان بما يحمله من عناصر عبر تشكّله اللّغوي، يرتحن إلى جملة من الحقول المفاهيميّة وإلى نسيج اصطلاحى، يستدعي التّمحيص والإبانة، لترتسم لنا بذلك حدود البحث، وتتكشّف لنا مواطن التقاطع والتداخل مع المصطلحات والمفاهيم التي تُبقي على الغموض وتبتعد بنا عن مسالك البحث الموضوعيّ، ومن ذلك تداخل المصطلحات والمفاهيم اللسانية.

وعبر هذا المآخذ من الاهتمام، انقاد بحثنا إلى ترصد جملة من الأطروحات التي لامست موضوع الأمراض اللغوية عبر عملية مسح للدراسات التي عُنت بالموضوع - التراثية منها والحداثيّة- وذلك قصد الوقوف على ردود شافية ودقيقة بعيدة عن الحس الانطباعي الذاتي، نجملها في الآتي:

- كيف تناولت اللسانيات العربيّة والغربيّة موضوع الاضطرابات الكلاميّة؟
- على ماذا يتوقف عمل اللساني في معالجة الأمراض اللغويّة ؟
- ما الغاية التي ابتغتها النظريّة الخليليّة في تبنّيها مسلك البحث في الحبسة الكلاميّة ؟
- الفرق بين الحبسة الكلاميّة من المنظور التشريحي الفيزيولوجي و البعد اللساني؟
- كيف تعامل الباحث اللغوي الجزائري مع المفاهيم المتعلقة بالاضطرابات الكلامية ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، سعينا إلى رسم خطاطة بحثيّة، نعتد فيها بخطة منهجيّة تضبط موضوع مسالك التقصي، وفق معايير ترهن إلى آليات المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يهتم بوصف الظواهر اللغويّة المرضيّة، أو الاضطرابات التي تلحق النّظام اللساني. وانبت خطة البحث عبر مدخل، ضُمن جملة من المفاهيم اللغوية والاصطلاحية في نحو اللغة، والنظريّة، والكلام، والمرض، وذلك بغرض ضبط الحدود المفاهيميّة عبر طبيعة تمثّلها في حقل الدّراسة.

وقد ارتأينا أن نفرّع البحث إلى ثلاثة فصول نحسب أنّها تكفل لنا مُكنة الإحاطة بأهم النّقاط التي يجب إثارتها ومدارستها؛ حيث خصّصنا الفصل الأوّل الذي وسماه بالنّظرية الخليليّة - من المقترّب المفاهيمي إلى الكشف عن أفق تشكّل النّظرية والمنطلقات التي ارتكزت عليها، وفلسفة تناولها لموضوع اللغة والمناويل المعتمدة في طرحها لجملة المقاربات بين المصطلحات والمفاهيم اللغويّة التّراثية وتمثّلها في المبحث اللساني الحديث.

أما الفصل الثاني فقد عني بموضوع اكتساب اللغة ونموها في ضوء النظريات اللسانية المختلفة، وحاولنا فيه أن نسلط الضوء على ظاهرة نشأة اللغة واكتسابها وتطورها عند الطفل، ومن ثمة سعينا إلى تقديم توصيف مفصّل لموضوعيات حدوث الكلام وكذا كفيّيات تشكل عمليتي حدوث النطق والسمع وكذا البناء الذهني للكلم داخل الدماغ.

وعبر ذات المسلك من التقصي، جاء الفصل الثالث الذي وسمناه ب: إجرائية معالجة الكلام في ضوء النظرية الخليلية، ليتوجّه صوب الكشف عن ماهية ظاهرة اضطرابات الكلام وتجلياتها في الدرس اللساني العربي القديم والحديث، وقد سعينا إلى أن نركز على الأمراض الكلامية التي تلحق بالبنى الصرفية والنحوية للغة، ومن ثمة، الكشف عن الاضطرابات التواصلية التي تتسبب فيها الإخلالات التلغظية، وكيف تناولتها النظرية الخليلية وما هي الطرائق العلاجية والحلول المقترحة لمختلف الاضطرابات اللغوية، كما انتهينا في الأخير إلى خاتمة عرضنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

وفقا للخطة البحثية، تصادف بحثنا كغيره من البحوث جملة من العقبات والعراقيل التي كانت ستغير مسار بحثنا إلى نحو آخر من الموضوعية، حيث أننا لم نتمكن من الالتحاق بمؤسسة الصم والبكم و مزولة حالات مرضية تعاني الحبسة الكلامية و مطاولة تطبيق المعطيات والآليات التشخيصية والعلاجية التي كان بدورها أن تمدنا بنتائج تطبيقية ترتقي ببحثنا إلى مكان آخر.

لا شك أنّ البحث يندرج ضمن المجالات اللسانية التي تتوخى مطاولة الرد على الإشكالات اللغوية ذات البعد التكاملي التي تستثمر في الحقائق العلمية الموضوعية والمفصلية، سعيا منها إلى فك اللبس والتوق إلى سدّ الفجوات والفراغات التي بإمكانها أن تقدّم الحلول اللغوية المناسبة، من خلال الطرائق الأدائية التي يتوخاها الباحث اللساني، بخاصة وأنا سنسلط الضوء على مضامين نظرية حديثة لم تلق العناية الكافية من البحث.

إننا لا نسعى من وراء هذا البحث أن نطاول الكمال، وإنما نتوخى الإجابة عن انشغال مهم راود علماء اللغة منذ الأمد البعيد، وذلك عبر الالتفات إلى المستجد والمستحدث الذي جاءت به نظرية عربية لعالم لساني جزائري فدّ، حاول أن يعالج الكثير من القضايا وأن يفك إشكالات لغوية مركزية برؤية علمية عارفة وواعية.

فإذا كنا قد وُفقنا في مسعانا فمن الله وإذا جانبنا الصواب والمسعى فمن أنفسنا، حسبنا أننا اجتهدنا وبذلنا قصارى ما أوتينا من مكنة علمية وبجته لم نكن لنبليها لولا جهود فريق التكوين في اللسانيات العربية المقارنة يتقدمهم أستاذي الدكتور "إبراهيمي بوداود" الذي لا يمكن أن أنكر أو أنسى فضله ما حييت، كما أصل بالشكر السادة الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على تجشّمهم متاعب القراءة والتصويب والتقويم، لهم مني أسى عبارات الامتنان والشكر.

الطالبة: بوعزة حليلة

غليزان في 20 مارس 2023

مدخل

-اللغة والكلام

-النظرية اللغوية

-الدرس اللغوي

-تشكل النظرية الخليلية موضوعاتها واهتماماتها

-التأهيل اللساني والارطفونيا وعلاج عيوب النطق

مدخل

اللغة في مفهومها العام، ظاهرة اجتماعية فكرية حضارية ووسيلة من وسائل التواصل الإنساني تطورت تساوفا مع التطور العيشي للإنسان؛ حيث كان حضورها على الأرجح عند الأنماط البدائية جملة من الملفوظات البسيطة بساطة البيئة والمحيط، وتساقق تطورها مع تطور أساليب الحياة البشرية، وتُضج الفكر الإنساني، الذي ظل يُناشد مطاولة السيطرة على الطبيعة من خلال تكشف أسرارها وكنهها، والوقوف على حقيقة ظواهرها.

ومن هنا، فقد تعانقت مستويات الأنظمة اللسانية وأشكال الأداءات اللغوية عبر تاريخ الوجود الإنساني مع مستويات الفكر والمعرفة لدى المجتمعات والأقوام، وندلّل لذلك بحفريات الكتابة التي خلّفتها الأقوام الغابرة؛ حيث نلمح بوضوح تفاوت تلك الآثار الترميزية من حضارة إلى أخرى، بتفاوت عراقة الحضارة نفسها بخاصة في منحها الفكرية والمعرفية والعلمية على غرار حضارة بابل والفينيقيين والفراعنة، انتهاء إلى حضارة الإغريق والحضارة العربية الإسلامية.

وعبر هذا المسلك من التعاقب والتطور، أخذ مفهوم اللغة في التغير والتحول، وانتقلت اللغة من مفهومها البسيط باعتباره مجموعة من الأصوات تعبر عن الحاجة التعبيرية وتحدث التواصل، إلى ظاهرة اجتماعية نفسية وفيزيولوجية وفكرية يتجلى من خلالها الوجود الإنساني وحضوره الكينوني، وأضحت بذلك حقلا معرفيا يستدعي الاهتمام والعناية بالبحث والدراسة، لكشف ماهيته وطبيعة حدوته ووظيفته.

ولئن كانت أكثر الدراسات التي عُنت بموضوع اللغة قد نزعت في مستهلها إلى البحث في الملمح الإثني للغة على غرار ما نلنيه عند الهنود، فقد انعطفت البحث بعد ذلك إلى البعد الاجتماعي للغة باعتبارها أداة للتواصل والتبليغ، فسُلط الضوء على أشكال الخطاب والمخاطب والمخاطب، على نحو ما نجده في بحوث الفلاسفة اليونان، ومن ثمة توثبت العناية باللغة إلى مقام أكثر تكاملا ونضجا؛

حيث انتقل البحث في اللغة في حد ذاتها من حيث بعدها التبليغي والتواصلية والديني والخطابي والفكري على غرار ما نجده في الدراسات العربية للغة التي تفرعت وتشعبت إلى فروع وخاذ متعددة انطلقت من توصيف اللغة والتفعيد لها، وانتهت إلى وظيفتها الخطابية والبلاغية.

إن المتأمل في مسالك التفرع والتنوع التي عرفتها الدراسات اللغوية العربية، يقف على الاقتدار الذي أبان عنه علماء اللغة العرب في اشتغالهم على موضوع اللغة، وأنهم لم يصادفوا إشكالا أو سؤالا أو قضية إلا و التفتوا لها و أوفوها حقها من العناية والبحث، وقد كان لهم الفضل في التأسيس وضبط حدود مباحث لغوية هامة على غرار ما قدموه من مستجد في علم الصوت وإمامهم بمفاصل المستوى الصوتي بدءا بخوضهم في دقائق توصيف حدوث الصوت انتهاء إلى عملية الكلام، وتشكل الأنساق التلفظية ضمن مستويات لسانية تحتكم إلى التراتبية المعيارية التي أولها الصوت ومنتهاها النص والخطاب.

لقد تمكّن العرب القدامى من التأسيس لدرس لغوي عربي متعاضد الجوانب، مخلفا لزخم معرفي وتراكم علمي وافر أدى إلى التأسيس لنظام تشافعي بحثي متكامل ومستمر بين كافة الاجتهادات والبحوث التي عُنت باللغة العربية في الموروث العربي والدرس العربي الحديث الذي تأثر بالرافد الغربي؛ حيث تحوّل الاهتمام إلى مسائل أكثر دقة في موضوع اللغة بخاصة مع التحول اللساني البنيوي، في نحو المستويات اللسانية، وأشكال التواصل، والبعد التداولي للغة من خلال الاشتغال على الجانب الاستعمالي والأدائي للغة والكلام؛ حيث برزت الحاجة إلى الالتفات إلى طرائق الكلام وأسئقة حدوثه، انطلاقا من البحوث التأسيسية عند القدامى وصولا إلى المقترحات التي قدمتها التصورات الجديدة والنظريات اللسانية المتجددة، وذلك اعتمادا على مناهج التحليل الوصفي ومقاربات المقارنة.

وعبر هذا المقرب، تشكّلت لدينا فكرة البحث، التي سعينا من خلالها إلى تسليط الضوء على إشكالية الاضطراب اللغوي أو المرض الكلامي، بوصفها ظاهرة قديمة جديدة قدّم لها علماء اللغة

العرب القدامى، وأبانوا عن براعة كبرى في توصيفها والعرض إلى فرضيات تفسيرها والتعليل لها، اعتماداً على فطنتهم وبديهتهم، لنقف على ذات الاهتمام عند إحدى المدارس الغربية ذات التوجه البنيويّ الوظيفيّ التي عُنت بالبعد التّواصليّ للغة؛ حيث أثارت السّؤال نفسه، برؤية أكثر علميّة بالنّظر إلى المكنة المخبريّة والتّكنولوجيّة التي أزالّت اللّبس على الكثير من مواطن الغموض التي تشمل حقيقتها وأسباب حدوثها، وألفينا ذات الاهتمام يشغل بال اللّسانيين العرب من المحدثين الذين انخرطوا في مهمة التّقصي والكشف عن أسباب وعلل هذه الظاهرة مرتكزين في ذلك على ما قدّمه الأوائل من رؤى وتصورات من جانب، ومستثمرين في ما بلغته الدّراسات اللّسانية الغربيّة من جانب آخر، يتقدمهم العالم الباحث "عبد الرّحمن حاج صالح"، من خلال نظريّته الخليليّة .

مفهوم اللّغة:

ورد في لسان العرب: «ولغا في القول يلغي، وبعضهم يقول يلغو ولغي يلغي، لغة في الحديث {من قال يوم الجمعة والإمام يخطب لصاحبه صه} فقد لغا أي تكلم، واللّغة اللّسن هو فُعلت من لغوت أي تكلمت، أصلها لغوة ككرة وقلة وثبة كلها لاماتها واوات، وقيل أصلها لغئي، ولها عوض وجمعها لغئيّ مثل برة وبري في المحكم الجمع لغات ولغون»¹، وورد في الصّحاح أنّ «لغا - يلغو - لغوا، أي قال باطلا يقال لغوت باليمين، واللّغا الصّوت مثل الوعّا، ولغني به: أي لهج به ولغني بالشراب: أكثر منه»²، إنّ الظّاهر من القول وجوب التفريق بين اللّغو واللّغة فاللّغة كلام يقصد به معنى مفيد في حين أنّ اللّغو كلام مهمل دون رؤية وتفكير .

اللّغة في الاصطلاح:

¹ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، ج13، ط2، سنة 2004 م، لبنان، ص 214.

² أبو نصر إسماعيل حماد الجوهري، الصّحاح تاج اللغة وصّحاح العربيّة، دار الحضارة العربيّة، مج 2، بيروت، ص 447.

يرى "ديسوسير **Ferdinand de Saussure 1857م-1913م**" «أنّ اللّغة في جوهرها نظام من الرموز الصّوتية أو مجموعة من الصّور اللفظية التي تخزن في أذهان أفراد الجماعة اللّغوية وتستخدم للتفاهم بين أبناء مجتمع معيّن، ويتلقاها الفرد عن الجماعة التي يعيش معها عن طريق السّماع»¹، فللّغة جانب صوتيّ فيزيائيّ - نفسي وأخر ذهنيّ تصويريّ، غايتها التفاهم وتبادل الثقافات لتشكّل بذلك متتاليّة من العلاقات المنظّمة لتمثيلات الدليل اللّساني المنبثقة من تعالق الدال والمدلول. في حين أنّ كل من " إدوارد ساير **Edward Sapir 1884م-1939م**" و" هاليداي **Michael Halliday 1925م-2018م**" نظر إلى اللّغة من وجهة نظر مغايرة للآخر إذ يرى ساير: « أنّ اللّغة طريقة إنسانيّة بحثة غير غريزيّة لتواصل الأفكار والانفعالات والرغبات بواسطة الرموز المنتجة إنتاجاً إراديّاً»²، يكتسبها الإنسان من خلال تفاعلاتها الداخليّة وانعكاساتها الخارجيّة على المستعمل، تنمو بنموه الذهنيّ والعضويّ. في حين، يراها "هالي" «أنّها نمط اجتماعي منظم يتواصل بها البشر ويتفاعل بها الواحد مع الآخر بواسطة الرّموز الاعتباريّة المسموعة - المنطوقة المعتاد استخدامها»³، المتفق عليها من خلال الجماعة اللّغوية الواحدة .

أمّا اللّغة عند تشومسكي **Noam Chomsky 1928 م**: «فهي مجموعة محدودة أو غير محدودة من الجمل، كل جملة محدودة من حيث الطول وتتركّب من مجموعة محدودة من العناصر»⁴، توجه تشومسكي من خلال تعريفه للّغة إلى النّاحية التركيبيّة المتضمنة لنظرية الكليّة اللّغوية، ونظرية النّحو التوليديّ التحويليّ؛ حيث أثار مسألة التّشكلات البنيويّة الداخليّة للّغة، كما تطرق إلى الخاصيّة البيولوجيّة للّغة بوصفها مكتسبا فطريّاً عند الإنسان.

¹ حاتم صالح الضامن، علم اللّغة، بيت الحكمة، دط، سنة 1989م، بغداد، ص 32 وينظر أيضا محمد محمد داود، العربية وعلم اللّغة الحديث، دار غريب، دط، سنة 2001 م، القاهرة مصر، ص 43.

² جون ليونز، اللّغة وعلم اللّغة، ترجمة وتعليق مصطفى الطوني، دار النهضة العربية، ج1، ط1، سنة 1987، القاهرة، ص 4.

³ جون ليونز، اللّغة وعلم اللّغة، ص6.

⁴ جون ليونز، اللّغة وعلم اللّغة، ص9.

ومن مجمل ما تقدم من تعريفات عند رواد المدارس اللسانية، وعلى الرغم من تعدد وجهات النظر حول تحديد مفهوم علمي وموضوعي للغة، بخاصة من حيث كيفية تشكلها عند الإنسان، هل هي مكتسب فيزيولوجي وفطري يستدعي الصقل والتطويع، أم هي ظاهرة اجتماعية، ترهن إلى المتغيرات الانثروبولوجية والجمعية والحضارية؟ ومن هنا، فإنّ مطلب البحث في اللغة أو في إحدى ظواهرها، يدفع إلى ضرورة الأخذ بكافة الرؤى.

● اللغة من الناحية الفيزيائية:

هي مجموعة التذبذبات و التخلخلات الحاصلة في الوسط المحيط، تلتقطها أذن السامع لتقوم بتفكيكها وترجمتها في المناطق المسؤولة عنها.

● اللغة من الناحية الاجتماعية:

هي مجموعة من الرموز و الإشارات اللغوية و غير اللغوية غايتها الإبلاغ والتواصل وتبادل المعارف في إطار علاقات اجتماعية تفرضها الجماعة اللغوية.

● اللغة من الناحية النفسية:

هي كل العمليات الداخلية المنطقية والسلوكية والنفسية الناتجة عن تجربة، والمنتجة لفعل لغوي. وعلى الرغم من هذا التشكل في تصوّر حقيقة اللغة، فإنّ الرأي الجامع يؤكد أنّ للغة أهمية كبيرة في حياة الفرد والجماعة، وهي ظاهرة تنشأ وتبرز إلى الوجود تساوفا مع وجود الإنسان ذاته منذ لحظة الولادة و يتم اكتسابها بشكل تدريجي، بحسب طبيعة العيش وظروف النمو، وعليه يمكن اعتبار اللغة «ظاهرة بيولوجية اجتماعية ثقافية مكتسبة لاصقة بيولوجية ملازمة للفرد، تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق اختبار معاني مقرّرة في الذهن وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة أن تتفاهم وتتفاعل»¹ و عليه، فإننا نحتفظ بأنّ اللغة في حقيقتها لا تعدو أن تكون إلا تشكلا

¹جون ليونز، اللغة وعلم اللغة، ص 13.

من بعد مادّي فيزيائيّ وبعد اجتماعيّ وآخر نفسيّ، يتراوح حضورها بين الخاصيّة الجمعيّة التي هي النظام اللّساني، والخاصيّة الفردائيّة التي هي الكلام .

في مفهوم الكلام:

لغة:

يقول "الرازي 250هـ-311هـ": «الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير والكلم لا يكون أقلّ من ثلاث كلمات لأنّه جمع كلمة وفيها ثلاث لغات كَلِمَة وكَلِمَة وكَلِمَة والكلمة أيضا القصيدة بطولها والكليم الذي يُكلمك وكلمه تكلمًا وكلامًا»¹، ويراه "ابن سيده 398هـ-458هـ" أنّه «القول والكلمة اللّفظة وجمعها كلم وكلمة ويقول الأصمعي تكلم الرجل وكلمته مكالمته وكلمته تكليما، ويقول صاحب العين لفظت بالشيء ألفظه لفظا»²، يحتل المفهوم اللّغوي للكلام على أنّه الكلام أو القول تارة والمتكلم الذي يؤدي الكلام تارة أخرى .

اصطلاحا:

يدخل الكلام حيز اللّغة باعتباره ظاهرة فرديّة خاصة، تحتاج إلى تدخل جملة من العمليّات النفسيّة والسلوكيّة والعصبية والعضويّة. وهاهنا، نلفي ديسوسير يعرفه بأنّه «استخدام مفرد للّغة»³، ومؤدّى ذلك، أنّه سلوك ومراس يتفرد به كل مستعمل في إطار نظاميّ جامع تؤدّيه الكليّة اللّغوية، فالتفرد هنا لا يعنى إضفاء صفة الاعتباطيّة على الظاهرة الكلاميّة، وإنّما هي جملة الاختلافات والتباينات الأدائيّة والفيزيولوجيّة التي تسم كل متكلم وتفرقه عن الآخر.

¹ محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الحديث، طبع، باب الكاف، سنة 2003م، القاهرة، ص 312.

² أبي الحسن العلي ابن سيده، المخصص، دار الكتب العلميّة، ج2، باب الفصاحة، بيروت لبنان، ص 112.

³ ديديه بورو، اضطرابات اللّغة، منشورات عويدات، ط1، سنة 1997م، بيروت لبنان، ص 13.

فالكلام في حقيقته، «نسق وتشكل نظامي يؤديه تسلسل خطي من الدلالات مرتبة استنادا إلى قاعدة الما-قبل -و الما-بعد) تمتد في الزمن، كل لحظة يملأها دال، هذا التسلسل هو إطار تركيب أو تجاوري»¹، يخضع هذا التسلسل إلى جانب تركيب وجانب اختياري بلاغي، يحتكم البعد الأول إلى المعيارية النحوية والصرفية لنظام اللغة المستعملة، كما يخضع البعد الثاني إلى القدرة الأدائية والإبداعية التي تميز كل فرد متكلم عن آخر، فالكلام بهذا المعنى، لا يعدو إلا أن يكون أداء فرديا يعكس خصوصية الأفراد وقدرتهم على استعمال كفاءتهم اللغوية، ويشتمل على:

أ/ أنساق فردية خاضعة لإرادة المتكلمين

ب/ أفعال فونولوجية إرادية وضرورية لتنفيذ هذه الأنساق

وفي ضوء هذا التوزيع، يجب أن نحتفظ بأن التقاطع الذي تؤدبه اللغة بوصفها نظاما كليًا وظاهرة اجتماعية، والكلام باعتباره سلوك فردي يرتبط بجملة المتغيرات التي تحكم الفعل الإنجازي والأدائي التي تحتكم بدورها إلى القدرات الفيزيولوجية والملكات الذهنية للإنسان المتكلم.

ووفق هذا التفرع الثنائي، كان من الطبيعي أن يشكّل الكلام تقاطعا ابستيميا يتعاقب مع علوم اللغة واللّسان من جانب، ومع علوم أخرى من جانب آخر؛ حيث بدأ الاشتغال عند علماء النفس اللغوي في الظاهرة الكلامية ضمن حقول المبحث الأرففوني الذي يسلط الضوء على أساليب النطق السليم وعلى المتغيرات التي تؤثر في الأداء الكلامي، وذلك عبر الكشف عن جملة الاضطرابات التي تلحق العلل والأمراض والإبانة عن مختلف أنواعها والسعي إلى إيجاد الحلول وطرائق علاجها، وبالمقابل أولى علماء اللغة واللّسان أهمية كبرى للتأسيس لنظرية لغوية توطر لعلاقة هذا التأخر بالجانب الاجتماعي والنظري لتشكيل اللّسان واكتساب اللغة.

الحدود المفاهيمية للنظرية اللغوية:

¹ ديدييه بورو، اضطرابات اللغة، ص 13.

عرف المفهوم الاصطلاحي للفظة النظرية عدّة تحوُّلات تشكّلت في رحاب دلالات أوسع مما كانت عليه سابقاً، وعلى هذا الأساس سنحاول رصد بعض المعاني المعجمية والدلالات التي طرحتها مختلف المعاجم القديمة والحديثة، متتبعين في ذلك مسار التّطورات التي لحقتها اللفظة على مستوى التداول اللسانيّ الغربيّ والعربيّ .

أخذ الجذر الثلاثي (نظر) عدة دلالات تفيد المشاهدة والإبصار فقد ورد في معجم العين "للخليل بن أحمد الفراهيدي 100هـ-173هـ" «نظرت إلى كذا وكذا من نظر العين ونظر القلب»¹، ونقل عنه ابن دريد ت 321هـ في معجم جمهرة اللّغة «و النَّاطِرُ موضع النَّظَرِ مِنَ العَيْنِ»²، وورد أيضاً في معجم الصحاح في اللّغة "لأبي نصر الجوهري ت 393هـ" « والنظر تأمّل الشّيء بالعين... ويقال للعين الناظرة»³، كما ورد على نحو يفيد التأمّل والتدبر والتّفكير والتّقدير عند "أحمد بن فارس 329هـ-395هـ" في قوله: «النون والطاء والراء أصل صحيح ترجع فروعه إلى معنى واحد، وهو تأمّل الشّيء ومعاينته ثم يستعار ويتسع فيه»⁴، وعلى التّحوّ الذي جاء به هذا المصطلح من دلالات مختلفة، قد نبه "ابن منظور 630هـ-711هـ" إلى الاختلاف الحاصل بين النظر إلى والنظر في نحو قوله: «فإذا قلت نظرت إليه لم يكن إلاّ بالعين، وإذا قلت نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكراً فيه وتدبراً بالقلب»⁵.

جاء في معجم المحيط للمعلم "بطرس البستاني 1819م-1883م" أنّ «النظرية مؤنث النظري في الهندسة قضية محتاجة إلى برهان لإثبات صحتها»⁶، وقد ظل المصطلح يتراوح بين دلالات مستوحاة من الفلسفة نتيجة الاحتكاك بالمنطق الأرسطي إلى حين منتصف القرن العشرين تباين

¹ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح مهادري المخزومي و إبراهيم السامرائي، مادة نظر باب الطاء والراء والنون

² أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الأزدي، جمهرة اللّغة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، مادة (ر ظ ن) باب الراء والطاء

³ أبو النصر الجوهري، الصحاح، مادة نظر باب الراء فصل النون

⁴ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللّغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، سنة 1979م، مادة نظر باب

النون والطاء وما يثلثها.

⁵ ابن منظور، لسان العرب، مادة نظر.

⁶ المعلم بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، دط، سنة 1987م، ص 901.

المفهوم الحديث الواسع لمصطلح النظرية اثر ما نلمسه في المعجم الوسيط «النظري يقال أمر نظري: وسائل بحثه الفكر والتخيّل وعلوم نظرية: قل أن تعتمد على التجارب العملية ووسائلها والنظرية: قضية تثبت بالبرهان وفي الفلسفة طائفة من الآراء تفسر بها بعض الوقائع العلمية أو الفنية»¹.

إنّ المتأمل في طبيعة التطور الدلالي للفظ النظرية، عبر منظومة اللسان العربي على النحو الذي جاءت عليه في المعاجم العربية قديما وحديثا، يقف على حقيقة أنّ هذا المصطلح أخذ مؤدى النظام والثوقية التي تؤدبها المقولات المنطقية، عبر المفاهيم والتصورات العقلية والعلمية المنسجمة التي تربط بين المقدمات والنتائج يقول "عبد المالك مرتاض 1935م": «يمكن أن نعد النظرية جهازا صارما جامعا لمفاهيم معرفية أو أداة معرفية لتحديد المفاهيم وتناولها ابتغاء منطقة التفكير وعلمنة الاستنتاج، فتكن النظرية علم تكثير الأشياء بالقياس والتوليد على نحو واحد...إنّها مجموعة من الآراء والأفكار تثبت أمام العقل ببرهان وتكون قابلة لأن تغربل لها القضايا فيقع الاستنتاج بواسطة هذه الغرلة إما أنّها علمية فيتحكم فيها العقل والمنطق وإما أنّها مجرد آراء لا ترمي إلى مستوى التنظير»².

الدرس اللغوي من المعيار إلى النظرية:

أولى الفكر الإنسانيّ عبر كافة الحضارات اهتماما بالغا، بالظاهرة اللغوية، باعتبارها وسيلة للتواصل والتعبير عن الحاجة. ومن ثمة، فقد سعى إلى ضبطها وتهذيبها وذلك بالاهتمام بالأشكال النحوية والفونولوجية التي تنظم ألسنتهم، ولعلنا نستدل هنا، بالبحوث والدراسات التي عرض إليها النحو البانيبي الذي كان يحمل في طياته هدفا جوهريا تعليميا وتطبيقيا، وكذا مباحث اللغة عند الإغريق التي أسست لطبيعة الصوت اللغوي، والكلمة، الخطاب، انتهاء إلى جهود العرب التي جاءت

¹ إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، سنة 2004م، القاهرة مصر، ص 932.

² عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة، ط2، سنة 2010م، الجزائر، ص 38.

جامعة فُغْنيت بسؤال الصّوت والتّحو والشّكل، سعيًا منهم إلى إيجاد المعيار الثابت لللفظ وصناعة القاعدة والمسطرة النّحويّة التي تثبت حسب تصوّرههم كل أنماط القول وأشكاله.

وبالمقابل من هذا، فقد التفتت دراسات أخرى إلى البحث في اللّغة من حيث مظهرها وطبيعتها نشأتها، وكنهها وجوهرها، من ذلك الفكر الإغريقي الذي كان متأثرًا بالفلسفة والميتافيزيقا والبحث في طبيعة الأشياء، فقد خصص حيزًا منها للبحث في أصل اللغات وحقيقتها، من حيث «كونها وليدة العادات والتقاليد أو من صنع الطبيعة»¹، وظل الحال على ما هو عليه حتى القرن الثاني قبل الميلاد وظهور حركة جديدة عُنيّت بإعادة ترجمة التراث الإغريقي وإحياء اللّغة المسيحيّة لدولة روما، والمتصفح لتلك الدّراسات الرومانيّة يُدرك أنّها بقيت حبيسة الفكر الإغريقي ولم تستطع أن تقف على نظريّة شاملة للّغة واكتفت بالوصف وتحليل الأشكال.

غير أنّ الحركة التّرجميّة، عززت من مكانة اللّغة اللّاتينيّة التي أبانت اهتمامًا بموضوع اللّغة بدءًا بالشروحات التي خصّت النّصوص اللّاتينيّة ومن ثمة، التأمّلات الكبرى في النظريّات الإغريقيّة، التي أتت أكلها بظهور مصنّفات مهمة في اللّغة، على غرار كتاب النّحو اللّاتيني لألكسندر ديفي لادي، وفي القرن الثاني عشر ألفت أول رسالة في النّحو عولجت فيها قضايا تركيبية وصوتية وكانت هناك محاولة في اللّهجات الايطاليّة وعدت من الدّراسات القيّمة في هذا المجال، وظلّت الجهود اللّغوية اللّاتينيّة بعيدة عن إنتاج أو اقتراح نظريّة لغوية يُشار إليها.

وعبر ذات المسلك من التعاقب، جاءت جهود العرب في دراسة اللّغة متساوقة مع التنزيل الكريم، حيث تلازمت مع السّعي إلى تدوين القرآن الكريم بغرض حفظه من اللّحن والتّحريف، ولم يكن ليتأتى ذلك إلا عبر التأسيس لمنظومة تقعيديّة ثابتة، وإرساء نظام لغويّ معياريّ عبر كافة المستويات اللّسانية بدءًا بالصّوت فالصّوت ثم التّحو انتهاءً إلى البلاغة والخطاب. وهاهنا، نلني

¹ أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، سنة 2005م، بن عكنون الجزائر، ص 16.

"السيوطي ت 849هـ-911م" يؤكد بأنه « منذ منتصف القرن الثاني الهجري بدأ علماء المسلمين يسجلون الحديث النبوي ويؤلفون في الفقه الإسلامي والتفسير القرآني، وبعد أن تم تدوين هذه العلوم اتجه العلماء وجهة أخرى نحو تسجيل العلوم غير شرعية ومن بينها اللغة والنحو»¹.

ملامح التأسيس لنظرية لغوية عربية تعنى بالنطق وأمراض الكلام:

كانت لجهود الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، الذي عُرف بفظنته ونباهته وفراسته، وبفكره العلمي الرياضي، الأثر البالغ في التأسيس لدرس لغويّ ناضج وواعي، حيث جمعت اهتماماته اللغوية، بين مستويات اللغة من نحو وصرف وقياس وغيرها من القضايا اللغوية «كان غاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس وأول من استخراج العروض وخصّ به أشعار العرب»²، وقد لعبت نظريته دورا هاما في التأسيس لدراسة شاملة وكاملة لمستويات التحليل اللغوي؛ حيث «إنّ دوره في بناء النظرية النحوية يضعه في منزلة بين النحاة لم يبلغها أحد قبله، ولا أحد بعده حتى تلميذه سيبويه فقد كان الفضل الأكبر لسيبويه أنّه جمع واستوعب وسجّل فأما الخلق والابتكار فقد كانا من نصيب الخليل في الأغلب والأعم»³، وكان مصنّفه الموسوم بالعين عملا فارقا؛ حيث استساغه على أساس رياضيّ جمع فيه ألفاظ اللغة العربية مرتبة ترتيبا صوتيا تصاعديّا من أقصى الحلق وصولا إلى الشفتان، وكانت غايته من هذا الكتاب «أن تعرف به العرب في أشعارها وأمثالها ومخاطباتها فلا يشدّ عنه شيء من ذلك فأعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يتدئ التأليف من أ، ب، ت، وهو الألف لأن

¹ أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، ط6، سنة 1988م، القاهرة، ص79.

² أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص37.

³ تمام حسان، الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو-فقه اللغة-البلاغة، عالم الكتب، دط، سنة 2000م، القاهرة مصر، ص257.

الألف حرف معتل فلما فاتته الحرف الأول كره أن يتدئ بالثاني وهو الباء إلا بعد حجة واستقصاء النظر فدبرّ ونظر إلى الحروف كلها وذاقها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق فصير أولها بالابتداء»¹.

وضمن هذا المسلك المعريّ، الذي أنبأ ببروز ملامح التأسيس لنظرية لغوية رائدة، تمكن الخليل بن أحمد أن يُرسي مبادئ المنهج العلميّ العقليّ الذي يعتمد القياس والاستنتاج، كما تمكن من التأسيس لجملة من القواعد اللغوية بخاصة في المستوى الأول، على غرار القاعدة الصوتية الفيزيولوجية التي تجلت في ترتيبه الحروف ووصفها ابتداءها بالعين فجعلها أول الكتاب ثم الأرفع فالأرفع إلى أن بلغ حرف الميم فقد جاء ترتيبه على النحو الآتي: ع ح ه خ غ - ق ك - ج ش ض - ص س ز - ط د ت - ظ ذ ث - ر ل ن - ف ب م - و ا ي ء. وعليه، فإنه لا يُنكر المزية التي أسداها الخليل في التأسيس للنظرية اللغوية إلا جاحد «فقد أبدع في جميع ميادين اللغة والدراسات اللغوية العربية خاصة فنحن مدينون له بجزء كبير مما أثبتته العلماء المسلمون في علم الأصوات والنظام الصوتي العربي وكذلك الفكرة البديعة التي بُني عليها أول معجم أخرج للناس وهي فكرة رياضية محضة سابقة لأوانها كما سنراه (وما يترتب عليها من المفاهيم الرياضية كمفهوم العامل وقسمة التركيب ومفهوم الزمرة الدائرية وغير ذلك»².

ومن بعد الخليل، جاءت جهود "أبو عثمان عمرو بن عمر - الجاحظ-" الذي انتقل بمستوى الدرس اللغوي من التقعيد والتنظير اللساني إلى جملة التأملات التي عنيت بقضيتي الفهم والإفهام وتشكلات الخطاب وأشكال الأداء الكلامي عند الناس، بخاصة في ما جمعه في مصنفه "البيان والتبيين" الذي ضم جملة من المباحث اللغوية التي عالج فيها الجانب الإستعمالي للألفاظ المتروكة والمستحدثة واختلاف دلالاتها من مكان لآخر نحو «يسمى أهل الكوفة الحوك:

¹ الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ص 46.

² عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، موفم للنشر، دط، سنة 2012 م، ص 208.

الباذروج والباذروج بالفارسية والحوك كلمة عربيّة¹. ومن ثمة، نلفيه يعرج إلى تدارس قضية اللفظ والمعنى ومحاولته تحديد العلاقة القائمة بينهما، فالمعاني موجودة في عقول كافة الناس بيد أنّ التقصير يكمن في إيصال حقائق هذه المعاني المراد التعبير عنها فهو يرى بأنّ «المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإتّما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ، و سهولة المخرج وصحة الطبع وجودة السبك»²، فالعلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة اعتباريّة تتجلى في قدرة الناس واختلافهم في طريقة استعمالهم للألفاظ المعبرة عن آرائهم .

وفي ذات المأخذ من البحث، كان من البديهي أن يلتفت الجاحظ إلى المبحث الصوتي عبر تفقيه لمختلف الظواهر الصوتية التي تكتنف الأصوات وصفاتها وتبدلاتها في اللغة العربيّة كما عند الأعاجم. ومن ثمة، نجده يُولي عناية كبرى ببعض العيوب النطقية (الثغّة، التلعثم) وأهميّة جهاز النطق في العمليّة الكلاميّة وأصعب الحروف نطقاً فالصوت عنده « اللفظ والجوهر الذي يقوم بالتقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهوره، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف وحسن الإشارة»³، ومردّه في تقديم هذا التوصيف، هو الوقوف على الحال الطبيعيّ لتشكيل الصوت اللغويّ. ومن ثمة، الوضع العادي والأمثل لأدائها ضمن سلاسل الكلام والخطاب، لتبين له مواطن الاختلاف والتباين عند الأفراد الذين يتفردون بأداء مختلف غير مألوف، بسبب علل أو اضطراب أو مرض عضويّ يلحق بالجهاز النطقيّ، فنلفيه يقدم لنا توصيفاً دقيقاً لهذه العلل والأمراض، من ذلك قوله "وليس اللجلاج والتمتام، والألثغ والفأفاء وذو الحبسة

¹ عمرو بن بحر بن محبوب الكناي الليثي أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، تح عبد السلام محمد هارون، مج 1، ط 7، سنة 1979م، القاهرة مصر، ص 20.

² عمرو بن بحر بن محبوب الكناي الليثي أبو عثمان الجاحظ، الحيوان، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، تح عبد السلام محمد هارون، مج 1، ط 2، سنة 1965م، ص 32.

³ عائشة محمد عثمان ياسمين سعد الموسى، دور الجاحظ في الدرس الصوتي العربي، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 43، العدد 2، سنة 2016 م، ص 842.

والحكمة والرثة وذو اللفف والعجلة، في سبيل الحصر في خطبته، والعي في مناظرة خصومه، كما أنّ سبيل المفحم عند الشعراء، والبكي عند الخطباء خلاف سبيل المسهب الثرثار، الخطل المكثار¹.

وعبر ذات الخطيّة التعاقبيّة لجهود اللّغويين القدامى في التّأسيس لنظريّة لغويّة عُنيّت بسؤال الأداء الكلامي وعيوبه، لا يمكن أن نتغافل عن ما قدّمه أبو "الفتح عثمان بن جني الموصلي في القرن الرابع من الهجرة 322هـ - 392هـ" بخاصّة في ما عرض إليه في باب علم الصّوت وعلم وظائفه؛ حيث اعتبر الفونيتكا - بالتعبير اللّسانيّ الحديث - علما مستقلا بذاته والذي جمعه في مؤلفه سر صناعة الإعراب الذي تناول فيه قضايا صوتيّة تمثلت في وصف حروف الهجاء (صفة ومخرجا) وترتيبها وتصنيفها، والبحث في الظواهر الصوتيّة التي يشكّلها الصّوت داخل الأنساق اللّغويّة من إعلال وإبدال وإدغام ونقل وحذف وقد أشار في مقدّمته إلى «أحوال هذه الحروف في مخرجها ومدارجها وانقسام أصنافها وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوها وصحيحها ومعتلها ومطبقتها ومنفتحها وساكنها ومتحركها وأذكر فوق ما بين الحرف والحركة وأذكر أيضا الحروف التي هي فروع مستحسنة والحروف التي هي فروع مستقبحة والحركات التي هي فروع متولّدة عن الحركات كتولّد الحروف عن الحروف وأذكر أيضا ما كان من الحروف في حال سكونه له مخرج فإذا حُرِّك أفلقتة الحركة وأزالته عن محله في حال سكونه»².

ملاح تشكّل نظريّة لسانيّة عربيّة حديثة عُنيّت بموضوع الأرتفونيا:

إنّ تحديد نشأة الدّرس اللّسانيّ العربيّ الحديث يرتبط ارتباطا وثيقا بالفكر السائد في مطلع القرن العشرين، إذ شكّل هذا التحديد منعرجا جذريا غير مسار التكوين العربيّ الحديث وغربل المفاهيم القديمة التي تشكّلت عبر حقب زمنيّة مختلفة، لأمس التغيير مستويات اللّغة قصد مواكبة التطور وعصرنة الدّراسات العربيّة مع المحافظة على خاصيّة اللّغة العربيّة.

ومن هنا، فقد تأثرت هذه الدّراسات، بالرافد الذي قدّمه المنعطف اللّسانيّ الغربيّ، في بداية القرن العشرين، الذي تفلت من مباحث الفيلولوجيا الواصفة، ومن المناهج التاريخيّة المقارنة، وصّب

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، ص 12 و 13.

² أبي الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، ت حسن هندراوي، دط، دت، ص 4.

اهتمامه على صلب المادة اللغوية عبر آليات المنهج البنوي، التي أكدت على ضرورة الاهتمام بموضوع اللغة في ذاتها.

ولم يكن لهذا التوجه البنوي أن يشد إليه اهتمام الدارسين الغرب، إلا بعد الوثبة المهمة التي حققها علماء براغ Le cercle de Prague يتقدمهم في ذلك "تروبتسكوي Troubetzkoï و رومان جاكسون Roman Jakobson" الذين ركزوا اهتمامهم على أصغر وحدة كلامية وهي الفونيم Phonème؛ حيث أبانوا عن الدور الوظيفي phonologie الذي تؤديه أصغر وحدة صوتية ضمن أنساق اللغة والكلام، كما تطرقوا للفروق الفيزيائية لتلك الوحدات ودورها في تشكّل المنظومة النطقية، وقاد أشار "رومان جاكسون" الذي كان موسوعيا وكانت له اهتمامات بعلم البيولوجيا، إلى إمكانية استغلال هذه الحقائق الصوتية اللسانية واستثمارها في الدرس الأرتوفاوني Ortophonie بغرض علاج الكثير من الأمراض الكلامية والعلل التواصلية على غرار الحبسة الكلامية والتواصلية.

ومن هنا، أخذت عدة تقاطعات إبستيمية ومعرفية تعرف طريقها إلى الدرس اللساني العربي، وبرزت ضمن محاولة دمج جملة من الأصول المعرفية الغربية مع ما يتوافق مع واقع اللغة العربية. ومن ثمة، بدأ السعي إلى تحقيق مقاربات يمكن أن تحدث بين التراث والحداثة على نحو المسلك الذي أخذته بحوث "عبد الرحمن حاج صالح 1927م-2017م" من خلال ما اصطلح بالنظرية الخليلية الحديثة.

النظرية الخليلية¹:

نظرية لسانية حديثة، لوضعها "عبد الرحمن حاج صالح"، جمع فيها بين الأصالة والمعاصرة تشكّلت وفق اجتهادات عديدة لما خلفه القدماء وما حقّقه الحداثة، يقول حاج صالح: «وقد حاولنا منذ ما يقرب من ثلاثين سنة أن نحلّل ما وصل إلينا من تراث فيما يخصّ ميدان اللغة وبخاصّة ما تركه لنا سيبويه وأتباعه ممن ينتمي إلى المدرسة الخليلية وكل ذلك بالنظر في الوقت نفسه فيما توصلت إليه

¹ نظرية أرسى دعائمها عبد الرحمن حاج صالح سنة 1979م اثر مناقشته لرسالة الدكتوراه، بجامعة السربون بباريس عرفت بالنظرية الخليلية نسبة إلى العالم الرياضي اللغوي الخليل بن احمد الفراهيدي.

اللسانيات الغربية، وكانت النتيجة أن تكون مع مرور الزمان فريق من الباحثين المختصين في علوم اللسان بمعناه الحديث يريد أن يواصل ما ابتدأه الخليل وسيبويه ومن تابعهما، لكن بعد التمحيص لما تركوه من الأقوال والتحليلات أي بعد التحليل النقدي الموضوعي لها¹، اتّسمت دراسته لآراء جمهور النّحاة وعلماء اللّغة القدامى بالدّقة والموضوعيّة وإخضاع الأقوال للتحليل والتمحيص، بعيداً عن كل انطباعيّة وذاتيّة وتقليد.

موضوعها:

انبت النظرية الخليلية على أسس تعديدية للفكر اللغوي التراثي وإمكانية تطويع ما يمكن أن يتوافق مع الفكر الحديث (متطلبات الحوسبة اللغوية، والتقنيات الحديثة، ومتطلبات معالجة بعض الأمراض الكلامية) كردة فعل على ما هو كائن اليوم في الدراسات اللسانية التي سارت على خطى المنجز الغربي المطلق، علماً أنّ الكثير من المسائل اللغوية الغربية لا تتوافق مع خصوصية اللغة العربية. وقد أكد **حاج صالح** أنّه يستوجب على الباحث العربي أن يخوض في هذا الاستمداد المعرفي الغربي بفكر واع وعارف، وأن يستثمره في الموروث العربي بما يتوافق مع المستجدات من الرؤى الجديدة، والسعي إلى استغلالها في إثراء الدرس اللغوي العربي، وهذا ما دفعه إلى التأكيد أنّ أغلب «نظريات النحو العرب الأولين تكتسي أهمية كبيرة جداً وهذا لا من حيث إنّها ما تزال ذات قيمة كبيرة من الناحية العلمية، بل من حيث إنّها يمكن أن تُستغل مفاهيمها في الميدان التطبيقي كالعلاج الآلي للنصوص وتركيب الكلام الاصطناعي وعلاج المصابين بالحبسة»².

اهتماماتها:

- تحديث الدرس اللغوي العربي:

تجلت إسهامات "عبد الرحمن حاج صالح" في الدرس اللساني العربي ضمن أعماله التي ارتكزت على الحفاظ على اللغة العربية، وإثراءها وضمّان بقاءها في صورة تجمع بين التراث والحداثة، فهو من دعاة الأصالة اللغوية البعيدة عن التقليد وإعادة القراءة من جديد شرط أن تكون قراءة واعية

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص45 .

² عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص209 .

آنية علمية وعلى هذا الأساس حاول الأستاذ أن «يُبين أنّ التراث العلمي اللغوي الأصيل مما أبدعه الأولون ثري بالأفكار الأصيلة، والمناهج النافعة والتحليلات العميقة وهي لا تقل قيمة عما جاءت به الدراسات الحديثة»¹، أمثال الخليل وسيبويه ومقاربتها مع الدرس اللساني الحديث .

- حوسبة اللغة:

التفت "عبد الرحمن حاج صالح" إلى ضرورة مواكبة البحوث اللسانية الغربية التي تشتغل على المعالجة الآلية للغات TAL وعلى إخضاع اللغات الطبيعية، للغة الحاسوب والشفرة الرقمية، وهي دراسات كانت تستشرف الخطوات الهامة التي كانت تؤديها العلوم عبر مختلف حقولها سعياً إلى مطاولتها ما يسمى الذكاء الاصطناعي، وهنا حاول الدكتور "عبد الرحمن حاج صالح" «إحلال الدراسة التراثية في موقع متميز من المقاربات اللسانية الحاسوبية، لاسيما الخليلية منها، فقد أدرك أنّ ما تركه النحاة العرب الأولون شيء عظيم، ومفيد لاسيما بالنسبة للسانيات الحاسوبية التي تعتمد على الرياضيات والمنطق الرياضي»²، وفي إطار نظريته الكبرى، قدّم حاج صالح تصورات لمشاريع هامة، يتقدمها «مشروع الذخيرة اللغوية العربية، وكذا انطولوجيا اللغة العربية. ومن ثمة، فقد انخرط في محاولة تجاوز مرحلة التردد لمقولات الخليل، والقفز بها على جملة التصورات التحليلية التي أفرزتها اللسانيات الحاسوبية»³.

وقد أعتبر مشروع الذخيرة اللغوية مشروعاً لغوياً قيماً تبناه "عبد الرحمن حاج صالح" اثر انشغاله باستحداث مسار البحث اللغوي التراثي حتى يتوافق ومعطيات العصر، طُرحت فكرة المشروع ضمن المقترحات التي نوقشت في مؤتمر التعريب الذي انعقد بعمان سنة 1986م حاول فيها "عبد الرحمن حاج صالح" إقناع زملائه الباحثين «بأهمية الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي للغة العربية واستثمار الأجهزة الحاسوبية الحالية وإشراك أكبر عدد من المؤسسات العلمية لانجاز المشروع»⁴، خدمة للباحث العربي أينما كان ومنحه إمكانيّة الحصول على معلومات شتى لمجرد اضطلاع على

¹ صالح بلعيد، مقاربات منهجية، دار هومة، دط، سنة 2004م، الجزائر، ص 148 .

² بوداود ابراهيمي، حوسبة اللغة العربية في ضوء المتجدد المعلوماتي، مقال بمجلة جسور، المجلد 5، العدد 1، 2019، ص 20

³ بوداود ابراهيمي، حوسبة اللغة، ص 20.

⁴ عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 395 .

البنك الآلي للغة المتضمن «لأمهات الكتب التراثية الأدبية والعلمية والتقنية وغيرها لإنتاج الفكري العربي المعاصر في أهم صورته بالإضافة إلى العدد الكبير من الخطابات والمحاورات العفوية بالفصحى في شتى الميادين»¹، تحتوي هذه النصوص على المفردات المستعملة حقيقيا قديما وحديثا شعرا ونثرا .

- صناعة المعاجم:

إنّ المعاجم التي تمّ تصنيفها سابقا تشكّلت على أساس بنيتها ونظام ترتيبها للكلمات وعلى هذا الأساس تم تقسيمها، إذ أنّها تعتمد الصيغة الإفرادية، والمفردة بوصفها الوحدة اللغوية التي يسعى المعجم إلى تحديد حدّها الدلالي، غير أنّ "عبد الرحمن حاج صالح" حاول القفز أبعد من هذه الممارسة، والاشتغال على انطولوجيا الكلمات التي تنحو نحو شرح مؤدى الكلمة وبعدها المعنوي في السياق التي وقعت فيه، ومن ثمة فقد دعا ضرورة بناء معاجم عربيّة ترتحن إلى الاستعمال الحقيقي للغة واللجوء إلى الوسائل الحاسوبية لأنّ ذلك «من أصل الأصول في البحوث اللغوية وفي استثمار هذه البحوث لترقية اللغة العربيّة»²، ومن جانب آخر ندد بضرورة اعتماد قواعد المعطيات النصّية كمرجع أساسي في تأليف المعاجم «إذ أنّ الوسائل الحديثة الخاصة بالحاسوب ستمكّن من تدوين النصوص التي يتراءى فيها الاستعمال في كل عصر مما مضى»³، وهذا ما تمّ اقتراحه في مشروعه الذخيرة اللغوية وبناء بنك من المعطيات النصّية للاستعمال الحقيقي للغة قديما وحديثا فإنّ غايته في الفعل المعجمي لا تخلو من رغبته في نشر اللغة العربيّة.

التأهيل اللسانيّ و الأرطفونيا وعلاج عيوب النطق:

في ضوء المنطلقات التي اعتدت بها النظرية الخليليّة، من حيث تأكيدها على ضرورة إحداث التعانق بين التراث والحداثة، ومجانبة القطيعة الاستيمية، فإننا نلفي "عبد الرحمن حاج صالح" قد أسس لنظرية تنهض "على تحليل اللغة بين الجانب الوظيفي من جهة وهو تبليغ الأغراض المتبادلة بين ناطق وسماع، وبين الجانب اللفظي الصوري من جهة أخرى، الذي يشمل اللفظ في ذاته، والتي يمكن

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص396 .

² عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص118 .

³ عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص119 .

الاستفادة منها في ميدان اضطرابات والتواصل، من خلال الاعتماد على مفاهيمها في تفسير الاضطرابات اللغوية"¹.

وفي هذا الصدد، اقترح "عبد الرحمن حاج صالح" تأسيس دراسة تنهض على الحوار المعرفي بين مختلف الميادين، وهو ما دعا إلى تجسيده وتكريسه من خلال فرق بحث تشتغل على التكنولوجيا وعلوم اللسان وعبر التأسيس لأقسام دراسية في نحو قسم التبليغ المنطوق وعلى معالجة عيوب النطق وتقويمه²، ومجالات بحثية تشتغل على التقاطعات الكبرى مع الأرتفونيا وعلاج اضطراب الكلام على غرار تكييف اختبارات أرتفونية لفحص الكفاءات المدرسية. دراسة وتشخيص أمراض الكلام، وتشخيص وعلاج الاضطرابات اللغوية والمعرفية، وهي حقول تشتغل توازياً مع الأرتفونيا وعلم النفس اللغوي، غير أنها تسلط الضوء على الجانب الفونولوجي والصوتي للظواهر الصوتية وعبورها في نحو الإبدال والتقديم والتأخير والحبسة اللغوية والحبسة التواصلية.

وعبر هذا التعدد والتفرع الاستيمى، الذي انتهجه مؤسس النظرية، وعلى الرغم من أن التصورات الكبرى لها لم تبلغ المساعي والغايات التي رامت مطاولتها، من حيث طبيعة الإشكالات الموسوعية ومن حيث الأهداف التي تتوخى تطوير اللغة العربية من حيث هي لغة طبيعة، فقد صارت النظرية العماد النظري اللغوي لعدة دراسات قام بها باحثون من مختلف الآفاق العلمية وخاصة مهندسين في الحاسوبيات وأساتذة في اللغة العربية والإنجليزية وباحثين في أمراض الكلام"³.

¹ نصيرة شوال، دور النظرية الخليلية الحديثة في تفسير بعض اضطرابات اللغة والتواصل، مجلة دراسات لسانية، المجلد 3، ع1، 2019، ص 306.

² - كانت لنا زيارة ميدانية لـ Crstdla الذي ترأس إدارته الأستاذ عبد الرحمن حاج صالح من سنة 1992- إلى 2006 بعد وفاته، يضم مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، على أقسام ووحدات بحثية مهمة في حقل الأرتفونيا واضطرابات اللسانيات على غرار قسم التبليغ المنطوق ومعالجة عيوب الكلام، التحليل الفيزيائي والفيزيولوجي للأصوات العربية والكلام المضطرب، إعداد قواعد بيانات صوتية للكلام العادي والكلام المضطرب، دراسة وتشخيص أمراض الكلام.

³ عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية، موفم للنشر، كراسات المركز (المجلد العدد 4)، ص11.

الفصل الأول

النظرية الخليلية الحديثة – من

المقرب المفاهيمي إلى الأفق

الإجرائي

توطئة:

نشأت وارتسمت معالم الدرس العربي في كنف الاهتمامات الدينية والفلسفية التي سلطت الضوء على لغة الشعر ولغة القرآن الكريم، ودفعت بجمهور النحاة واللغويين إلى التأسيس لمعيارية لغوية ثابتة تنهض على سمت نحو العرب عبر الارتحان إلى جملة المقاربات الوصفية لمدونات العرب المشفوهة والملفوظة من شعر ونثر، وعلى سمت نحو العرب من خلال تقصي أثر منطوقهم ورصد متغيراته اللهجية التي تؤدي دلالات القول وتصنع الخطاب.

إن إسهام علماء اللغة العرب في التأسيس للمحاور الكبرى للقاعدة اللغوية عبر مستوياتها المختلفة، تحقق عبر تعاقب جهود مجموعة من الجهابذة والفضائل الذين خصهم الله بالفطنة وبالذكاء الأملعي؛ حيث انمازت أعمالهم بالدقة والموسوعية، نلّفها تجمع بين الدراسات الصوتية والنحوية والصرفية والبلاغية والدلالية، وجاءت جهودهم منتظمة متشافة ومتدافعة، تضافرت فيها رؤى الشيخ بتلميذه، فأدى ذلك إلى تعزيز معالم الدرس اللغوي، بدءاً بالنحوي أبي الأسود الدؤلي (16 ق هـ - 69 هـ) و الخليل بن أحمد الفراهيدي الذين التفتوا إلى حال المفردة العربية من إعجاب ومعجم ودلالة، ومن بعدهم سيبويه والجاحظ في علوم الصرف والنحو، انتهاء إلى ابن جني (322 هـ - 392 هـ) الذي أرسى معالم الدرس الصوتي والصرفي والنحوي الأكثر اكتمالا ونضجا.

مسالك التأصيل للنظرية الخليلية :

جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي (100 هـ - 173 هـ):

لم تكن الغاية التي توخاها "الخليل" في كتابه "العين" تنشيد دراسة الأصوات في ذاتها، وإنما كان هدفه مطاولة الخصائص التركيبية والفونولوجية لبنية الكلمة العربية، ومع ذلك احتوى مؤلفه على توصيف علمي لمخارج الحروف وصفاتها وشرحه الدلالة المعجمية.

وجاء معجمه تأسيسياً، عُني بتصنيف الألفاظ العربيّة وشرحها، انطلاقاً من رصد مدونة الكلمات العربيّة من الأمصار القرى والقبائل، وقد «استقرت في ذهن عالم العربيّة الأول "الخليل بن أحمد" فكرة المعجم حيث رأى أن يجمع ألفاظ اللّغة العربيّة في مصنف يلمّ شتاتها ويجلو غامضها فأخرج كتابه الرائد معجم "العين" الذي أخذ بيد الصنّاعة المعجميّة العربيّة إلى طريقها الصّحيح وأرسى تقاليد هذه الصنّاعة التي ما لبثت أن تفرّعت مساراتها وتنوّعت ولكنّها جميعاً تلتقي عند هدف سام ونبيل وهو الحفاظ على مادة اللّغة العربيّة لغة القرآن الكريم دستور الإسلام»¹، يقوم المعجم على جمع الألفاظ وضبطها وحصر كلماتها وبيان المستعمل والمهمّل منها بطريقة فريدة لم يسبقه إليها أحد، وقد اتّبعت "الخليل" في ترتيب معجمه منهجاً علمياً خاصاً قائماً على الصّوت لكون اللّغة عبارة عن رموز صّوتية منطوقة محاولاً تدوينها وترتيب ألفاظها على حروف الهجاء حسب مخارج الحروف ترتيباً تصاعدياً من الحلق إلى الشفتين.

اهتدى "الخليل" في أول الكتاب إلى أنّ مدار كلام العرب لا يخرج عن الحروف (ا ب ت ث) إلاّ أنّه «وجد مخرج الكلام كلّّه من الحلق»² بعد تذوقه للحروف كلّها وعزلها عن بنيتها فاهتدى إلى فكرة فتح فاه بالألف ثم يلحقه بالحرف ساكناً وكانت المزية في اختياره الساكن تكمن في كون أن الحركة تغير موضع الحرف وتحركه من مخرجه الذي يخرج منه إذ جعل العين أول الكتاب وجاء تأليفه على النحو الآتي «ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص ز ط د ت / ظ ث ذ ر ل ن / ف ب م / و ا ي / همزة»³ ومن ثم أشار إلى صورة الحروف التي ألفت بها اللّغة العربيّة وعدّها في تسعة وعشرين حرفاً لها أحياء ومدارج وأربعة دونها جوفية هوائية لا حيز لها ولا مدرج وهي الألف والواو الياء والهمزة لا يعترض خروجها أيّ عارض .

¹ كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب، ط1، سنة 2005م، القاهرة، ص335.

² الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج1، ص47.

³ الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ص48.

إنّ معرفة "الخليل" بعلم الرياضيات والموسيقى وعلم العروض، عزّز له مُكنة إدراك أهمية الدرس الصوتي في اللغة العربيّة، ومكّنه من الوقوف على حقيقة أنّ الكلام لا يحدث إلا نتيجة لنشاط تقوم به جملة من الأعضاء المسؤولة عن عملية النطق، فجعل لكل حرف من الحروف موضعا ومدرجا، يبدأ منه؛ ومن ثمة قام بترتيب منظومة الحروف العربيّة ترتيبا تصاعديا من الحلق إلى الشفة « فالعين والحاء والحاء والغين حلقيّة، لأنّ مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان، لأنّ مبدأهما من اللّهاة، والجيم والشين والضاد شجريّة لأنّ مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم، و الصاد والسين والزاي أسليّة لأنّ مبدأها من أسلة اللّسان وهي مستدق طرف اللّسان والطاء والتاء والذال نطعيّة لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى والطاء والذال والتاء لثوية لان مبدأها من اللثة والراء واللام والنون ذلقيّة لأنّ مبدأها من ذلق اللّسان وهو تحديد طرفي ذلق اللّسان والفاء والباء والميم شفويّة، وقال مرة شفهيّة لأنّ مبدأها من الشفة، والياء والواو والألف والهمزة هوائيّة في حيز واحد، لأنّها لا يتعلق بها شيء¹ وهي على هذا النحو ثمانية أحياز: (الحلق، اللهاة الشجر، الأسلّة، النطع، اللثة، الذلق، الشفة، أما الحيز التاسع نسب إليه الحروف الهوائيّة) والحيز عنده الفراغ الذي يشغله الحرف بينما الهاء والهمزة من الحروف التي لا حيز لها ولا مدرج في حين «تُخرج الهمزة عند المحدثين من بين الوترين الصوتيين أي أن الهمزة عندهم حنجريّة، ولم يكن الخليل ولا سيبويه يعرفان شيئا عن الوترين الصوتيين. أما الهاء فهي عند المحدثين صوت حنجري أيضا تُخرج عندما يتخذ الفم الوضع المناسب لنطق حركة كالفتحة مثلا²» إنّ هذا الاختلاف لم يكن تقصيرا من الخليل إنّما يعود إلى التكنولوجيا الحديثة التي استعانت بها الدراسات الحديثة.

انساق "الخليل" في تصنيفه للحروف وتحديد صفاتها نحو منهج وصفي لمخارج الحروف ومن ثم خص الشفتين واللّسان ببعض الحروف دون غيرها؛ إذ يقول: «اعلم أنّ الحروف الذلّق

¹ الخليل بن أحمد الفراهدي، العين، ص 58.

² حلمي خليل، التفكير الصوتي عند الخليل، دار المعرفة الجامعية، ط1، سنة 1988م، الإسكندرية، ص 28.

والشفوية ستة هي: ر ل ن، ف ب م و إنما سميت هذه الحروف دُلُقا لأن الدلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسله اللسان والشفيتين وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذلقية ر ل ن تخرج من ذلك اللسان (من طرف غار الفم) وثلاثة شفوية ف ب م مخرجها من بين الشفتين خاصة¹ وجعل مخرج باقي الحروف بين الغار والطبق والثنايا والحلق ما عدا حروف العلة والهمزة «فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رُقت عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح»²، وبعد هذا التقسيم للأصوات، أخذ "الخليل" ينظر في صفات الحروف وارتأى أن الأصوات يختلف وقعها على الأذن من صوت لآخر واتخذها معيارا لتصنيف أصوات العربية .

ومن ثمة انتقل "الخليل" إلى الاشتغال على مستوى المفردة، حيث اعتد بمنواله الرياضي العلمي في توزيع المفردات عبر أبنيته وأوزانها، فكان تصنيفه لكلام العرب إلى أربعة أصناف وأكد أنّ «ليس للعرب بناء في الأسماء ولا الأفعال أكثر من خمسة أحرف فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم فاعلم أنّها زائدة على البناء وليست من أصل الكلمة»³، نحو الثنائي (قد) الثلاثي (ضرب/عمر) الرباعي (دحرج/عقرب) الخماسي (اقشعر/سفرجل)، تتصرف الكلمات في اللغة العربية على عدة أوجه بنظام التقليلات منها «الثنائي يقع على وجهين نحو قد، دق والكلمة الثلاثية على ستة أوجه وتسمى مسدوسة وهي ضرب /ضبر، برض/ بضر، رضب/ربض والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجها»⁴، والخماسي على مئة وعشرون وجها منها المستعمل وأكثرها مهمل.

¹ الخليل بن أحمد الفراهدي، العين، ص 51.

² الخليل بن أحمد الفراهدي، العين، ص 52.

³ الخليل بن أحمد الفراهدي، العين، ص 49.

⁴ محمد بن مبحوث قرفة زينة، منهج التقليلات الصوتية في الصناعة المعجمية العربية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد 9 العدد 5، سنة 2020، الجزائر، ص 12.

ومن هنا، يصح لنا أن نجزم بأنّ "الخليل" قد أسّس إلى دراسة فونيتيكية وفونولوجية محضة، وذلك في تعامله مع طبيعة الصّوت اللّغوي، وتصنيفه لمخارج الحروف وصفاتها، وبيان خصوصية التصريف العربي المحصور بين الثنائي والحماسي مع الإشارة إلى ما يحتمله الصّوت في تجاوره مع أصوات أخرى داخل التركيب وعلاقة الصّوت بغيره ودراسة القوانين العامة التي تتحكم في علاقاته .

جهود سيبويه (148هـ-180هـ):

تجلّت جهود "سيبويه" في الاشتغال الفونولوجي واللّساني بالتعبير الحديث، في مصنفه الموسوم "بالكتاب" عبر جملة الرؤى و القوانين الصّوتية والصّرفية والدلالية التي تجسدت في مواضيع لامست الجانب الوصفي والتطبيقي للدراسة الفونولوجية للحرف في مستويات عدة، وقد احتوى مصنفه على أبواب هامة عُني فيها بمخارج الحروف وصفاتها وكذا الظواهر الصّوتية التي يؤديها الصّوت في الأنساق الكلامية، في نحو ظاهرة الإدغام والإعلال والإبدال بالإضافة. ومن ثمة، علاقة الصّوت بالقرآن والقراءات، كما حُمل الكتاب بجملة من القضايا اللّغوية التي صاغها على نحو علمي، معتمدا على آراء علماء المنطق والفلاسفة وعلى مذاهب الفرق الكلامية وعلى الحقائق العلمية لطبيعة اللّغة العربيّة، مستفيضا في علمه ومستعينا بعلم شيوخه ومن جاء قبله .

وقد تبلور الفكر الصّوتي عند "سيبويه"، من خلال جهود أستاذه "الخليل"، التي فصل ودقّق فيها، فجعل من المخارج ستة عشر مخرجا بدل العشرة عند "الخليل"، وصنّف الأصوات إلى مستحسن ومستقبح، وإلى أصل وفروع فقسم حروف اللّغة العربيّة إلى اثنتين وأربعين حرفا منها تسع وعشرون عدّها أصولا نحو الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والحاء والكاف والقاف، والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والذال والتاء والصاد والزاي والسين والطاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو¹ وستة فروع مستحسنة يعتد بها في قراءة القرآن والأشعار

¹ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، مكتبة الخانجي، ط3، ج4، سنة 1988م، القاهرة، ص431.

نحو «النون الخفيفة والهمزة التي بين وبين والألف التي تمال إمالة شديدة والشين التي كالجيم والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم»¹ و سبعة أخرى غير مستحسنة «كالكاف التي بين الجيم والكاف، و الجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والصاد الضعيفة، و الصاد التي كالسين، و الطاء التي كالتاء، والطاء التي كالتاء والباء التي كالفاء»²، كما أضاف تقسيما جديدا لأعضاء النطق بمسميات ومصطلحات محدثة عما جاء به "الخليل" فإذا كانت الهمزة والألف عند صاحب العين هوائية لا مخرج لها جاء مخرجها في صنيع سيبويه من أقصى الحلق ومن تم جاء بتقسيمات للسان (أقصى، أسفل، وسط، حافة، منتهى، طرف) والأسنان (أصول الثنايا، فوقها، أطرافها) والشفة والخيشوم ما يقابل التجويف الأنفي عند المحدثين .

وعبر ذات المنوال، فإن ما ذهب إليه "سيبويه" في حقل علوم النحو، فقد كان نتاج تمعن فاحص لبني اللغة العربية، ولطبيعة رصفها وتركيبها، وقد سعى صاحب الكتاب إلى التعليل لجميع الظواهر التي تكتنف طبيعة التلّفظ عند العرب، فاعتد بذلك بالقياس وبالسمع، بالموضع والموقع والعامل والمقام، وكلّها مصطلحات ومفاهيم، التفتت إليها النظرية الخليلية عند "حاج صالح" حديثا، وقد جعل "سيبويه" من الكلم «اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل»³ كما تناول في باب آخر تحت مسمى باب مجاري أواخر الكلم من العربية مجرى أواخر الكلم تجري على ثمانية مجار منها «النصب والجر والرفع والجزم والفتح والضم والكسر والوقف»⁴ وفي نفس السياق، أشار أثناء حديثه عن ضروب الكلام أنّ للعامل تأثير حقيقي في إحداث الحركة والإعراب نحو قوله «إنّما ذكرت لك ثمانية مجار لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل - وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه- وبين ما يبني عليه الحرف بناءً لا يزول عنه لغيره شيء أحدث ذلك فيه من العوامل التي لكل عامل منها ضرب من اللّفظ في الحرف، وذلك الحرف

¹ سيبويه، الكتاب، ج4، ص 432.

² سيبويه، الكتاب، ج4، ص 432.

³ سيبويه، الكتاب، ج1، ص12.

⁴ سيبويه، الكتاب، ج1، ص 13.

حرف الإعراب»¹ ، كما خصّ أبوابا أخرى بالتطرق إلى المسند والمسند إليه والفعل الثلاثي والرباعي المجرد والمزيد وجمع التكسير والتصغير وغيرها من المسائل التي تقفاها النّحاة بعده بالشرح والتبسيط.

وفق ذات المنهج، خاض في مسائل أخرى صرفيّة تضم خصائص أبنية الكلام، فجعل من «القياس ما لم يجيء عن العرب على أبنية ما جاء من كلامهم من الصحيح والمعتل والمضعف والمهموز، وأنها بالإدغام»²، وأشار إلى الميزان الصّرفي وأبنية اللّغة العربيّة من أفعال وأسماء مجردة حروفها أصلية على ثلاثة أقسام (ثلاثيّة، رباعيّة، خماسيّة) لها مقابل في الميزان الصّرفي رمز له النّحويون ب (فعل) لا تقابل هذه الوحدة إلا الأصول الأساسيّة للكلمات الثلاثيّة في البناء اللّغوي نحو :

جَلَسَ ← فَعَلَ، كَرَّمَ ← كَعَلَنَ، حَسِبَ ← فَعَلَ (فعل) للرباعي قِمَطَرَ ← فَعَلَلْ، ← وفي المجرد الخماسي لا يكون إلا اسما زيدت لام ثالثة على حروف الميزان نحو (فعللل) فرزدق /سفرجل/قمطير³. أمّا المزيد فهو ما زيد عن حروفه الأصلية حرفا أو أكثر والزيادة نوعان إما بتضعيف حرف أو أكثر من أحرف الكلمة الأصليّة و إما بزيادة حرف أو أكثر بحروف الزيادة {سألتمونيها}دون تضعيف . واستفاض في المعطى الصّرفي باستظهار القيمة المورفولوجيّة التي تصنعها التغيّرات الصّوتية في تشكّل الدّلالة في كون أنّ البنية العربيّة بنية اشتقاقية نتيجة تغيّرات تحدثها الصوائت والصوامت وينتج عنها وحدات ومفردات معجمية جديدة .

يقول "عبد المالك مرتاض" «ومما لا شك فيه أنّ مصطلح النّحو وما نُسب إليه انضوى تحته من أبواب لسانيّة شتى قد شاع في عهد "سيبويه" شيوعا لأنّه كان كثيرا ما يرد في كتابه تراكيب وجمل دالة على شيوع النّحو»⁴، إنّ الممارسة النّحوية عند "سيبويه" لم تتشكل في رحاب

¹ سيبويه، الكتاب، ج1، ص13.

² خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، مكتبة النهضة، ط1، سنة 1965م، بغداد، ص66.

³ عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، سلسلة الدراسات اللغوية، دط، سنة 1998م، ص47-48.

⁴ عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، سنة 2007م، الجزائر، ص11.

دراسة الكلمة وإعرابها وبنائها فقط، وإنما اشتملت على تدارس المعطى البنائي للكلمة العربية «باشتقاقها وحركتها دون إغفال الدلالة المعنوية لها في جميع أحوالها على ضوء القياس على لغة العرب الموثوق بهم»¹، نقلا وسماعا واستنباطا للأحكام العقلية مما دفع إلى ارتسام الملامح الكبرى للمسطرة النحوية وللنظرية النحوية العربية.

وفي السياق ذاته من التقصي، لم يغفل سيبويه عن التعرض إلى أسئلة البلاغة والخطابة من خلال تطرقه إلى الحديث عن فصول الكلام ولغة الاستعمال التي تدرج على ألسن المتخاطبين، وإلى مناسبة القول لأحوال الكلام ومقاماته والاستقامة والإحالة وهي مسائل من صميم العملية التواصلية، فقسّم الكلام إلى أنواع منها «المستقيم الحسن ومحال، ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب»²، ونجد معظم الأمثلة التي وظّفها تشتمل على جانب حوارى خطابي، على النحو الذي تواصلت وتكلمت وتخطبت به العرب، يتبين ذلك جليا في باب المبدل من المبدل منه نحو «و ذلك قولك مررت برجل حمار، فهو على وجه محال، وعلى وجه حسن فأما المحال فأن تعني أن الرجل حمار، و أمّا الذي يحسُن فهو أن تقول مررت برجل ثم تبدل الحمار مكان الرجل فتقول حمار إمّا أن تكون غلطت أو نسيت فاستدركت وإما أن يبدوا لك أن تضرب عن مرورك بالرجل وتجعل مكانه مرورك بالحمار بعدما كنت أردت غير ذلك»³، ربط "سيبويه" الكلام بأحوال الناس وبالسياق الذي يرد فيه وأولى عناية خاصة بالمتكلم والمخاطب والوظيفة التي يؤديها الكلام وما لهذه العناصر من تأثير على العلاقات النحوية داخل الخطاب .

جهود الجاحظ (159 هـ - 255 هـ):

¹ عوض محمد القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث هجري، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، سنة 1983م، الجزائر، ص 84.

² سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 25.

³ سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 434.

استقر "الجاحظ" في تحديده لمفهوم البيان العربي على الجدلية التي تنهض عليها ثنائية الفهم والإفهام، وعلى علاقة التناسب بين اللفظ بالمعنى، ومن هنا، فقد كانت أكثر جهوده تصب في إرساء مبادئ الخطابة العربية من حيث فصاحتها وجهارتها وبلاغتها، وذلك عبر جملة التأملات التي خصّها بأشكال القول وأحواله، ومن خلال تقفي أثر الظواهر البيانية التي تُجلبه نحو (المجاز/التشبيه/الاستعارة/الكناية).

وجاء حديثه عن البيان من حيث هو الإبانة وإظهار الدلالة الخفية فهو «اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يُفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس ذلك الدليل لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»¹، ومن هنا، فإنّ البيان عند الجاحظ لم يتعلق بجنس ونوع الدلالة، وإنما جعله تحت اسم جامع، لما يمكن التعبير به عما يختلج النفس ويجلي ما يكتنفه الضمير، حتى يدرك السامع حقيقة الكلام ويبلغ مواطن الفهم والإفهام والوصول إلى درجة من الوعي بالحقائق وإدراكها وتمثلها.

وفي سياق آخر، جمع "الجاحظ" بين البيان وحسن اختيار الألفاظ وجزالتها، حتى تتناسب مع المقام أو السياق مع مراعاة تجانس الحروف والكلمات داخل الجمل، ليجعل من البيان سمة تتوقف على «خلو الكلام من العيوب الراجعة إلى الجمع بين الحروف غير المتجانسة، هذا بالإضافة إلى ضرورة مراعاة مبدأ لكل مقام مقال الذي يقتضي اختيار اللفظ المناسب للمعنى المتناغم مع السياق»²، ثم انتقل إلى الكلام عن الدلالة، حين جمع بين البيان وكشف المعاني نحو

¹ الجاحظ، البيان والتبين، ص76.

² محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط9، سنة 2009م، بيروت، ص27/26.

قوله «قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني: المعاني القائمة في صدور العباد المتصوّرة في أذهانهم والمختلجة في نفوسهم مستورة خفية وبعيدة وحشية محجوبة مكنونة وموجودة في معنى معدومة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، وحاجة أخيه وخليطه ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه وإنما تحيا تلك المعاني في ذكركم لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها... وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح كانت الإشارة أبين وأنور كان أنفع وأنجع»¹، إنّ الإفصاح عن الدلالة يتوقف على سلامة النطق وحسن اختيار الألفاظ وعدم تنافرها.

وفي موضع آخر، أولى الجاحظ أهمية كبيرة للمعاني، من ذلك مقولته (المعاني مطروحة في الطريق)، التي لاقت انتقادات واهية تمثلت في انتصار للمعاني على حساب اللفظ، والحقيقة كان كلامه مجرد كناية عن اتساع المعاني لتشمل الوحدات اللغوية وغير اللغوية للتعبير عن المعاني، التي صنفها إلى اللفظ والإشارة والعقدة والخط والنسبة، وقدّم اللفظ وجعل حسن اختياره وسلاسة النطق به وعدم التكلّف فيه، شرطا من شروط البيان. وعلى المبدع أن يتخيّر الألفاظ والأوزان المناسبة للمعاني التي يرغب في الإفصاح عنها وبذلك «فما يقابل المعاني المطروحة في هذه النظرية ليست الألفاظ لأنّها هي الأخرى معنية بالطرح والسقوط، وإنما ما يقابلها السبك والتصوير، يعني التركيب الذي هو تعريف اللّغة في فهم اللّسانيات اليوم»².

ومن هذا المنطلق، أثار "الجرجاني 400هـ-471هـ" قضية النّظم لتوجيه رأي "الجاحظ" وفهمه فهما صحيحا، بخاصة ما تداوله من كلام عن البلاغة؛ إذ يقول «وقال بعضهم، وهو أحسن ما اجتبيناه ودوناه: لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يتسابق معناه لفظه ولفظه

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص90.

² محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، سنة 1998م، الجزائر، ص141.

معناه .فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك»¹، وما صنيع الجاحظ إلا الجمع بين اللفظ والمعنى في صياغة وإنتاج الدلالة .

إنّ المتأمل فيما ذهب إليه "الجاحظ"، يقف على حقيقة الأهمية القصوى التي أولاها للعملية الإفهامية والتواصلية، واستبيان وسائلها وأهدافها، و ما يتكون عنها من أنساق خطابية تشكل من الذات المنتجة والمستقبلة للرسالة الكلامية التي تتغيّا إيصال المعنى وبلوغ المقاصد.

وقد اهتدى "الجاحظ" بوحي منه إلى ضرورة العناية بالعملية التواصلية وبالظاهرة الكلامية وكل ما ترتكز عليه من بنيات لغوية وغير لغوية تؤطرها عناصر التواصل (متكلم، مستمع، رسالة، مقام) في حمل الأفكار وتحقيق المقاصد وبلوغ الفهم والإفهام فهي مناط كل بيان، وهذا ما يسعى إليه كل من القائل والسامع في نظره فالتواصل لا يتحقق إلا في رحاب أقطابه بمتكلم يحترم قصديّة الكلام تبعاً لمقتضيات الوظيفة والمقام ويراعي أحوال المتلقي .

وفق هذا المقترح من التصور ، أشار الجاحظ إلى ما يسمى بقدر المعنى، ومؤداه هو الحد الدلالي الذي لا يجب أن يتجاوزه اللفظ، و«ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، و يوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة في ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يُقسّم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويُقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»²، وهذا ما عُرف بمقتضى الحال، فعلى المتكلم أن يراعي أحوال المستمع وأن يحسن اختيار الألفاظ والمعاني التي تتناسب مع كل حال فإذا لم يقع الكلام في موقعه انصرف عن سبيله وضاع بيانه فمطابقة الكلام لمقتضى الحال شرط من شروط

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص78.

² الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص138.

البلاغة ولا تتحقق بدونه «ومعلوم أنّ الكلام لا يتسابق لفظه ومعناه إلى القلب حتى يقع موقعه، و يصادف الحال التي تناسبه»¹.

جهود الجاحظ في التأسيس للدّرس الأرتفوني:

إنّ اهتمام "الجاحظ" بتصنيفات مراتب الكلم، وأحوال الخطاب، بين المتكلم والسامع، ألزمته إلى أن يلتفت إلى الشّروط التي تُنقص من قيمة الخطاب والتي يتسبب فيها طربي الفعل التواصلي، فكانت دراسة أبي عثمان الجاحظ للبيان، متشعبة ساقته إلى «ترصد جملة من التنوعات اللغوية المعيبة، وكان موضوع عيوب النطق إحداها، خصّص له صفحات تندرج تحت عنوان ذكر الحروف التي تدخلها اللّثغة وما يحضرن منها فعرض أبو عثمان إلى عيوب النطق، وساق لكل منها الشاهد والمثل بل ذكر أسماء وأخبار المصابين بها»².

ومن هنا، فقد فصلّ الجاحظ بين عيوب الكلام الفيسيولوجية التي ترتد إلى عاهة خلقية عند المتلفظ أو السّامع، على نحو ما جاء في تعريفه «للضجم من حيث هو اعوجاج في الفم، والفقم مثله، والرّوق: ركوب السنّ الشفة، وفي الخطباء من كان أشغى، ومن كان أشدق»³. وفيما ذهب إليه من توصيف لعلّة اللّثغة توزيعها على نطق الحروف من ذلك اللّثغة في السين حيث «تكون ثاءً؛ كقولهم لأبي يكسوم: أبي يكتوم، وكما يقولون: بثرة، إذا أرادوا بسرة، وبثم الله، إذا أرادوا بسم الله" واللّثغة التي تعرض لحرف القاف حيث أن"صاحبها يجعل القاف طاءً، فإذا أراد أن يقول: قلت له، قال: طلت له؛ وإذا أراد أن يقول: قال لي، قال: طال لي. وأمّا اللّثغة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله: اعتلّلت: اعتييت، وبدل جمّل: جمّي»⁴.

¹ السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، مكتبة أنجلو المصرية، دط، سنة 2005م، القاهرة، ص 170.

² نور مروش، عيوب النطق عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، سنة 2013م، جامعة قسنطينة، ص 160.

³ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص62-63.

⁴ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص34.

وفي تفصيله في عيوب الأداء الكلامي، نتيجة لكنة أو لحن يقول "الجاحظ": «ثم اعلم أنّ أقبح اللّحن لحن أصحاب التعير والتعيب، والتشديق والتمطيط، والجهورة والتفخيم، وأقبح من ذلك لحن الأعراب النازلين على طرق السّابلة، وبقرّب مجامع الأسواق. ولأهل المدينة ألسن ذليقة، وألفاظ حسنة، وعبارة جيدة، واللّحن في عوامهم فاش، وعلى من لم ينظر في النّحو منهم غالب»¹.

لم يكتف "أبو عثمان" بطرق ظاهر العيوب عند المتكلم فذلك جليّ، وإنما نلّفه طرق الباطن منها أو الخفي، الذي يتعانق مع وظيفة الدماغ، أو كما يسميها هو بألة المنطق، ويؤثر في العمليّة التواصليّة في أولى مراحلها وهي مرحلة التوليد، وهو ذات المبحث الذي أثاره جاكبسون حديثاً، والتفت إليه "عبد الرحمن حاج صالح" في نظريته، وهاهنا، نلّفني أبي عثمان يقول في باب الحبسة: «ويقال في لسانه حُبسة، إذا كان الكلام يثقل عليه، ولم يبلغ حد الفأفاء والتمتام، ويقال في لسانه عُقلة، إذا تعقل عليه الكلام. ويقال في لسانه لكنة، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأوّل، فإذا قالوا في لسانه حُكّلة، فإنّما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق، وعجز أداة اللفظ، حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال»²، يذهب الجاحظ في هذا المقام إلى التفريق بين الحبسة و العقلة واللّكنة و الحكّلة، فهو يرى أنّ الحبسة ثقل يقع على مستوى الكلام و العقلة من التوى لسانه وصعب عليه الكلام أمّا الحُكّلة فهي خلل يقع على مستوى الدّماغ و الجهاز النّطقيّ مما يجعل الكلام مشوها يصعب إدراكه إلا عن طريق الاستدلال إليه.

¹ الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص14.

² الجاحظ، البيان والتبين، ج1 ص56

التنظريات اللسانية العربية:

تشكل النظرية اللسانية العربية :

اللغة ظاهرة من الظواهر الاجتماعية، وظيفتها التواصل، غني بما علماء اللغة والنحو والدين والفلسفة قديما وحديثا، درسوا طبيعتها وتراكيبها والوظائف التي تؤديها داخل المجتمعات، ولعل الحافز الأكبر في هذه الدراسة، تجلّى بعد نزول القرآن الكريم ورغبة المسلمين في تحصى معانيه ومدركاته، والكشف عن حملاته الدلالية، ومن ثمة السعي وراء إظهار مواطن الحجّة والإعجاز فيه بنية وأسلوبا .

لم تكن الدراسة اللغوية العربية في البداية علما قائما بذاته، إنما ضمنت ضمن علوم مختلفة كعلم التفسير وعلم الحديث والفلسفة والمنطق وغيرها من العلوم التي اعتبرت اللغة وسيلة تفضي إلى غايات الفهم وإحداث التبليغ، وتفسير سمّت نحو العرب من القول والخطاب .

بدأ علم اللغة العربية من خلال تدوين المفردات وجمعها، في مؤلفات عديدة تمثلت «في رسائل تجمع المفردات اللغوية المتعلقة بموضوع واحد مثل كُتب :خلق الإنسان والخيال والإبل والنبات والشجر نجد هذا في أخبار الأصمعي وأبي زيد وقطرب وغيرهم و إلى جانب هذه الرسائل الخاصة نجد كُتبا في غريب القرآن وغريب الحديث وفي نوادر اللغة لهؤلاء اللغويين أنفسهم»¹، وكانت هذه المؤلفات بمثابة اللبّات الأولى في نشأة المعاجم العربية والدراسات النحوية والصوتية والبلاغية وعلى هذا الأساس تجلّت معالم الدراسات اللسانية العربية مع ظهور جملة من الدراسات والنظريات التي اعتبرت اللغة غاية ووسيلة وجب دراستها دراسة علمية تؤول إلى إدراك كيان اللغة العربية ومهامها بتدريس أصواتها وتراكيبها ووحداها ونحوها وصرّفها.

¹ محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، ط2، سنة 2005م، بيروت، ص24-25.

النظرية الشمولية للسكاكي (555هـ - 626هـ) :

تأسست هذه النظرية على يد "سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي الخوارزمي الحنفي الأديب الشهير بالسكاكي المولود ب 555هـ والمتوفى سنة 626هـ، ولد بخوارزم وتوفي فيها"¹، اتبع المذهب الحنفي أجاد في علوم شتى كالنحو والصرف وعلم المعاني والبيان وحتى علوم الدين إذ يذكر أبو حيان في الارتشاف أنه «كان علامة بارعا في فنون شتى المعاني والبيان وله كتاب مفتاح العلوم، فيه اثنا عشر علما من العربية ثم رأيت ترجمته بخط الشيخ سراج الدين بن البلقيني، فقال يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي أبو يعقوب السكاكي سراج الدين الخوارزمي إمام في النحو والتصريف والمعاني والبيان والاستدلال والعروض والشعر وله النصيب الوافر في علم الكلام وسائر الفنون، ومن رأى مُصنفة علم تبخره ونبله وفضله»².

عُرف مصنفه "مفتاح العلوم" بقوة الحجّة، وجمعه مشارب العلوم، باختلاف مناهج وطرائق تناولها، فنُلفيه يجمع بين العقل والمنطق والتجريب والوصف، وينهل من الفلسفة، وأصول الفقه، والنحو والصرف، فقسم كتابه إلى ثلاثة أقسام عرض فيها إلى فروع علم اللغة الصرف والنحو والمعاني والبيان، اتبع منهجا علميا خوّله أن يكون من علماء البلاغة شأنه شأن "سيبويه" في النحو .

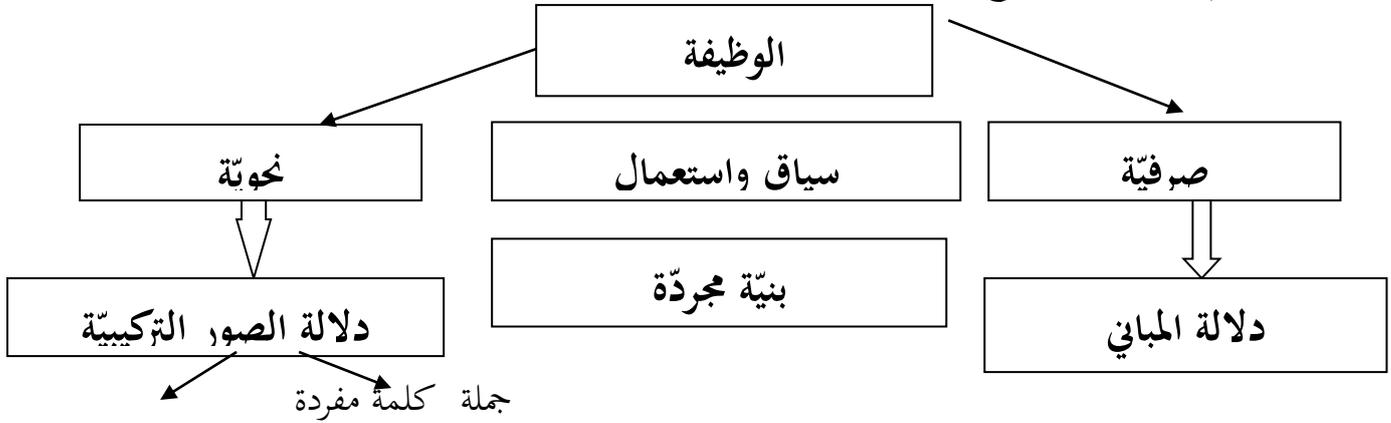
عُني بالجانب الوصفي للغة، مبرزاً الأثر الوظيفي الذي تقتضيه العناصر اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية داخل الأنساق الكلامية، وعلى هذا النحو تضمن كتابه جملة من الموضوعات خص بها علم المعاني كالجملية الخبرية والمسند والمسند إليه والفصل والوصل والإيجاز والإطناب، وما انفك من المعاني حتى انتقل إلى علم البيان متحدثا عن الاستعارة والكناية والتشبيه

¹ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هنداوي، دط، سنة 1994م، القاهرة، ص81.

² جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ج2، ص364.

والجواز أما في علم الصّرف لم يخرج عن الحديث عن مخارج الحروف وصفاتها، ويعود له السبق في أنّه أوّل من أبان بخطاطة توضيحية موقعيّات نطق الحرف العربي.

وفي ذات الصّد، نجده يجعل من الوظيفة النّحوية «المعنى المحصّل من استخدام الألفاظ أو الصّورة الكلاميّة في الجملة المكتوبة أو المنطوقة على مستوى التحليل التركيبي»¹، والمقصود من هذا المفهوم هو ما يمكن أن تتوخاه المفردة داخل التركيب الكلامي أما الوظائف الصّرفية فهي تلك المعاني التي تشغلها أبنية التقسيم في الكلام العربي و ما يميز كل تقسيم عن آخر فالفعل ليس كالاسم والحرف وسنوضح ذلك في المخطط الآتي²:



ونخلص من الخطاطة إلى أن الوظيفة على المستوى النّحوي تعني بالمعاني المتوخاة من متغيرات نحويّة وثوابت صّرفية نحو تحديد مميزات الأبنية اللّغوية وتحديد الوظائف التي تعطيها هذه المباني داخل الكلام حسب السياق .

النّظرية النّظمية عبد القاهر الجرجاني(400 هـ - 471 هـ):

¹ فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، دط، سنة 1977م، القاهرة ، ص203.

² فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، ص209.

تشكلت معالم النظرية الجرجانية في فلك سؤال النظم وتوحي معاني النحو في الكلم ومن هنا، استطاع الجرجاني أن يزوج بين علم البلاغة وعلم والنحو في نظرية لامست الجانب البياني للإعجاز القرآني، التي عُدت امتدادا للنظرية التبيينية التي تبناها الجاحظ .

و انبت فكرة النظرية عند "الجرجاني" من خلال استكناه معالم الإعجاز في القرآن الكريم التي جلتها خصوصية نظمه، وحسن سبكه، ورففه، وفراة ترتيبه وتأليفه. وقد خصّ الجرجاني مُصنّف دلائل الإعجاز بقضية النظم وعلاقته بالإعجاز القرآني في ثنايا بحثه التي كانت تؤول إلى استظهار الخصوصية الإبداعية التي يحددها النظم في كتاب الله العزيز مبينا ضرورة الاحتكام إلى قوانين النحو وضوابط البلاغة .

ومن هذا المنطلق، تشكل تصور النظم عنده نحو «و اعلم أنّ ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تُخل بشيء منها، وذلك أنّا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه»¹، فالنحو عند الجرجاني يكمن في توحي معانيه وقوانينه التي مفادها تنظيم الكلام وصياغته وتشكّل البيان على الصورة التي تقتضيها اللغة العربية .

وفي موضع آخر، جمع "الجرجاني" بين معاني النحو والأغراض والمعاني، التي تُوجد الكلام «وإذ قد عرفت أن مدار النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ونهاية لا تجد لها ازدياد بعدها، ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها، ومن حيث هي على الإطلاق ولكن تعرض بسبب المعاني

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمد التنجي، دار الكتاب العربي، ط2، سنة 1997م، بيروت، ص77.

والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض»¹.

إنّ المتصفح لمتون دلائل الإعجاز، يلقى علاقة وطيدة خصها الجرجاني بالنظم والإعجاز القرآني من البحث في دعائم الإعجاز ومرتكزاته، حيث نجده يؤكد أنّ الإعجاز بحسبه كامن في نظمه نحو قوله «فان ثبت الآن أنّ لا شك ولا مرية في أنّ ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم، ثبت من ذلك أنّ طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذ هو لم يطلبه في معاني الكلم وأحكامه ووجوهه وفروقه ولم يعلم أنّها معدنه و معانه وموضعه ومكانه، وأنه لا مستنبط له سواها، وأنّ لا وجه لطلبه فيما عداها غارّ نفسه بالكاذب من الطمع ومسلم لها إلى الخدع وأنّه إن أبي أن يكون فيها كان قد أبي أن يكون القرآن معجزاً بنظمه، و لزمه أن يثبت شيئاً آخر معجزاً به»² فالإعجاز جوهره النظم، وممكن النظم في توخي معاني النحو وتكشف العلاقات التي تربط مفردات الجملة ببعضها ببعض .

الغاية التي طاولها "الجرجاني" من خلال نظريته مفادها التفريق بين نظم الكلم ونظم الحروف، وفي سياق آخر التفريق بين اللغة والكلام «والفائدة في معرفة هذا الفرق أنك إذا عرفت أنّ ليس الغرض بنظم الكلم، أن توالى ألفاظها في النطق، بل تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل، وكيف يتصور أن يقصد به إلى توالي الألفاظ في النطق بعد أن ثبت أنه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض»³، ذلك نحو أنّ «نظم الحروف تواليها في النطق وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتضى في ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه فلو أن واضع اللغة كان قد قال ربح مكان ضرب لما كان في ذلك

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 87.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 525.

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 49.

ما يؤدي إلى فساده»¹، والأمر مختلف كلياً في نظم الكلم، فهي توجب المتكلم تقفي آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتب المعاني في النفس .

ارتأى "الجرجاني" أن يولي معاني النحو اهتماماً كبيراً لما له من مزية في الإعجاز وليس المقصود هاهنا، الإعراب فالإعراب مشترك بين العرب، وإنما إدراك الوصف الموجب للإعراب الذي يُستنبط بالفكر بحدة ذهن وقوة خاطر والدليل على ذلك نحو «إذا عد الوجوه التي تظهر بها المزية، أن يعد فيها الإعراب وذلك أنّ العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلهم وليس هو مما يُستنبط بالفكر ويُستعان عليها بالرؤية فليس أحدهم، بأن إعراب الفاعل الرّفْع، أو المفعول النَّصْب، والمضاف إليه الجرّ بأعلم من غيره ، ولا ذاك مما يحتاجون فيه إلى حدة ذهن وقوة الخاطر، إنّما الذي تقع الحاجة فيه إلى ذلك العلم بما يوجب الفاعلية للشيء إذ كان إيجابها من طريق المجاز كقوله تعالى فما رجحت تجارهم وليس يكون هذا علماً بالإعراب ولكن بالوصف الموجب للإعراب»²، الذي يتجلى من خلاله الاستعمال الفعلي لقواعد الإعراب .

يجمع "الجرجاني" النظم في علاقة وطيدة بين النحو والبلاغة، حين يستطيع الناظم أن يربط بين المعاني النحوية والدلالات العقلية لمعاني الكلمات ومن هذا المنطلق تم اعتبار البلاغة روح النحو تصنع أحواله وأغراضه ولا مزية له بعيداً عن علم البلاغة ولا يحسن التأليف إلا بحسن الاختيار وتلاءم الكلام والصنعة في البناء نحو «واعلم أنّ مما هو أصل في أن يدقّ النظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحداً وأن يكون حالك

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 49.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 395.

فيها حال الباني، يضع يمينه هاهنا في حال ما يضع يساره هناك، نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين»¹، في سبك يجمع بين القواعد وجمال التأليف وحسن الانتقاء .

النظرية الاجتماعية والارتقائية ابن خلدون (732هـ - 808هـ):

نظرية أرسى دعائمها "عبد الرحمن ابن خلدون"، مؤسس علم الاجتماع، من خلال مقدمته²، التي عُني فيها بحقيقة المجتمعات البشرية وقوانين عيشها وتعايشها، التي تنهض على أنظمة محددة فإذا ما أدركها المرء وفهمها واستوعبها استطاع أن يدرك حاضره ومستقبله.

تستند دراسة "ابن خلدون"، على الواقع الاجتماعي والبحث في الظواهر والعلاقات التي يتأسس عليها المجتمع، ومن أهم المرتكزات التي صاغها في مقدمته، دراسة المجتمع دراسة تاريخية لحظية ومتزامنة في الآن ذاته، وطرح جملة من المسلمات والفرضيات التي يبني عليها المجتمع في الاقتصاد والسياسة والثقافة والعمران والتعليم ، فقد نشر الأستاذ لودفيغ غومبلوفيتش³ Ludwlg Gumpłowicz (1838 م - 1909 م) من جامعة غراتس النرويج فصلا كاملا في أحد مؤلفاته التي نشرت سنة 1900م تناول فيه قراءة لنظرية ابن خلدون وأشار أن صاحب المقدمة «درس الظواهر الاجتماعية وعبر عن أفكار عميقة وما جاء به في مقدمته يحتوي على قطع مبعثرة من معاهدة كاملة في علم الاجتماع... والمنهجية واضحة تشهد عن وجود تفكير علمي حقيقي مبني على الملاحظة التحليلية للأحداث، إنّ القراءة السوسولوجية لابن خلدون مهمة بما أنّ في تحليلاته للمجتمع يضع النقاط على العلاقات الاجتماعية أكثر منه عن البنيات حيث أن تلك العلاقات هي دائما في عدم استقرار، إذ أنّ مفهوم الاجتماع الذي

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 87.

² الاسم الكامل لكتاب المقدمة هو كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.

³ عالم اجتماعي سياسي بولندي درس القانون الدستوري و السياسي

يستعمله دائما يدل على طريقة العلاقات الاجتماعية»¹، فهو يؤمن بالمفهوم الإنساني للمجتمع الذي تجمعها قوانين تشتمل عليها جميع المجتمعات الإنسانية.

فضلا عن النظرية الاجتماعية السالفة الذكر، عُرف ابن خلدون بأرائه حول النظرية التعليمية، وطبيعة اللغة، والبحث في الواقع اللغوي العربي بمختلف مستوياته الفصح والعامي والتعدد اللهجي، ولم يشتمل البحث عن وصف الظواهر اللغوية فقط بل تعداها إلى قراءة الظواهر اللغوية وتشخيصها وإعطاء الحلول المناسبة للقضاء على الفساد اللغوي، فاللغة عند ابن خلدون ملكة صناعية تحتاج إلى صقل ومهارة وتدريب حتى يحسن استعمالها للتبليغ عن المقاصد نحو «اعلم أنّ اللغات ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة ونقائصها»²، وما يتوخاه ابن خلدون من هذا الكلام أنّ أهمية اللغة لا تكمن في جهازها المفرداتي وإنما تبرز قدرتها وفعاليتها في كمال وجودتها واستعمالها الأنسب في تبليغ المقاصد.

النظريات اللسانية الحديثة:

عُرفت الدراسات اللغوية الغربية منذ مطلع القرن التاسع عشر توسعا بارزا، و نهوضا علميا مهما، وكانت نتيجة هذا التطور انبثاق علم جديد عُرف باللسانيات أو «العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الواقع بعيدا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية»³. واتسمت الآراء التي طرحها "ديسوسير" بالتفرد والقوة، وكانت بمثابة العتبة الأولى التي

¹ إبراهيم عثمان، مقدمة في علم الاجتماع، دط، سنة 2006م، دار الشروق، عمان الأردن، ص15.

² عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، دراسة أحمد الزعبي، دط، دت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت لبنان، ص436.

³ أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، ط3، سنة 2008م، دمشق سوريا، ص15.

تولدت عنها نظريات أخرى تأسست على اثر المبادئ التي أرساها والأسس المنهجية التي اعتمدها ووضعها، ومن أهم هذه المدارس المدرسة الوظيفية والنسقية والسياقية، التوليدية والتحويلية .

النظرية البنوية:

مؤسسها اللغوي فرديناند ديسوسير المؤسس الأول لعلم اللغة المعاصر وإمام نحاة النهضة اللغوية المعاصرة¹، كان له الفضل في إرساء دعائم الألسنية كعلم قائم على أسس علمية ثابتة تشكل في أحضان دراسة اللغة دراسة لذاتها ومن أجل ذاتها دراسة وصفية آنية بعيدا عن أحضان الدراسة التاريخية التطورية .

اعتمادا على مبدأ الثنائية، انساق "سوسير" في نظريته البنوية إلى ضبط المصطلحات وتحديد ماهيتها ضمن الإطار المفاهيمي اللغوي، بدء بالتفريق بين اللغة واللسان والكلام مؤكدا أنّ « اللغة ما هي إلا جزء محدد منه بل عنصر أساسي وهي في الوقت نفسه نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التواضعات الضرورية التي تبناها الجسم الاجتماعي لتمكين الأفراد من ممارسة هذه الملكة وإذا نظرنا إلى اللسان ككل، فإننا نجده متعدد الجوانب ومتغاير الخواص ولأنّه يمتد في غير اتساق إلى أصعدة مختلفة في آن واحد منها الفيزيائية والفيزيولوجية والسيكولوجية فانه ينتمي في الوقت نفسه إلى الفرد وإلى المجتمع²» أما الكلام «فانه فعل كلامي ملموس ونشاط شخصي مراقب يمكن ملاحظته من خلال كلام الأفراد وكتابتهم³، أو بمعنى آخر الاستعمال الفردي للغة.

¹ خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، عالم المعرفة، ط1، سنة 1984م، جدة، ص39. وينظر

الألسنية المبادئ والأعلام، ص 224 و ينظر النحو العربي والدرس الحديث، ص24.

² أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص123.

³ أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص124.

إنّ بنوية "سوسير" تعني «بدراسة بنية اللّغة في حد ذاتها على نحو مستقل، ليس فقط بعزلها عن التاريخ أو العالم الخارجي، بل أيضا عن نسيجها الاجتماعي التي تعيش فيه والعمليات النفسية التي يقوم بها متكلمون عند فهمها، أو اكتسابها»¹، فإنّ مثل هذا الطرح الذي انساق إليه المدرسة البنوية، كان تطورا طبيعيا للقناعات الفكرية والفلسفية التي استلهم منها ديسوسير تصوراته في نحو نظرية العقد الاجتماعي، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الاتجاه ساد في مدونات التنظير العربي، بخاصة عند سيويه التي اعتدت بالإجراء الوصفي وضع المعيار، وفي الآن ذات التبرير للمسائل اللغوية التي لا تتحقق فيها تلك العلاقات البينية بين عناصرها، كان يحتكم فيها إلى سلطة السّماع والمواضعة، ومن ثمة، الارتكان إلى استقراء هذه النماذج والبحث في تراكيبها وعلاقاتها واستنباط القواعد التي تحكمها .

وفي السياق ذاته، تناول ديسوسير العلاقة الاعتبارية بن الدال والمدلول، من حيث أنّ اللّغة هي مجموعة من الرموز تتشكل باتحاد كل من الدال الذي (هو جزء من أصوات الكلام والمدلول الذي (هو جزء من المعنى)، يتبينهما الدليل اللساني، الذي يحيل إلى المعنى المكتمل، ومن ثمة، فإنّه لا يمكن أن ندرس كلا منها في معزل عن غيره فهما وجهان لعملة واحدة، والرابط الذي يربط صورة صوتية مع مفهوم معيّن هو رابط اعتباري لا وجود لارتباط واقعي طبيعي بينها وتعبير آخر «يمثل الدال مجموعة من الأصوات القابلة للتقطيع أي الصورة الصوتية والمدلول ذلك المفهوم أو المعنى الذي يشير للدال فالدليل اللساني ليس وحدة حرة»²، فهو في الحقيقة مقيّد بعلاقة اعتبارية غير خاضعة لإرادة الأفراد ولا لأي تبرير أو تعليل علمي منطقي، يجمع بين دال ومدلول ولا يكون لهذه الدوال وجودا يتحقق إلا بحضور مدلولات أوجدها الوضع والاصطلاح وقد ذهب "الجرجاني" إلى مثل هذا فلا معنى للعلامة حتى يهتم الشيء ما جعلت العلامة دليلا عليه .

¹ محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص 67.

² Dominique Maiguenau pour aborder la linguistique p8-9

أثار "سوسير" مسألة التزامية، التي تمثل «دراسة اللغات كنظم موجودة في نقطة معينة من الزمن»¹، تعمل اللسانيات التاريخية على تتبع التطور التاريخي للغات في فترات زمنية مختلفة، يعود هذا التوصيف إلى الخصائص المنهجية التي يتبعها اللغوي في وصف اللغة «فمن يصف اللغة وصفا خارجيا، أي من وجهة نظر المراقب بدلا من المشترك بجرية الاختيار بين الأسلوب التاريخي أو التزامني أما من يصفها وصفا داخليا، أي كما هي عليه بالنسبة للناطقين بها، فإن من واجبه أن يصف إحدى حالاتها دون أخذ البعد الزمني في الاعتبار»²، ويحدث هذا الوصف، عبر دراسة كل مكون وعنصر منها، بدءاً بأصواتها ونحوها وصرفها انتهاءً إلى قوانينها وأحوالها، دراسة أفقية لا علاقة لها بالعامل الزمني والتطور التاريخي.

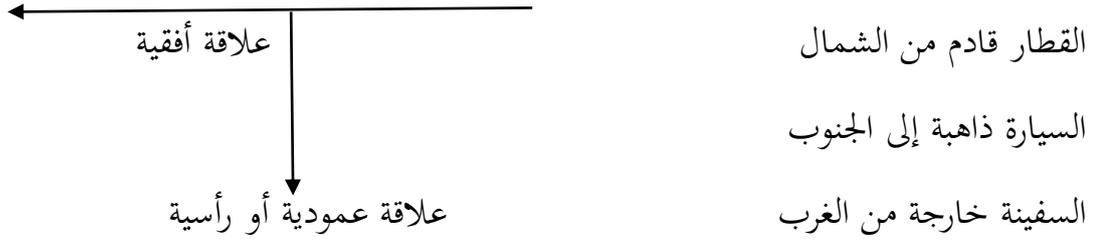
ولما كانت اللغة، مجموعة من الوحدات فإنها تنتظم على شكل خطي أفقي متدرج زمنياً، فإن العلاقات الأفقية بين الوحدات اللغوية المتتابعة هي «علاقة حضور متناسق ضمن السلسلة الكلامية الواحدة وكلمات الجملة الواحدة وجملة النص الواحد، فتفضي كل واحدة على الكل معنى إضافيا وتكون في حالة تقابلية مع بقية الوحدات التي تسبقها أو تليها أو معها جميعا»³، ومن ذلك نسق " السماء صافية" تتألف هذه الجملة من وحدتين لغويتين تأتي الوحدة الثانية عقب الوحدة الأولى تؤديها وظيفة الإسناد ، بالنظر إلى وظيفة اللفظة الأولى المتمثلة في الابتداء، وهناك علاقات أخرى رأسية استبدالية اختيارية تشمل المحور العمودي pragmatique في استبدال الوحدات اللغوية مما يتيح لنا فرصة توليد كلمات جديدة لا حصر لها وأن تحل محلها وحدات أخرى سنوضح ذلك في المثال الآتي⁴:

¹ جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، جامعة الملك سعود، تج محمد زياد كبة، دط، دت، ص26.

² جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص29.

³ نسيمه ناي، مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، سنة 2011م، الجزائر، ص100.

⁴ محمد حسين عبد العزيز، سوسيور رائد علم اللغة الحديث، دار الفكر العربي، دط، دت، مصر، ص36.



لا نجانب الصواب، إذا أشرنا إلى أن المتأمل في هذه النظرية، يقع على اثر وتحلي لها في الدراسات اللغوية العربية، وبالتحديد عند "عبد القاهر الجرجاني" عند اهتدائه لكون اللغة ليست مجموعة من الألفاظ، بل مجموعة من العلاقات، تحصل بتآلف وحدات لغوية وتجاور بعضها البعض وهذا ما أشار إليه الجرجاني في النص الآتي «اعلم أنّ هنا أصلا أنت ترى الناس فيه في صورة من يعرف من جانب وينكر من جانب آخر، وهو أنّ الألفاظ المفردة التي من أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد»¹، فالمعنى لا يتحدد في الألفاظ منفردة إذ تكمن قيمتها في تجاورها مع بعضها البعض .

النظرية الوظيفية:

تشكلت هذه المدرسة، في أحضان حلقة لسانيّة وظيفيّة عرفت بحلقة براغ سنة 1926م من قبل مجموعة من اللسانيين أمثال فيلم ماثيوس **Vilem Mathesius** (1882م - 1945م) م، تربتسكوي، رومان جاكسون، وتعد هذه المدرسة، من أبرز المدارس، التي انطلقت من الأصول والمبادئ التي جاء بها "سوسير"، وسميت بالمدرسة الوظيفيّة، بالنظر إلى اعتمادها الاتجاه الوظيفي في دراسة اللغة من الناحية والصوتية، النحوية والدلالية؛ حيث اتجهت صوب تبيان الوظائف التي تؤديها عناصر اللغة فيما بينها، وإلى العلاقات الناتجة ضمنها التي تبرر طبيعة تشكل العناصر داخل الأنساق اللغوية.

¹ محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة، مؤسسة هنداوي، دط، سنة 1946م، ص334.

وهاهنا، نُذكر أنّ مقترحات "ماثيوس" الوظيفية والصوتية، التي تأسست ضمن حدود دراسة الوحدات الأساسية للجملية، والبحث في كيفية ترتيبها والوظيفة التي تؤديها داخل الجملة، من تقديم وتأخير وثنائية المسلمة والإضافة «فالمتقدم هو الشيء المتحدث عنه الذي يفترض المتكلم معرفة المخاطب له والمتأخر هو الجزء المتمم للجملية الذي يُضيف إلى معلومات المخاطب السابقة معلومات جديدة تتصل بالمتقدم والمسلمة هي ما يقدمه المتكلم من معلومات يدركها السامع من مصدر ما في المحيط (أي المقام، أو النص السابق) والإضافة ما يقدمه المتكلم من معلومات لا يدركها السامع من مصادر أخرى»¹، حيث أنّ كل عنصر من العناصر السابقة، محكوم بوظيفة يحددها كل من المسند والمسند إليه بدلالة مقصدية القول وحمولته الدلالية.

وفق هذا المسار الذي سار عليه "ماثيوس"، تشكلت خصوصية المدرسة الوظيفية في طبيعة اشتغالها على وظائف العناصر اللغوية وما ينتج عنها من علاقات تنتج اللغة إذ تعتقد المدرسة الوظيفية أنّ «البنى الصيائية والقواعدية والدلالية محكومة بالوظائف التي تؤديها في المجتمعات التي تعمل فيها»²، ففي هذا انزياح واضح عما جاء به البنيويون من دراسة اللغة لذاتها، دون النظر إلى العناصر الخارجة عن اللغة، إذ لا يمكن الفصل بين البنى اللغوية، وبين السياق الذي تتمثل عبره الوظيفة اللغوية.

إنّ الاتجاه الوظيفي للغة الذي اعتمده حلقه براغ ارتكز على تسليط الضوء على الأدوار اللغوية والنسقية التي تؤديها الوحدات اللغوية، باعتبارها رموزاً وعلامات ذات وظيفة «حيث كانوا ينظرون إلى اللغة كما ينظر المرء إلى محرك، محاولاً أن يفهم الوظائف التي تؤديها أجزاؤه المختلفة

¹ محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص 71.

² محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص 70.

وكيف تحدد طبيعة جزء معين طبيعة الأجزاء الأخرى»¹. فالكليات لا تعرف في حد ذاتها، وإنما تدرك بمعرفة أجزائها وعلاقات هذه الأجزاء مع بعضها في تكوينه.

جدير بالذكر أنّ ملامح هذا التوجه، -الوظيفي- تجلت في الدّراسة التراثية العربيّة بقوة، خاصة في القرن الرابع من الهجرة عند المدرسة البصريّة، على غرار ما عرض إليه "ابن جني"، و"سيبويه" من قبله في إبداء اقتناعهم على التعالق الموجود بين عناصر اللّغة، وقد أشار "سعيد شنوكة" إلى أنّ «علم الأصوات الوظيفي أو علم التشكيل الصوّتي من العلوم المعروفة عند علماء اللّغة العربيّة قديماً، وقد شهد لهم المحدثون بالأعمال العلميّة الجليّة التي أدركوها في زمانهم خدمة للّغة ولغة القرآن بخاصة»².

في ذات السياق، نلفي "صالح بلعيد" يُشير، إلى أنّ الدّراسة الوظيفيّة لها مكانة بارزة في التراث العربي القديم في دراساتهم النحويّة والبلاغيّة عند سيبويه وعبد القاهر الجرجاني «ومن هنا نعرف أو نعلم أنّ الجرجاني حين بدأ مرحلة الدّراسة الوظيفيّة أكّد على ضرورة التقيّد بقواعد النّحو العربي التي بلورها سيبويه في الكتاب، و سار الجرجاني على منهج وصفي وظيفي يبين ارتباط البنية الأساسيّة، و أنّ بنيتها النّحوية تقوم على توافر الإسناد فيها، و تقوم البنية الإبلاغيّة على توافر الفائدة فيها»³.

النظرية التوليدية والتحويلية عند تشومسكي:

تعد المدرسة التوليدية التحويلية من أهم المدارس اللسانية، التي أحدثت تحولا رائدا في الدّرس اللساني، وقد تعامل صاحب النظرية نعوم تشومسكي (Noam Chomsky 1928)

¹ جعفري سامسون، المدارس اللسانية التسابق والتطور، ص106.

² السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، سنة 2008م، القاهرة، ص76.

³ صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ص236.

م) مع اللغة ، بوصفها ظاهرة عقلية إنسانية تُدرس من خلال الذات المنتجة لها، كما أنّها ربطت موضوع دراستها «بالإنسان المتكلم - المستمع السوي التابع لبيئة لغوية متجانسة تماما، والذي يعرف لغته جيدا، و يمكن اعتبار المتكلم - المستمع، بالإضافة إلى اعتباره موضوع الدراسة الألسنية مصدر اللغة عندما يستعمل في أدائه الكلامي معرفته الضمنية بقواعد اللغة»¹، فكل إنسان سوي، يستطيع تكلم لغة معينة يمكنه إنتاج الجمل وإدراكها والحكم عليها بالخطأ والصواب لأنه يتمتع بكفاية لغوية تحوله ذلك.

جاءت النظرية التوليدية التحويلية كردة فعل على المنهج السلوكي، الذي عُدَّ منهجا غير قادر على تفسير الحدث اللغوي؛ لأنه يقوم على أساس الوصف الظاهري دون غيره، واللغة في الحقيقة، ليست مجرد استجابة ومثي، وإنما هي وحدة كلية، وكيان متكامل يرتحن إلى قدرة المتكلم في إنتاج جمل غير متناهية حتى و إن لم يسمعها من قبل.

انبتت هذه النظرية على مفاهيم وتصورات رئيسة، اعتمدها "تشومسكي"، تمثلت في القدرة الكامنة «تضم مجموعة القوانين المكونة للظواهر اللغوية والمولودة لها في سياق يعين مواقع الأبنية ويرسم أشكالها وفق نظام مخصوص»²، والأداء اللغوي «الكلام أو الجمل المنتجة التي تبدو فونيمات ومورفيمات تنتظم في تراكيب جمالية خاضعة للقوانين اللغوية الكامنة»³، فالإنسان في نظر تشومسكي، يمتلك قدرة كامنة تجعله يُدرك قواعد لغته بصورة ضمنية وفي نفس الوقت له القدرة على الاستعمال الفعلي لهذه القواعد في سياقات مختلفة، كما وضع مبدئين آخرين يساهمان في تيسير وفهم الجمل المكتوبة والمنطوقة باعتبار أنّ للغة بنيتان أحدهما داخلي فكري والآخر

¹ ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية، ط2، سنة 1986م، لبنان، ص8-9.

² عبد الله عنبر، نظرية التوليد والتحويل بين القدرة الكامنة والأداء اللغوي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 36، العدد2، سنة 2009م، ص412.

³ خليل عمايرة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، دار وائل، ط1، سنة 2004م، عمان الأردن، ص 252.

خارجي شكلي، فالأول «البنية العميقة هي التركيب الباطني الموجد الموجود في ذهن المتكلم وجودا فطرياً، وهي أول مرحلة من عملية الإنتاج الدلالي للجملة»¹، أما الثاني فهو البنية السطحية «و تمثل في التركيب التسلسلي السطحي للوحدات الكلامية المادية المنطوقة أو المكتوبة، إنها التفسير الصوتي للجملة»²، تتشكل هذه البنى على نسق معين متلازم تحدده خصوصية الأسيقة الكلامية وفق مسار فكري تجريدي وتشكل سطحي نطقي وكتابي .

وضمن هذا المسار، نود أن نسلط الضوء على الجانب المهم، الذي ينحوا إلى إحداث المقاربة بين النظريات التراثية والحداثيّة، التي تأسس عليها النحو العربي، على غرار نظرية العامل والتي أثبت أصولها الخليل بن أحمد الفراهيدي « فنظرة الخليل إلى العامل كانت في ضوء تذوقه الحروف ومراقبته الكلمات في ثنايا التأليف وملاحظته التفاعلات اللغوية بين الأصوات والكلمات، فلاحظ أنّ بعض الحروف أقوى من بعض وأنّ للقوي تأثير في الضعيف ولذلك كانوا يقدمون القوي إذا اجتمع في كلمة واحدة وكان من نتيجة إدراك هذا التأثير بين الحروف كشف اللثام عن المظاهر اللغوية الصوتية المتمثلة في ظواهر الإدغام والإبدال والإعلال وغيرها من ظواهر القلب والإتباع»³، وكان لنظرية العامل وجهاً آخر يختلف باختلاف خصوصية اللغة المدروسة في الدراسات اللغوية الغربية، بخاصة عند "تشومسكي" الذي استطاع أن يبدي أهمية هذه النظرية في تحليل التراكيب النحوية بالاعتماد على عنصرين أساسيين هما الأثر والمضمّر .

وهاهنا، يجب أن نشير إلى أنّه من التقاطعات المهمة التي يجتمع فيها النحو العربي ونحو تشومسكي، قضية الأصل والفرع «فهو من الأسس الرئيسية التي تقوم عليها نظرية تشومسكي التوليدية والتحويلية..... يمثل حجر الأساس فيها وهو الاعتماد على الأصل والفرع في الجمل»⁴،

¹ أحمد كاظم العتاي، نظرية التوليد والتحويل بين القدرة الكامنة والأداء اللغوي، ص38.

² شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة، ط1، سنة 2004 م، بيروت لبنان، ص53.

³ حسام بهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، دار المناهل، ط1، سنة

1994م، مصر، ص58.

⁴ خليل أحمد عمارة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، ص255.

و ما نجد من مسائل عديدة ظهرت عند التّحاة العرب تناولوا فيها الأصل والفرع في اللّغة العربية من بينهم سيبويه في حديثه عن ظاهرة التّأنيث والتذكير والنكرة والمعرفة؛ إذ يرى «أنّ الأشياء كلها في الأصل مذكر، و ما حملت دلالة التّأنيث فهي فرع لها، خرجت عن الأصل وأيضا يرى أن أصل الأشياء نكرة ثم تُعرف إما بأل التعريف و إما بالإضافة أو العلم وغيرها ويقدم لها تفسيرا ألا وهو أن التذكير أو التنكير أشد تمكّنا من التّأنيث أو التعريف»¹، وما الفرع إلا أصل مع زيادة .

النظرية الخليلية :

النظرية الخليلية سعت إلى إحداث مقارنة بين المفاهيم والمصطلحات اللغوية التراثية والحداثيّة، خاصة بعد الثورة الاصطلاحية التي نتجت منذ القرن التاسع عشر ومع ظهور اللسانيات، وتوسع نطاق البحث اللغوي وتعدد سياقاته، فأصبح الخلط جليا في مختلف التخصصات وذلك لترجمة النظريات اللسانية الغربية ومحاولة تطبيقها على اللّغة العربيّة دون النظر إلى خصوصيّة اللّغة الأم واللّغة المترجم إليها.

ومن الأسباب الأخرى التي دفعت "حاج صالح" إلى قراءة جديدة لتراثنا العربي بروز فرق بحثية انقادت إحداها وتعصّبت للتراث وانسأقت الأخرى وراء الحداثة وتماهت كليا في المعطى الغربي بمختلف توجهاته، وجزء هذا الخصام الذي لم يفد اللّغة العربيّة بشيء سوى الوقوع في الخلط والتشويه والتقليل من قيمة المنجز اللغوي العربي أراد حاج صالح قلب الموازين بفكرته التي تضمنت تصيير كل ما هو تراثي وحداثي خدمة للّغة العربيّة .

إنّ الغاية التي توخاها "عبد الرحمن حاج صالح" من هذا المعطى تروم إلى تجديد وتطوير المفاهيم الخليلية، عن طريق إعادة قراءتها من جديد بشكل علمي يستدعي التدقيق في كل الفرضيات التي تضمنت مقترحات الخليل وسيبويه وغيرهم من علماء اللّغة العربيّة والنحو ومحاولة

¹ خليل أحمد عمارة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، ص 256.

ربطها بنظيرتها المستحدثة حتى يصبح هذا التجديد عمادا وقاعدة لكل طرح أو نظرية عربية جديدة .

ومن هذا المنطلق، تجلت الفكرة التأسيسية للنظرية الخليلية موضحا ذلك بقوله «وقد حاولنا منذ ما يقرب من ثلاثين سنة أن نحلل ما وصل إلينا من تراث فيما يخص ميدان اللغة، و بخاصة ما تركه لنا سيبويه وأتباعه ممن ينتمي إلى المدرسة الخليلية وكل ذلك بالنظر في الوقت نفسه فيما توصلت إليه اللسانيات الغربية، وكانت النتيجة أن تكون مع مرور الزمان فريق من الباحثين ... يريد أن يواصل ما ابتدأه الخليل وسيبويه»¹ وعلى هذا الأساس، اعتبرت النظرية الخليلية امتدادا علميا جديدا وواسعا للتراث اللغوي العربي تسعى جاهدا إلى تحقيق المقاربة العلمية بين التراث والحداثة .

تكمن قناعة "عبد الرحمن حاج صالح" في الدعوة إلى التجديد، وقراءة التراث العربي الأصيل قراءة جديدة، وإحداث المقارنة بينها وبين ما توصل إليه البحث اللساني الحديث واستثماره في الدراسات اللغوية. وقد انبنت هذه القناعة بإدراك حاج صالح للقيمة العلمية التي أنجزها اللغويون العرب الأوائل، التي لا زالت تحتفظ ببيانتها ووضوحها وقوة حجتها.

وبوعي منه بالضرورة الحتمية للالتفات للواقع اللغوي للغة العربية، أكد "عبد الرحمن حاج صالح" بإلحاح على إعطاء التراث الاهتمام والعناية اللازمة، فكل من رام العلمية والموضوعية، عليه العودة إلى التراث الأصيل، الذي يعد عماد اللغة العربية ويكاد «يُجمع العرب في وقتنا الحاضر على أنّ المحافظة على التراث العلمي العربي والرجوع إليه أمر ضروري لا حبا في القديم في ذاته، و لا للمحافظة من أجل المحافظة، فهذا وإن كان كثيرا في أيامنا إلا أنه قد قل أنصاره بتعميم التعليم وانفتاح العقول على العالم، على أنّ أكثر الناس يجعلون التراث الفكري العربي واحدا، فما دام هو

¹عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية الحديثة، ج1، ص280.

تراثا وركنا إذن من أركان هويتنا فكله حسن لا كلام فيه، وهنا يكمن الخطر، إذ التراث الذي يتصف بالإبداع وبالتالي بالأصالة غير التراث الذي يسوده التقليد وبالتالي الجمود الفكري»¹، فهوية الباحث مرهونة بكل ما هو صحيح أصيل بعيدا عن كل ما اتصف بالتقليد .

سلكت النظرية الخليلية مسلكا مغايرا، للنظريات الغربية تمثل في مراعاة خصوصية اللغة العربية، من الفرضية إلى النتيجة؛ فهي تعكس في وصفها نظام اللغة العربية، وكل ما يتواءم مع حدودها المائزة، التي لم تستطع إدراكها مختلف البحوث، التي حاولت إسقاط أغلب النظريات الغربية على الواقع اللغوي العربي، مما زاد الأمر تعسفا وتعصبا، وبهذا ارتأى حاج صالح «أنّ الذي زاد الطين بلّة هو أنّ بعض معاصرنا ممن حضى بالاطلاع على ما ظهر في الغرب من آراء أو نظريات جديدة..... في الظواهر اللغوية وما إليها من الدراسات الجديدة التي تنتمي إلى ما أسموه بال linguistics أرادوا أن يطبقوا على اللغة العربية هذه النظريات..... دون نظر سابق.... كأنّها حقائق مسلمة تنطبق على كلّ لغة، وليتهم فعلوا ذلك للاختبار، وبيّنوا بعد الاختبار مدى ملاءمتها للعربية وبالتالي قدرتها على استيعاب الظواهر المختلفة»²، إنّ هذا التعسف الذي استعصاه حاج صالح، دفع به إلى ضرورة البحث في أصول المفاهيم والمصطلحات الغربية، ودراستها دراسة علمية محضّة، وكذا البحث في ما يمكن أن يكون له مقابلا في اللغة العربية، مما جاء به الخليل وسيبويه، حتى نخرج من دائرة اللبس وتشويه المفاهيم اللغوية، التي تجعل الباحث يدخل في متاهة يصعب الانفلات منها .

المبادئ النظرية للمدرسة الخليلية الحديثة:

ترتكز النظرية الخليلية كغيرها من النظريات على أسس ومبادئ أصيلة، تطرق إليها عبد الرحمن حاج صالح ارتكازا على ما عرض إليه الخليل، الذي يعتبره عبد الرحمن حاج صالح من

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية الحديثة، ج1، ص 280.

² عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية الحديثة، ج1، ص 282

العلماء العباقرة، وخصه بالأصالة لكونه لم يكن نسخة لغيره في زمانه، بالنظر إلى تميزه بالفطنة والذكاء، وتفردته بالعلمية والموضوعية في معالجة القضايا اللغوية والفكرية، وتشبعه بالمنطق الرياضي، وتطبيقه على البحث اللغوي واللساني. مما أدى إلى نشوء العديد من المفاهيم والمبادئ الرياضية نضدت البحث اللغوي، أسس لها الخليل واعتمدها من جاء بعده ، وهي مفاهيم يُراد إعادة قراءتها والتدبر في مقاصدها نسردها على النحو الآتي:

الاستقامة وما إليها:

المقصود بالاستقامة لغويًا، الاعتدال والاستواء، وبمفهومها الاصطلاحي تناولها "الخليل" و"سيبويه" بالاعتدال في الكلام لفظاً ومعنى وقسم الكلام إلى «مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب وقال أيضا وأما المحال فهو أن تنقض أول كلامك بآخره فتقول أتيتك غدا وأما المستقيم القبيح فإن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك قد رأيت زيدا»¹، فلم يُخضع سيبويه الكلام إلى مقياس الاستقامة في اللفظ والمعنى بل تعدها إلى قضية الاعتدال قياسا واستعمالا فمنه ما هو قابل للقياس وبعيد عن الاستعمال ومنه ما هو محال سليم في القياس والاستعمال ولكنه لا يخضع للسلامة المعنوية «فإذا حُدد أو فسر اللفظ باللجوء إلى اعتبارات تخصّ المعنى فالتحليل هو تحليل معنوي *sémantique* لا غير، أمّا إذا حصل التحديد والتفسير على اللفظ نفسه دون أي اعتبار للمعنى فهو تحليل لفظي نحوي»².

فالنحاة العرب لم يخلطوا بين هذين التحليلين، وقدموا تمييزا واضحا بينهما ولهذا «فالتخليط بين هذين الاعتبارين يعتبر خطأ وتقصيرا، وذلك كالاقتصار على تحديد الفعل بأنه ما دلّ على حدث وزمان، فهذا تحديد على المعنى، فهو جيّد ولكنّه من وجهة المعنى، أمّا التحديد على اللفظ فهو ما تدخل عليه من زوائد معينة ك(قد والسين ويتصل به الضمير في بعض

¹ عبد الرحمن الحاج صالح النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، ص30.

² عبد الرحمن الحاج صالح النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، ص31.

صيغته»¹، ومن هنا وجب إدراك الاختلاف بين التحليلين وعدم الخلط بينهما، فللكلام خصوصية لفظية ومعنوية يتحدد كل منها على أساس القواعد والقوانين التي تضعها كل لغة من لغات العالم.

الانفراد وحدّ اللفظة:

خصّ "سيبويه" الاسم المنفرد أو المفرد بخصوصية الانفصال والابتداء وهو مقياس صوري حدده علماء النحو سابقا لإثبات حدود الكلمة وانفصالها دون أن يخل ذلك بالمعنى لقوله: «أنّه لا يكون اسم مظهر على حرف أبدا لأن المظهر يسكت عنده وليس قبله شيء ولا يلحق به شيء»²، أراد "سيبويه" أن يقيم الحدّ بين الاسم والحرف، فالاسم المفرد لا يكون حرفا والحروف روابط لها علاقة بما يسبقها وما يليها ولكن الاسم يمكن السكوت عنده فإذا قلنا كتاب يمكن أن ندرك معناه دون الحاجة إلى شيء آخر في تفسيره. فالاسم عندهم هو الأصل ويتم التفرع عنه انطلقوا بذلك مما يمكن أن ينطق به وهو الاسم المفرد وما يتفرع عليه ولا يمكن لما في داخله أن ينفرد فهو بمنزلة وقد سمى سيبويه الانفصال بالانقطاع ويكون الانقطاع عما قبل بالابتداء ويحصل الانفصال حينئذ بالانقطاع عما يليه .

وقد «حدد علماء النحو حالتين من قابلية انفصال اللفظ إما انفصالا تاما مفرد مثل كتاب، رجل وزيد وكل الضمائر المتصلة وانفصال بالبدل بكلمة أخرى أو بالحذف من أي بدل منها بالزوم مثل الضمائر المتصلة كتابي/كتابك/كتابه»³، الاسم المظهر عند سيبويه هو اسم ينفصل ويتبدأ يشمل الانفصال التام أما الانفصال بالبدل بكلمة أخرى لا يعتبره اسما مظهرا لعدم قدرته على الانفصال والاستقلال عن غيره «وأهم أسباب امتناعها من الإفراد هو أنّها تأتي غالبا

¹ الزايدي بودرمة، النظرية الخليلية، أسسها وحدودها المائة، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، ص 14.

² عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، ص 32

³ عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، دط، سنة 2016، ص 37.

على حرف أو حرفين كالضمائر المتصلة وحروف الجر والعطف وغيرها¹ ويعد الفعل أيضا من الكلم مثل الاسم المظهر إلا أنه مرهون بضمير الفاعل .

وعلى هذا الأساس، الذي اعتمده النحاة، يمكن أن نستشف الظواهر الحقيقية التي تحصل داخل الكلام على مستوى اللفظة، أو النواة التي بدورها تقبل الزيادات والواحق يمينا وشمالا، دون أن تخرج عن حدود اللفظة و«سموا هذه الزيادة بالتمكن وهو يقع على درجات فهناك اسم الجنس المتصرف وهو المتمكن الأمكن ثم الممنوع من الصرّف فهو المتمكن غير أمكن ثم المبني فهو غير المتمكن ولا أمكن² فالاسم المفرد هو الأصل وما يتولد عليه ويتفرع منه فهي نظائر له لا تقوم على الاندراج بل على حمل شيء وإجراؤه على شيء آخر يراعى فيه كلّ من المحور الاستبدالي والمحور التركيبي في الوقت نفسه وهذا ما عرف «بمجموعات ذات بنية واصطلاح عليها رياضيا بالزمرة structure de groupe³» التي أصبحت من أهم القواعد التي تُسهّم في المعالجة الآلية للنصوص .

إنّ عمليّة التصرّف تحصل بالزيادة على الأصل تقع على درجات أشدها تمكنا هو للاسم الذي يمكن أن يحتمل كل الزوائد، إذ يعتبر اسم الجنس أكثر تمكنا وتصرفا وهو الأصل لأنه: «يمكن أن ينفرد بكيفية مطلقة في الكلام كما يمكن أن تزداد عليه الزوائد الخاصة بالاسم يمينا وشمالا وبليبه اسم العلم مثل زيد وعمرو⁴»، يشكل هذا التصرف ما يُعرف عند النحاة بحد الاسم أو النمط الذي تصاغ عليه اللفظة الاسميّة «وهو صوري محض لأن الحد عند قدماء النحاة هو التحديد للعمليات التي يتم بها توليد الوحدات المتفرعة من الأصل ويحصل بالتدرّج أو بالزيادة الكاملة في

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، ص30.

² عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، ص33.

³ عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، ص34.

⁴ عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص85.

حين واحد أو أحيان متتابة حسب غرض المتكلم في كل حالة خطابية¹؛ حيث يتشكل حد أو مثال كل وحدة من وحدات اللغة العربية .

العامل:

تعد النظرية العاملية، مرتكزا من المرتكزات التي اتكأ عليها النحو العربي في تحديد الجانب الوظيفي للوحدات اللغوية داخل الأنساق الكلامية، تقوم على أساس البحث في العلاقات والأدوات التي تضبط نظامية العناصر اللغوية وما ينتج عنها من آثار لفظية ومعنوية، سمي النحاة هذا التأثير «بالعمل واللفظ المؤثر عاملا والذي يتأثر به المعمول، وعدم وجود عامل ملفوظ وهو الابتداء يجري مجرى المؤثر الملفوظ لأتھما يقعان في موضع واحد»²، أثبتت هذه النظرية على يد أشهر عالم في اللغة العربية وهو الخليل والمتبع لكتاب سيبويه يُدرك أنّ «الخليل هو الذي ثبّت أصول نظرية العوامل ومدّ فروعها وأحكمها إحكاما بحيث أخذت صورتها التي ثبتت على مرّ العصور»³، وبهذا يكون العامل وحدة تجريدية فاعلة على مستوى التركيب صاغه النحاة عن طريق العمليات التحويلية التي أقاموها على الكلام في البحث عن العناصر المتكافئة فلاحظوا أنّ الزوائد على اليمين تغيّر اللفظ والمعنى بل تؤثر وتتحكم في بقية التركيب كتأثير الإعراب في أواخر الكلم نحو:

○ زيد قائم

إن زيدا قائم

كان زيدا قائما

حسبت زيدا قائما

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص 86.

² عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص 126.

³ شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، ط 7، دت، القاهرة، ص 38.

أعلمت عمراً زيداً قائماً¹

تشير العلامة Ø بخلو الجملة من العامل والذي يتمثل في الابتداء وليس المقصود بالابتداء بداية الجملة وإنما عدم التبعية التركيبية، وتشكل الكلمات الظاهرة في بداية الجمل عوامل فاعلة في معمولها الأول والذي لا يتقدم على عامله والمعمول الثاني الذي يتمتع بخصوصية تقدمه على المعمول الأول والعامل، ولاحظ النحاة أيضاً أنّ هناك زوائد أخرى تتشكل منها التراكيب لها القدرة في الدخول والخروج وهي عناصر مخصّصة ورمز إليها ب خ وهي المفاعيل الأخرى والحال. ومن الترتيبات التي يجوز استعمالها ولا يجوز غيرها والتي حددها النحاة على النحو الآتي {ع}، {م±2م} أو {ع م 2م 1م} أو {م 2م ع 1م}،² ثم انتقلوا إلى مستوى آخر أعلى وهو مستوى الصدارة وما فوق العامل وهي حروف الابتداء وأدوات الاستفهام وأدوات الشرط، وعليه لم تقتصر الدراسة عندهم على مستوى اللفظ فقط فللمعنى تقسيم آخر يخضع لإجراء الأصل والفرع فالمعنى الأصلي هو ما وُضع من قبل الجماعة في لغة من اللغات أو المعنى المعجمي والمعنى الفرعي كل ما تولّد عن المعنى الأصلي من زيادات في المعنى تبعاً لمختلف الحالات والأسئلة الواردة فيه وقد كان لهذا الحقل المعرفي في اللغة العربية باع في ما اعتنقته البلاغة من ممارسات على علم المعاني وعلم البيان .

والجدير بالذكر، أنّ الغاية التي استقصاها النحاة من نظرية العامل تفسير ظاهرة الإعراب التي عدت من أبرز موضوعات علم النحو، و تقسيمهم للعامل إلى ما هو لفظي وما هو معنوي لم يكن إلا «اجتهاداً منهم ليظهروا أنّ العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه، ك مررت بزيد ولقيت عمراً قائماً وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به، لرفع المبتدأ بالابتداء، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم»³، والظاهر من هذا القول المعنى السببي لا المعنى الحقيقي، فالحقيقة في التقسيم

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، ص 37.

² عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص 134.

³ الخصائص، ابن جني، ج 1، ص 109.

العامل يعود إلى آثار فعل المتكلم فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم من فعل المتكلم نفسه ولا شيء غيره فهو الموجد للمعاني والعلامات والعامل مجرد الآلة في تحديد البنى التركيبية يعمل في عنصرين أساسيين تعد أقرب من العناصر الأخرى كالفاعل بالنسبة للفعل وكذا المبتدأ المعمول الأول والمفعول والخبر كمعمول ثان وقد خص سيبويه الخبر بالبناء على المبتدأ بينما علاقة الفعل بالفاعل فهي دون ذلك حيث نظر إليها على أنّها علاقة لزوم واقتضاء بين العامل و معموله الأول وهكذا حال كل العوامل الأخرى مع معمولاتها الأولى «أياً كانت مثل إنّ وأخواتها مع معمولها الأول إذ لا يخلو أي عامل من المعمول الأول وهما دائماً الزوج المرتب الذي يبنى عليه المعمول الثاني»¹، و سنوضح ذلك في الجدول الآتي²:

المبني على العامل	الزوج المرتب العامل ومعموله الأول	
	المعمول الأول م1	العامل
المعمول الثاني م2	المبتدأ	الابتداء
المبني عليه الخبر	اسمها	كان
خبرها	اسمها	إن
خبرها	الفاعل	الفعل المتعدي
المفعول به	الفاعل	الفعل اللازم
/	نائب الفاعل	الفعل المبني للمفعول
/		

نواة الكلام

¹ عبد الرحمن الحاج صالح ، البنى النحوية العربية، ص132.

² عبد الرحمن الحاج صالح ، البنى النحوية العربية، ص 133.

يتضمّن الشّكل السابق زوجاً مرتباً من عامل ومعمول أول، إذ أنّهما متلازمان ولا يتقدم أحدهما على الآخر، أمّا بالنسبة للمعمول الثاني فهو يتناسب مع البناء التركيبي ويمكن أن يتقدم على المعمول الأول وحتى على العامل نحو تقدم الخبر على المبتدأ نحو: «قائم زيد، وقائم كان زيد وعمراً ضرب زيد وعمراً ضربت»¹، ولا يتقدّم في حالات أخرى تتواجد فيها التّواسخ .

وفق هذا المآخذ، الذي استقصاه النّحاة إثر الاشتغال على النظرية العاملية نستخلص أنّ «مفهوم العامل وما يعمل فيه لا تنحصر فائدته في كونه سبباً للإعراب فقط بل أيضاً وفوق كل شيء في كونه السّبب لنشوء بنية الكلام وذلك بتخصيص لكل عنصر من عناصره موضعاً معيناً ومجموع هذه المواضع تشكل بنية الكلام تقع في أعلى مرتبة من التجريد لشموليتها»²، وعلى هذا فالعامل هو أساس كل بنية تركيبية تتأسس وترتب عليه العناصر وتتألف فهو عماد الكلام لقدرته على جمع وتوحيد الوظائف النحوية في تنظيم الكلام وصياغته .

المثال:

آلية إجرائية صورية، انفرد بها العرب ولا نجد لها مقابلاً في اللّسانيات الغربية الحديثة، إلا من كان قد اطّلع على ما قدّمه النّحاة العرب، أو من احتكّ بالمستشرقين، فهو «كل الصيغ والرسوم التي تبنى عليها كلّ وحدات اللّغة إفراداً وتركيباً فهو لا يخصّ مستوى الكلمة فقط بل يتعداها إلى مستوى التراكيب»³، وهذا ما ميّز العرب عن غيرهم في تعويلهم على المثل في إنشاء النّحو ووضعهم لكل كلمة وزناً معيناً وجذراً محدود العدد كجعلهم للثلاثي أصولاً متغيرة تمثلت في الفاء والعين واللام وزادوا عليها زوائد ثابتة فإذا ما أراد المحلل أن يكشف عن القطع الصوتية التي تدل

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص 133.

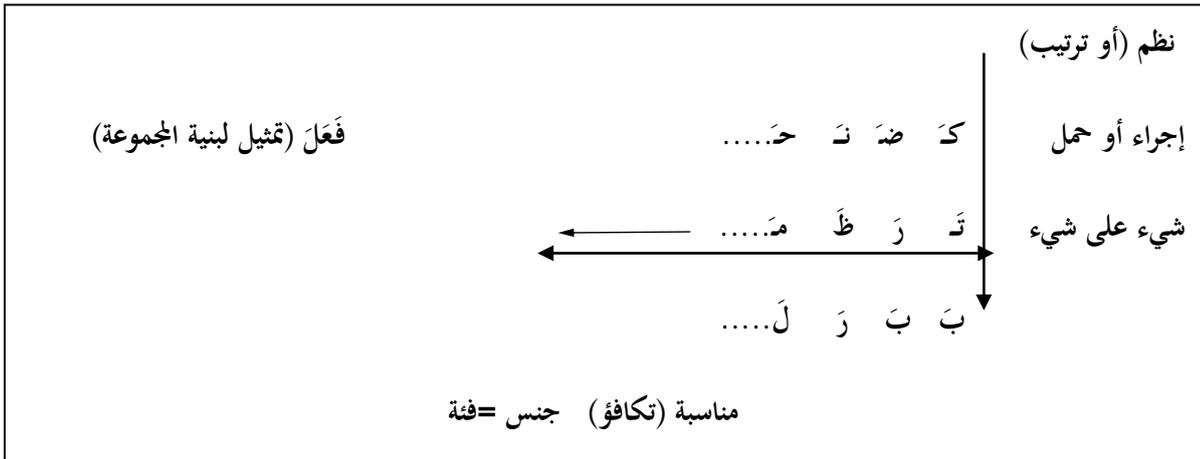
² عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص 127.

³ عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، ص 77

على الجمع أو المثني ما عليه إلا أن يبحث في بناء الكلمة النواة أو التركيز على زوائد التي تلحق بها.

وفق التوصيف السابق، بنى العرب النحو وكل العمليات التي يمكن من خلالها توليد العناصر اللغوية في جميع مستوياتها من أدنى مستوى والذي يختص بالكلمة إلى أعلاها كمستوى التراكيب والخطاب وجعلوا لكل مستوى مثالا خاصا به، لا يقتصر على التحديد بالجنس والفصل واشتمال الشيء بل يتعداها إلى حمل شيء على شيء آخر تحت بنية خطية تجمعها أو نمط معين وسنوضح ذلك في الشكل الآتي :

منهج تحديد مُثلُ الكلم في النحو العربي الخليلي¹:



تدخل الأفعال السابقة الذكر، تحت بنية ثلاثية ولم يقع تحديدها بإدخال بعضها في بعض، وإنما بحمل كل منها على نظيره، مع احترام ترتيب أجزائها، وان دلّ الشيء هاهنا، فإنه يدل على كيفية معينة في بناء الوحدات والأبنية. وبهذا تكون الكلمة العربية، مبنية على مثل معينة، حددها النحاة تمثل الهيئة التي تكون عليها الوحدة اللغوية .

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص22

وقد نبه حاج صالح، إلى أنّ مثال اللفظة يعدّ من الأشياء التي تجهلها اللسانيات الغربية، التي ارتكزت في نظريتها على التقطيع لمعالجة اللغة، أما في اللغة العربية فإنّ النحاة يعتمدون على المثل في تحديدهم أبنيتها، فالقطعة الصوتية التي تظهر لنا الجمع في كلمة (أجواء)؛ هي المجموعة المتكونة من أصول الكلمة وزوائدها، التي تدل على الجمع على وزن أفعال. وما يميز النحو العربي عن اللسانيات الغربية الآليات الإجرائية، التي انبني عليها النحو العربي، التي يصعب إيجاد مقابلات لها في الدرس اللساني الحديث.

إنّ مثل هذا التوصيف، الذي سبق لنا أن أشرنا إليه، في تحديد النحاة للمثل في مستوى الألفاظ، كان له نظير آخر في مستوى التراكيب أكثر تجريداً من التقطيع الذي آل إليه مارتيني **martinet**؛ حيث انطلقوا من أصغر ما يمكن أن ينطلق منه الكلام المفيد من أصول وزوائد، وتنبهوا إلى تأثير هذه الزوائد على الوحدات فجعلوها عوامل ومعمولات تدخل وتخرج.

الأصل والفرع:

يحلينا هذا المصطلح، إلى المفاهيم المنهجية التي تداولها النحاة العرب في دراستهم عناصر اللغة إذ أنّهم «يقسمون كل الضروب من الكلام والفئات من عناصر اللغة إلى أصول وفروع، وقد يكون العنصر الواحد فرعاً لأصل وأصل لعنصر آخر»¹، وما الأصل عند سيبويه إلا ما كان ثابتاً موجوداً في كل مناسبة، ومن هذا المنطلق أولى النحاة الأسبقية لبعض العناصر اللغوية التي تحتمل السبق في الوجود ولها القدرة على التمكن وتحمل الزوائد نحو ما جاء به "سيبويه" «الواحد أشدّ تمكناً وهو الأول، و إنّما كان المؤنث بهذه المنزلة ولم يكن كالمذكر لأنّ الأشياء كلها أصلها التذكير ثم يخص بعد... فالتذكير أول وأشدّ تمكناً كما أنّ النكرة هي أشدّ تمكناً من المعرفة لأنّ الأشياء إنّما تكون نكرة ثم تعرف فالتذكير قبل... فالأول أشدّ تمكناً عندهم... و الشيء يختص بالتأنيث

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، دط، سنة 2012م، الجزائر، ص 139.

فيخرج من التذكير كما يخرج المنكور إلى المعرفة»¹، وإذا ما لاحظنا التصنيف الذي صاغه سيبويه ما هو في الحقيقة ألا عملية تفرعية رياضية لعناصر اللغة .

ولم يكن هذا الترتيب من العدم، أو من جنس التفرع، وإنما دليل على الثبوت والاستمرار والاستغناء - إن صحّ القول - وعليه «فالتقديم في الرتبة ليس هو من جنس تفرع لفظ من لفظ فقط، بل يتحقق قبل كل شيء بحصول الاستمرار والبقاء على الحالة الأولى من جهة ويستمر من دون غيره من جهة أخرى ومن ثم استغناؤه عن فروعه»²، فالاسم أقوى من الفعل لاستغناؤه عن غيره وله القدرة على التمكّن والتصرّف وتحمل الزوائد. الأصل أشد تمكّنا وأقوى ومن الصفات الأخرى التي صنّف بها سيبويه الأصول نوعا آخر يراعى فيه التغيير اللفظي والصوتي لجنس من الكلام، دون أن يلحق بالدلالة أي تغيير، وهي أصول مفترضة غير موجودة في الاستعمال.

وهذا ما نبّه له "ابن جني"، في كون أنّ «الأصل في قام قوم وفي طال وطول وفي خاف خوف وفي شدّ شدد وفي استقام استقوم وفي يستعين يستعون فهذا يوهّم أنّ هذه الألفاظ وما كان نحوها - مما يدعى أنه له أصلا يخالف ظاهر لفظه - قد كان مرة يقال حتى إنهم كانوا يقولون في موضع قام زيد قوم زيد.... وليس الأمر كذلك بل بضده وذلك أنّه لم يكن قط مع اللفظ إلا على ما تراه وتسمعه، وإنما معنى قولنا : أنّه كان أصله كذا أنّه لو جاء مجيء الصحيح ولم يعلل لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا فأما أن يكون استعمل وقتا من الزمان كذلك ثم صرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ، فخطأ لا يعتقدّه أحد من أهل النظر»³، وما أراد ابن جني من هذا الوصف إلا دليل على إدراك النّحاة وتقديرهم للقوانين والضوابط التي تحكم اللغة من أصول وفروع تجمع وحدات اللغة وتتصرف فيها داخل المجاري الكلامية .

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 140.

² عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 140.

³ عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 142.

وعلى النحو الذي انصرف إليه النحاة العرب، أصبح الأصل عندهم «ما يُبنى عليه ولم يُبن على غيره وهو أيضا ما يستقل بنفسه أي يمكن أن يوجد في الكلام وحده ولا يحتاج إلى علامة لتمييزه عن فروعه (فله العلامة العدمية *marque zéro* على حد تعبير اللسانيات الحديثة). والفرع هو الأصل مع زيادة، أي مع شيء من التحويل والتفريع فالانتقال من الأصل إلى الفروع هو تحويل يخضع لنظام من القواعد»¹، وهو نوعان تفريع معنوي وتفريع لفظي معنوي عرف بالاشتقاق .

الأول، يخضع لتبعية معنوية في مجرى الكلام، أما الاشتقاق فهو ظاهرة لغوية تتركز على توليد وحدات لغوية نحو ما جاء به "أبو علي الفارسي 228هـ-377هـ" «كلام العرب بعضه مأخوذ من بعض فقد يكون الأصل واحدا ثم يخالف بالأبنية فيلزم كل بناء ضربا واحدا من ذلك الجنس مثل ذلك: العدل يشتق منه العدل والعدل»²، إنّ الجذر الثلاثي ع د ل حروف أصلية موضوعة على المعنى في حين العدل والعدل حروف أصلية مع نوع من التغيير في زيادة حروف أخرى ومعنى آخر زائد على الأصل ونحو هذا فإنّ المزية التي نستشفها من الكشف عن الأصول والفروع في السلاسل الكلامية تتشكل وفق ضرورة الكشف عن الثوابت التي يشترك فيها الكلم. ومن القضايا النحوية التي خاض فيها النحاة بعد سيبويه، الجدل حول حقيقة الأصل في المصدر والفعل أيهما أصل للآخر والظاهر أنّ «النحاة في زمن المبرد وثعلب تساهلوا فجعلوا المصدر ولفظه أي حروفه الأصول كأنّها شيء واحد. فصحيح أنّ هذه الحروف -أو الجذر-

¹ أجد محمد عربي، تأخر نمو اللغة الشفهية عند الطفل مقارنة لسانية عيادية في ضوء مفاهيم النظرية الخليلية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في الارطوفونيا، سنة 2017م، جامعة الجزائر 2، ص 127.

² عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 145.

موجودة في تصاريف الفعل وجميع مشتقاته ولكن المصدر هو مثل الفعل كلمة كاملة الصياغة :له جذر وله صيغة خاصة به ككل الكلم المشتقة¹ فالفعل والمصدر لهما مشتقات من جذر ثابت .

و هناك صفات أخرى حدّدها النحاة، للتفريغ اللغوي التنوع والتكاثر فالتفريع في رأيهم أحق بذلك من الأصل، لأنّ حاجة الإنسان تستدعي التنوع في كل ما حوله، حتى يتسنى له تغطية حاجته الخطائية. فاللغة عند "ابن جني" «كيف تصرّفت الحال وعلى أي الأمرين كان ابتداءها فإنّها لا بد أن يكون وقع في أول الأمر بعضها ثم أُحتجج فيما بعد إلى الزيادة عليه لحضور الداعي إليه فزيد فيها شيئاً فشيئاً إلا أنّه على قياس ما كان سبق منها في حروفه وتأليفه وإعرابه المبين عن معانيه لا يخالف الثاني الأول ولا الثالث الثاني»². اللغة لم تخلق دفعة واحدة وحاجة الإنسان وغريزته في التعبير عن متطلباته كانت سبباً وجيهاً في خلق جديد للغة عن طريق ما عرف بالقياس عند النحاة أو القدرة اللغوية على خلق وتوليد مفردات جديدة من الأصول التي وضعها النحاة مقيسة على كلام العرب، ولا يمكننا من هذا المقام أن نتجاوز المفهوم البيولوجي لمصطلح الأصل والفرع المتداول على مستوى البحث البيولوجي الحديث «فقد حُدد الأول بأنّه مجموع الميزات الوراثية genetic والتكوينية لسلسلة من الأفراد، وأما الثاني فهو مجموع الصفات الظاهرة لهؤلاء الأفراد التي اكتسبوها بتكيف الأصول التي ينتمون إليها وردّ فعله إزاء الظروف الخاصة التي وُجدوا فيها فجأة»³، إذ يتحدد الفرق بين الأصل والفرع نوعاً ما فيما يشكله الفرق بين اللغة والكلام فاللغة نظام من الرموز والعلامات والقواعد المتفق عليها من قبل الجماعة والكلام الاستعمال الفعلي الذي يتولد بفعل الممارسة اليومية لهذه القواعد بالإضافة إلى الصفات التي يعتليها هذا الاستعمال من شخص لآخر داخل الأنساق الكلامية.

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 147.

² عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 148.

³ عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 150.

في ضوء المقترحات السابقة، إنّ التفرّيع هو أصل مع زيادة أو تغيير يحصل على مستوى اللفظ أو المعنى أو كلاهما معاً بزيادة علامات أو بتغيير كلي للصيغ الأصلية وهي على الشكل الآتي :

● تغيير الأصل بتصريف الكلمة :لفظاً ومعنى من المفرد إلى الجمع، ومن المذكر إلى المؤنث، ومن المكبر إلى المصغر وغير ذلك من التصاريف¹، (زيادة علامة على الأصل).

● تغيير الأصل بتصريف الكلمة معنى فقط .

● تغيير الأصل بتوليد كلمات لفظاً ومعنى يسمى بالاشتقاق يحصل بتغيير صيغة الكلمة تماماً.

● تغيير الأصل لفظاً فقط لعارض: الأصل هنا هو كلمة تُفترض وقد توجد في الاستعمال والتغيير هو صوتي في الغالب وسببه الاستئصال².

ضمن المنطلقات التي حددها النّحاة في بناء نحو عربي، يستمد مقوماته من نظرية الأصل والفرع ، والبحث في الظواهر اللّغوية، فاللّغة كلها أصول وفروع ترتكز على القدرة على التصرف بالانتقال من العناصر الأولية إلى الوحدات المتولدة عنها ضمن قواعد وضوابط تتحكم في حدوثها فالأصل أساس كل عمليّة تحويليّة ينطلق منها والفرع ما ينتهي إليه هذا التحويل لما يقتضيه القياس.

القياس:

القياس «مصدر لفعل قاس / يقيس يدلّ على إجراء المتكلم في كلامه لمفردة أو تركيب على مثال من مُثّل كلام العرب ولو لم يسمع ذلك منهم أو من فصيح، وربما لم ينطق بذلك أحد في أي وقت ولكنّه يجريه على قياس كلامهم»³، أمّا في الاصطلاح النّحوي فهو خاصيّة من خواص

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 152.

² عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 153.

³ عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 157.

الملكة اللغوية في صناعة وتوليد تراكيب جديدة تعتمد على مهارات المتكلم في قياس الموجود على ما ليس موجودا أصلا وإن اقتصر النحاة في تدوينهم للغة العربية على النقل فقط لبقية الكثير من المعاني مبهمة نحو ما جاء به "ابن الأنباري 271هـ - 328هـ" في دفاعه عن القياس وقوله: «إنّ عوامل الألفاظ يسيرة ومحصورة والألفاظ كثيرة غير محصورة فلو لم يجز القياس واقتصر على ما ورد في النقل من الاستعمال لأدى ذلك ألا يفني ما نخص بما نخص وبقية كثير من المعاني لا يمكن التعبير عنها لعدم النقل»¹.

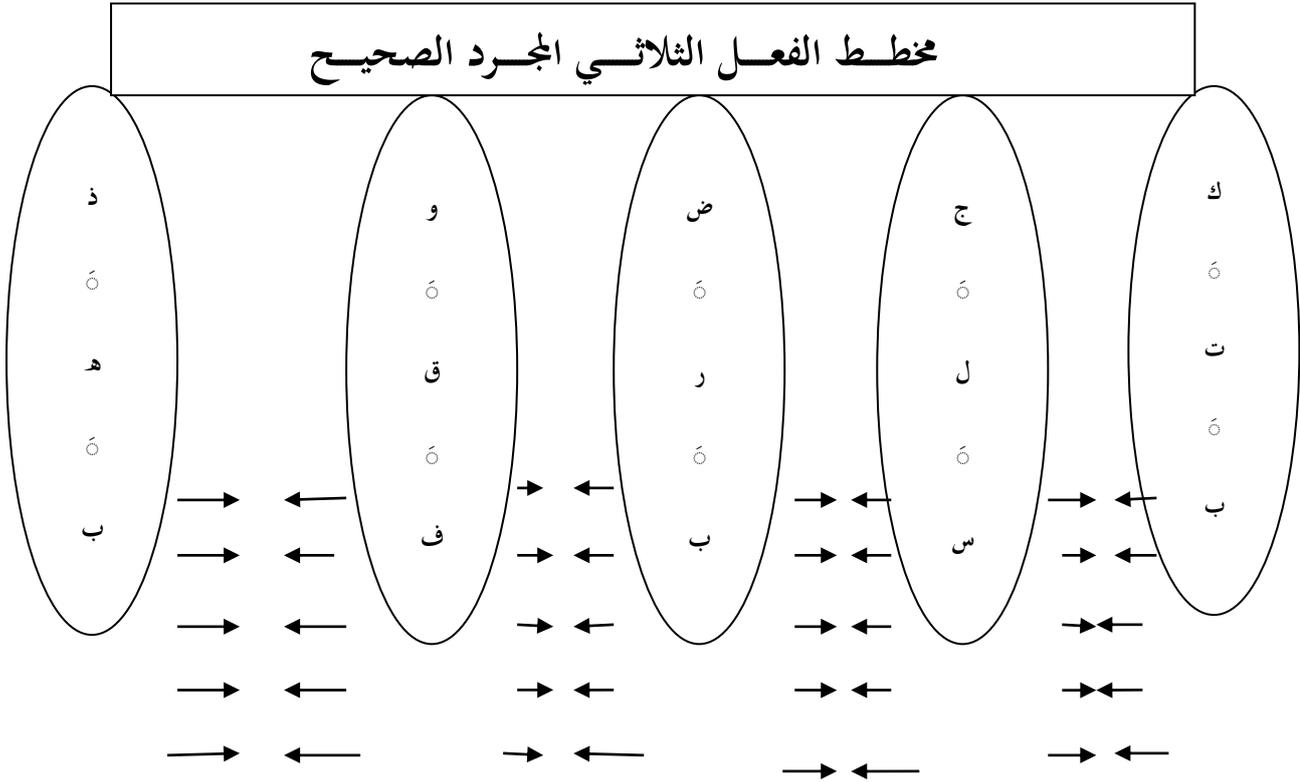
إنّ القياس النحوي خاصيّة من خواص البناء اللغوي إفرادا وتركيبا مجاله المثل اللفظية من أوزان للكلم وتراكيب الجمل، قد يكون القياس مثلا تجري عليه جميع العناصر المنتمية إلى باب من الأبواب وقد يكون نظيرا أو عنصرا مكافئا للنظائر يحصل هذا التكافؤ نتيجة توافق الصيغ والأبنية الناتجة عن التركيب .

يتحدد القياس النحوي في العربيّة على مستوى الكلم من حيث هي سلاسل من الحروف لها صيغة خاصة مرتبة ترتيبا معيّنا، وقد أشار النحوي "الرضي الأستراباذي 359هـ - 684هـ" إلى ذلك نحو قوله: «فالمراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها هيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه»²، والظاهر من كلام الرضي أنّ التكافؤ لا يقع بعدد الحروف والحركات بل على تكافؤ الحروف في مواضعها وسنوضح ذلك في المثال الآتي³:

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 158.

² نفسه، عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 167.

³ عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 168.



إن الأفعال الظاهرة في المثال حروفها أصلية فالكاف والجيم والضاد والواو والذال لها نفس الموضع رغم اختلاف المادة، إلا أنّها تحتل نفس الموضع مثلها مثل الحروف الأخرى فهي متناظرة ومتكافئة جمعها النّحاة تحت وزن واحد رمزوا لها بالفاء والعين واللام .

الموضع والموقع:

انبنى النّحو العربي على مصطلح الموضع، كمفهوم تم تداوله لغويًا على أنّه «مصدر ميمي لفعل وضع والذي معناه تركيب الشيء وتنظيمه على هيئة معينة»¹، وجاء في مواضع أخرى بمعنى الموقع المحسوس يقول "الرماني 296هـ-384هـ": «الذي يجوز في إنّ وأنّ إجراؤهما على اختلاف المواقع»²، والواضح أنّ الرماني قد اتخذ من الموضع والموقع فيما ورد في السياق موقع الوحدة في

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص 61.

² عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص 61.

تسلسل الكلام ضمن سياقات خاصة وعلى هيئة خاصة مرتبة ترتيباً معيناً فالموقع بالمعنى المقصود هو ما يحيط بالكلام وما تحمله العناصر اللغوية من مواقع في مجرى الكلام .

إنّ الغاية التي تبناها النحاة، في إدراكهم مواضع ومواقع، الوحدات اللغوية تجلت في إثبات هويّتها، وتصنيفها إلى أجناس وفتات، لكونها غير ثابتة ومتغيّرة، وقد يكون للفظ الواحد عدّة مواقع، تتحد بموضعها في سياق الكلام، فمن «خصائص هذه المواقع عند العرب أنّ اللفظ الواحد قد يتغير مجراه بانتقاله من موضع إلى موضع آخر فيصير بذلك فرداً من جنس آخر»¹، إنّ الوعي النذحوي الذي توخاه العرب في تحديد مواقع الوحدات اللغوية قائم على إحدائيات «أولها مدرج الكلام وهو توالي الوحدات في الكلام وهو ما يسميه اللغويون الآن بالمحور التركيبي (Axe Syntagmatique) ومن جهة أخرى كل واحد من الأماكن التي تقع وحدة مقام وحدة أخرى من جنسها ويسمى بمحور الشركة (Axe Associatif)»²، وهي المحاور نفسها التي جاء بها "ديسوسير" في محاضراته إلا أن العرب تفتنوا لها قبل زمن من ذلك في صورة تختلف عن ما توسع فيه ديسوسير وأتباعه.

من جانب آخر، ارتأى "سيبويه" أنّ للفظة الموضع دلالة خاصة تختلف نوعاً ما عن الموقع في مواطن كثيرة، وقد تشترك أحيانا الوحدات اللغوية في الموضع نفسه والموقع المحسوس نحو: «وجوب وقوع الفاعل بعد فعله في العربيّة ووقوع حروف الجر وأداة التعريف دائماً قبل الاسم الذي تدخلان عليه وغير ذلك»³، وتختلف أحيانا أخرى بتقدم المفعول على الفعل في زيد ضربت، فالذي تعيّر في هذا المثال، موقع الوحدة وليس موضعها، لأنّ المواقع في اللّغة العربيّة، قد تتقدم وتتأخر وجوباً وجوازاً، حسب خصوصيّة القواعد العربيّة. إذ تعتبر تأخير المفعول أصلاً وتقديمه

¹ البني النحوية العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، ص 63.

² عبد الرحمن الحاج صالح، البني النحوية العربية، ص 63.

³ عبد الرحمن الحاج صالح، البني النحوية العربية، ص 64.

كنوع من الاتساع، كما قد يكون الموضع فارغا في مدرج الكلام مع وجوده في الاعتبار، ويمكن أن تدخل وتخرج وحدات جديدة على البنى اللغوية دون أن تعيّر موضع البنية، لأن موضع تلك الوحدات يمثل مكونا من مكونات البنية نحو كلمة قاضي «حروفها الأصلية (ق ض ي) ووزنها فاعل فالياء تصاب بحذف في الرفع والجّر في التنكير وكذلك علامتا الرفع والجّر وكل واحد منهما مستقل عما يدخل فيه لأنه رتبة في سياق أو هو فضاء داخل بنية قد تدخل فيه عناصر وتخرج وهو باق في الاعتبار مع خلوه لأنه موضع مكون للبنية»¹، وأصل فيها حتى، وان طرأ عليه تغيير ضمن سياقات كلامية أخرى يبقى محافظا على اعتباره .

ومن هذا المنطلق، اختلف العرب عن الغرب، في تحديد مواضع الوحدات كأجناس، والنظر إلى ما يحيط بالوحدات داخل بنية الكلام، وذلك ما يُظهر موقفهم في تأثير المحيط في الحروف المتجاورة «كتفخيم التاء من اضرب (اضرب) لمجاورتها الضاد وكجهر التاء من ازهر (ازهر) لوجود زاي قبلها، فهذا الموقع الذي يحصل فيه التأثير المحيط الصوتي وحده في الوحدة هو مجرد موقع يؤثر في محتواه ما يحيط به يكون قبل الوحدة أو بعدها ليس غير فلا يسمونه غالبا موضعا، أمّا إمالة الألف في باع عند بعضهم فيفسرونه لا بتأثير المحيط الصوتي بل بوقوع الألف موقع الياء في بيع وهذا ما يسمونه موضعا لأنه موقع داخل بنية»²، كما قد يكون للفظ الواحد أكثر من موضع فيتغيّر حكمه بتغيّر المواضع يقول المبرد في المقتضب أنّ «مَنْ فتكون فاعلة ومفعولة وغير ذلك وموقعها في الكلام في ثلاثة مواضع: تكون خيرا معرفة إذا وُصلت ونكرة إذا أنكرت، و تكون استفهاما وجزاء»³، وقد يكون الموضع خاليا أحيانا أخرى إلا أنّ وجوده تقديري كموضع الابتداء .

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص 65.

² عبد الرحمن الحاج صالح، البنى النحوية العربية، ص 67.

³ عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 11.

ومن هنا، يُعد هذا الاختلاف النقطة الفاصلة بين حدود الموقع والموضع في اللغة العربية فالموضع أكثر تعقيدا كما أنه يُعد قاعدة من القواعد الأساسية في النحو العربي فكل كلمة لها موضعها الخاص وإذا ما حاولنا وضعها في غير موضعها جاء الكلام بعيدا عن ما اعتادت عليه مسامع العرب، ومن الأدلة التي ارتكز عليها العرب في إعطاء تفسير للاختلاف بين الموقع المحسوس وبين الموضع « تمييزهم بين حالة الوحدة التي هي عليه في اللفظ وما ينبغي أن تكون عليه بحسب ما يقتضيه القياس أو الباب »¹، فالموضع ليس الموقع اللفظي للوحدة وإنما هو تقديري تجريدي يشمل الأوضاع التي يجب أن تكون عليها العناصر اللغوية لفظا وتقديرا.

¹ عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص12.

الفصل الثاني

اكتساب اللّغة ونموها في ضوء

النّظرية اللّسانية

توطئة:

تفرّدت المساءلات اللسانية في مختلف توجهاتها ومراحلها بالطرح الأبيستمولوجي لعلاقة اللغة بالفكر والمنطق، ضمن توصيف منطقي شامل، يتضمن تشكيل عام لمجموع العمليّات النفسيّة الداخليّة، وانعكاساتها في الواقع باعتبارها حدثا وسلوكا و هذا ما نلمحه من خلال التمازج المعرفي القائم بين مختلف العلوم الاجتماعيّة والنفسيّة والتأصيل المنطقي لها، وضرورة السعي وراء البحث عن حقيقة تشكل وتكون الظواهر الإنسانيّة ومسارات تطورها.

ولعل أكثر المساءلات التي شغلت بال رجالات الفكر والفلسفة منذ القدم، سؤال علاقة الفكر باللّغة الذي لم يقف على رد جازم ومطلق إلى يومنا، وهو سؤال جوهرى تفرعت عنه جملة من الانشغالات والاستفهامات، تنصدها مسألة تشكل اللّغة عند الإنسان ونشأتها لديه، وطرائق اكتسابها وتطورها عبر مراحل نموه.

ومن هنا، فإنّ البحث في إشكاليّة بناء وتشكل اللّغة عند الطفل - الإنسان، تُحتم علينا إبراز المكونات المسؤولة عن الفكر لديه، وتفسير العلاقات القائمة بينها وبين الوظائف التي تؤديها عبر الفعل التواصلي، والعرض إلى بعض المفاهيم النظرية التي نعدّها عتبة أولى تدلّل لنا من مسالك تكشف حقيقة موضوع نشأة اللّغة عند الطفل، والأعضاء المساهمة في حدوث العملية التواصليّة .

اللغة الكلام الفكر النطق:

الكلام لغة:

يقول الرازي: «الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير والكلم لا يكون أقل من ثلاث كلمات لأنّه جمع كلمة وفيها ثلاث لغات كلمة وكلمة وكلمة والكلمة أيضا القصيدة بطولها والكليم الذي يُكلمك وكلمه تكلمنا وكلاما»¹، و يراه "ابن سيده" أنّه «القول والكلمة اللفظة

1 محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الحديث، ط ج، سنة 2003م، القاهرة، باب الكاف، ص

وجمعها كلم وكلمة ويقول: " الأصمعي 123هـ-216هـ " تكلم الرجل وكلمته مكلمة وكلمته تكليما ويقول صاحب العين لفظت بالشيء ألفظه لفظا¹، يحتمل المفهوم اللغوي للكلام على أنه الكلام أو القول تارة، والمتكلم الذي يؤدي الكلام تارة أخرى .

الكلام في الاصطلاح:

يدخل الكلام حيز اللغة باعتباره ظاهرة فردية خاصة، تحتاج إلى تدخل جملة من العمليات النفسية والسلوكية والعصبية والعضوية، ينظر إليه "ديسوسير" على أنه «استخدام مفرد للغة من قبل إنسان معين»²، كما كشفت دراسات الكلام على أنه «تسلسل خطي من الدلالات مرتبة إستنادا إلى قاعدة الما- قبل - و الما-بعد) تمتد في الزمن، كل لحظة يملأها دال فقط هذا التسلسل هو إطراء تركيبى أو تجاوري»³، يخضع هذا التسلسل إلى جانب تركيبى وجانب اختياري استبدالي وعليه فالكلام إبداع فردي يعكس خصوصية الأفراد وقدرتهم على استعمال كفاءتهم اللغوية في عمليتي الخلق والإبداع.

الفكر لغة:

عرّفه الرازي في "مختار الصحاح" بقوله: «التفكر التأمل والاسم الفكر والفكرة والمصدر الفكر بالفتح، وبابه أفكر في الشيء وفكر فيه بالتشديد وتفكر فيه بمعنى ورجل فكير بوزن سكيت كثير التفكر»⁴ فالتفكير لغة هو فعل التفكير في حد ذاته .

الفكر في الاصطلاح:

1 أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي ابن سيده، المخصص، دار الكتب العلمية، ج2، باب الفصاحة، بيروت لبنان، ص 112 .

2 ديديه بورو، اضطرابات اللغة، منشورات عويدات، ط1، سنة 1997م، بيروت لبنان، ص 13 .

3 ديديه بورو، اضطرابات اللغة، ص13.

4 الرازي، مختار الصحاح، ص 278 .

الفكر هو الوعاء الذي يحمل في طياته التصور والذكاء والذاكرة من خلال تخريج الأفكار وتجسدها على أرض الواقع؛ إذ لا يستغني أحدهما عن الآخر لارتباطهما الوثيق الذي يعكس مصداقية ما يفكر به الفرد يقول العالم "دولاكروا" «إنّ الفكر يصنع اللغة، في نفس الوقت الذي يُصنع فيه من طرف اللغة»¹، فهما وجهان لعملة واحدة ولا يمكن الفصل بينهما، فإذا اعتبرنا أنّ الفكر هو الفضاء التجريدي المشحون بتعالقات صورية يحتاج لترجمة فورية، فما اللغة إلا وسيلة متدخلة في تحقق هذا الفكر على أرض الواقع ووفقا لهذا التوصيف يمكن اعتبار أنّ ما تقوم به اللغة والفكر من أهم العمليات الديناميكية التي يحتاجها ويستدعيها الطفل في المراحل الأولى في اكتسابه للغة.

النطق لغة:

النطق في اللغة: مصدر - على فُعِلٍ - للفعل الثلاثي (نُطِقَ) الذي يدل معناه على « المنطق الكلام وقد نطق ينطق بالكسر نُطِقًا بالضم وَمَنْطِقًا وناطقه واستنطقه أي كَلَّمه والمنطيق البليغ »²، وهو كذلك «كلّ لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان أم مركبا فهو النطق والمنطق في التعارف وقد يُطلق لكل ما يُصوت به على التشبيه أو التبع: كقولهم نطق الحمامة، ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد، فإنّ الأصوات الحيوانية من حيث إنّها تابعة للتخيلات نزلت منزلة العبارات، سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الأغراض؛ بحيث يفهمها ما هو من جنسه»³، فهو كلّ ما يصوت به من أصوات وحروف تُعرف بها المعاني وتحصل بها الإبانة.

1 حاتم صالح الضامن، علم اللغة، مطبعة التعليم العالي بالموصل، دط، سنة 1989م، جامعة بغداد، ص 139 .

2 الرازي، مختار الصحاح، باب النون، ص 357 .

3 أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريبي الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط2، سنة 1998م، فصل النون، بيروت لبنان، ص 747 .

النطق في الاصطلاح:

النطق عملية معقدة «يقوم بها الجهاز العصبي الذي لدى الإنسان بإدارتها»¹، تتم هذه العمليات اثر قوانين عصبية تتحكم فيها الأعضاء المسؤولة عن النطق، ويحدث اثر الهواء المندفع من الرئتين والمار بالحنجرة والفم والمصطدم بمخارج الحروف حسب موضعية الحرف ومكان الاحتكاك وعليه يتم حدوث الصوت والتنطق به .

التواصل:

عملية حتمية يُستند عليها الأفراد في حياتهم اليومية قصد التبليغ والإخبار والتعبير عن الحاجة والمشاعر وغيرها من المكونات، والتواصل غير الاتصال، لأنها عملية مستمرة ودائمة عبر آلية تبادلية «يتم من خلالها تبادل المعلومات والأفكار والحاجات والرغبات بين المشاركين»²، ويستدعي هذا النشاط حضور أطراف يحدث بينها فعل التناقل والإخبار، أساسها متكلم ومستمع تتبينهما الرسالة؛ التي هي تحمل ترميزاً أو كودة توافقية بين الباث والمستقبل .ومن ثمة، فإنّ تحقق التواصل يستدعي حتما استفاء العناصر المسؤولة عن العملية التواصلية شروط الأداء السليم والتوافق والانسجام داخل نسق اجتماعي معين، وأي خلل يلحق هذه العناصر يحيل بالضرورة إلى بطلان أو الإخلال بمجمل العملية.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحديث عن التواصل، هو مبحث مُستفيض يتشعب عبر حقول متعدّدة وقد يُشكل براديجما معرفياً لا متناهياً، بالنظر إلى طبيعة البحوث التي أصبحت تُعنى بسؤال التواصل، التي توزعت بين كافة العلوم الإنسانية وكذا التجريبية، كونه ينهض على ثنائية الفهم والتفاهم، وندلل لهذا الرأي، بمدرسة "بالو آلتو" الأمريكية التي تضم أكثر من اتجاه يجمع علم النفس والأنثروبولوجيا والفلسفة واللغة غايتهم الكشف عن كنه هذا السلوك، وعليه، فإنّنا

1 سمير شريف استيتبة، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل، ط1، سنة 2002م، عمان الأردن، ص 13.

2 موسى محمد عمارة وياسر سعيد الناظور، مقدمة في اضطرابات التواصل، دار الفكر ناشرون، ط2، سنة 2014م، عمان الأردن، ص 25 .

سنحاول في بحثنا أن نسلط الضوء على مفهوم التواصل في إطاره النمطي الأولي، أي على مستوى تشكله النفسي والفيزيولوجي عند الطفل.

أشكال التواصل:

التواصل اللفظي **Verbal Communication**:

يتحقق التواصل اللفظي عن طريق استخدام الكلام «كرموز لغوية للتعبير عن الحاجات والأفكار والمشاعر بين الناس»¹، بواسطة الألفاظ المنقولة من متكلم إلى سامع، ويمثل هذا النوع من التواصل أهمية بالغة في تنمية مهارات الطفل، في مراحل الأولى واكتسابه الأساليب والعادات والأنماط الحياتية اليومية وتدريبه على الاستعمال الفعال للغة كوسيلة للتواصل.

التواصل غير اللفظي **No Verbal Communication**:

يعتمد التواصل غير اللفظي على الإشارات والإيماءات، فهو أسلوب يرتكز على تعبيرات الوجه واليدين وباقي أعضاء الجسد، من الإيماءات التي تظهر عند المتكلم و الباث أثناء العملية التواصلية وقد تم تصنيف هذا التواصل على النحو التالي:

التواصل المرتبط باللغة: «تضمن متغيرات الصوت واستخدامه

التواصل الحركي: الذي يشمل حركات الجسم

التواصل الجسدي: يشمل وضع الجسم والعلاقات المكانية»².

وفق المفاهيم السابقة المنبسطة أمامنا تمكنا من إدراك العلاقة المبنية بين اللغة والكلام والنطق فكلّ منها تتحدد أهميته داخل نطاق التواصل، إذ يشكل كلّ منها وسيلة من وسائل التعبير وأسلوباً من أساليب التأثير والإبلاغ.

1 أسامة فاروق مصطفى سالم، اضطرابات التواصل بين النظرية والتطبيق، دار المسيرة، ط1، سنة 2014م، عمان الأردن، ص 29 .

2 أسامة فاروق مصطفى سالم، اضطرابات التواصل بين النظرية والتطبيق، ص 31 .

نشأة اللغة عند الطفل :

لا شك أنّ غاية البحث اللساني الأولى تكمن في تتبّع المسالك المنطقية والنطقية والاجتماعية والنفسية والتواصلية للغة، والكشف عن المشاكل والعقبات التي يمكن أن تشكل حدود فاصلة تعترض مسار التعالق التواصلية من جهة، كما يحاول جاهداً أن يذللها ويصيرها ضمن مجموعة من الحلول التي تضمن لها الاستمرارية والانفتاح على الآخر من جهة أخرى، وذلك لما للغة من أهمية كبرى في حياتنا الاجتماعية واليومية وبمجرد تصفحنا لمختلف المتون وجدنا أغلبية البحوث تناولت جملة من المواضيع المتعلقة بنشأة اللغة ضمن توجهات عدة صنفت اللغة حسب وجهة ارتأتها تتوافق ومعطياتها، في كون اللغة توقيفية أم اصطلاحية أم غريزية أو ماهي إلا محاكاة لما في الطبيعة. في ضوء هذا التحديد، عُنيت مختلف النظريات اللغوية بإشكالية نشأة اللغة في رحاب اختلافات كثيرة تلتف حول أسباب النشأة والوجود، تتصدرها جدلية العلاقة بين اللغة والفكر والكلام، وهل الكلام أسبق في الوجود من الفكر؟ وكيف يكتسب هذا الفكر اللغة؟ وغيرها من التساؤلات الخاصة باللغة .

أما فيما يخص نشأة اللغة تم العزوف نوعاً ما عن مثل هذه التساؤلات «وفي القرن التاسع عشر في عام 1866م أصدرت الجمعية اللغوية بباريس قانوناً يمنع مناقشة هذا الموضوع، في الندوات واللقاءات العلمية التي تقام بشأن اللغة لان علم اللغة الحديث يتناول اللغة تناولاً علمياً»¹، وما عُرض له في هذه النظريات يفتقر إلى الدقة والعلمية إلا أننا خضنا في أهم ما قيل في هذه النظريات وقدمنا بعض الآراء التي حاول من خلالها علماء اللغة تفسير نشأتها:

النظرية الأولى اللغة الهام ووحى :

1 محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دط، سنة 2001م، القاهرة مصر ، ص77 .

المقصود من ذلك، أنّ اللّغة وحي من الله ولا دخل للإنسان في وضعها فهو اعجز من ذلك في وضع الأصوات والنطق ومسمّيات الأشياء، وقد ذهب إلى هذا الرأي في العصور القديمة، الفيلسوف اليوناني "هيراكليطوس Héraclite 535 ق م - 480 ق م"، وفي العصور الوسطى بعض الباحثين في فقه اللّغة العربيّة كابن فارس 329 هـ - 395 هـ في كتاب "الصاحي في فقه اللّغة"، اعتمد مؤيدو هذا الرأي العرب على قوله تعالى { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ }¹، كما ذكر ذلك "ابن جني 322 هـ - 392 هـ" في كتابه "الخصائص" وذهب إليه كثير من أئمة المفسرين «أنّ الله تعالى أقدر الإنسان على وضع الألفاظ»²، فكلف آدم بتسمية الأشياء وعرضها على الملائكة إلا أنّ المفسرين لم يتفقوا على تفسير واحد للآية وأصبحت حجة عليهم لا دليل لهم فلا أحد يُدرك المسمّيات التي أوحى بها الله تعالى لآدم وإن كانت توقيفية دون ذلك فما جاز للإنسان أن يتدخل فيها ويعمل على تطويرها.

النظريّة الثانیة اللّغة تواضع واتفاق :

تبنى هذا الرأي الفيلسوف اليوناني "ديمو كريتوس Démocrite 370 ق م - 460 ق م" وهو من فلاسفة القرن الخامس ق.م، كما انتصر لهذا الرأي من فلاسفة الحداثة "آدم سميث Adam Smith 1723 م - 1790 م" وغيره ممّن تأثروا بفكرة المواضعة، فمن بين ما يدعونه إليه «أنّ أصل اللّغة لا بد فيه من المواضعة وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء، فيضعوا لكل منها سمة ولفضا يدل عليه ويُعنى عن إحضاره أمام البصر وطريقة ذلك أن يقبلوا مثلا على شخص ويومئوا إليه قائلين، إنسان، إنسان، إنسان فتصبح هذه الكلمة اسما له ويسيروا على هذه الوتيرة في أسماء بقية الأشياء وفي الأفعال والحروف وفي المعاني

1 سورة البقرة الآية 31.

2 على عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، الفجالة، دط، سنة 2003م، نخصة مصر، القاهرة، ص 32.

الكليّة والأمر المعنويّة نفسها»¹ والواضح، أنّه ليس لهذا المذهب سند عقلي أو نقلي لأن ما ينجح إليه هذا الرأي يستدعي الإثبات الذي ينهض على تكشف مصدر اللّغة الأولى السابقة لكافة اللّغات وهو الأمر الذي لم يتمكن أصحاب هذه النزعة الوقوف عليه.

النظريّة الثالثة اللّغة محاكاة للطبيعة:

اللّغة عند مؤيّدَي هذه النظريّة ما هي إلا محاكاة لما تصادم معه الإنسان من أصوات اختلقتها الطّبيعة «كالتعبير الطبيعي عن الانفعالات، أصوات الحيوان، أصوات مظاهر الطّبيعة، الأصوات التي تحدثها الأفعال عند وقوعها كصوت الضرب والقطع والكسر»²، وانطلاقاً من ذلك عكسوا هذه الأصوات على مسميات تستدعيها أذهانهم وقت الحاجة إليها .

وقد عرض لهذا الرأي ابن جني فقال: «وذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللّغات كلها إنّما هو من أصوات المسموعات كدوي الرياح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونحو ذلك، ثم ولدت اللّغات عن ذلك فيما بعد»³، فإذا تم الأخذ بهذا المنطلق واعتبار نشأة اللّغة محاكاة للطبيعة، فما مصير الكم اللامتناهي من الألفاظ من منطوقات البشر التي لا تمت بالصلة لأي صوت طبيعي.

النظريّة الرابعة: التنفيس عن النفس:

اللّغة هي كل «ما ينتج عن الانفعالات والأحاسيس الداخليّة التي يحتاج الإنسان إلى التنفيس عنها والتعبير عما يجول بخاطر ونزوحه الدائم للتزود بالمعرفة والمكتسبات من خلال التواصل مع الآخر، و تمتاز هذه النظريّة عن سابقتها»⁴، بأنّها تعزو نشأة اللّغة الإنسانيّة إلى أمر ذاتي أي أنّها

1 على عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، ص 34

2 على عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، ص 40 .

3 حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص 97 .

4 نفسه حاتم صالح الضامن، علم اللغة ، ص 98.

تعد بالشعور الوجداني الإنساني، وبال حاجة إلى التعبير عما يجيش بصدر الإنسان من أحاسيس وانفعالات.

النظرية الخامسة الاستعداد الفطري:

النظرية التي جاء بها اللغوي الألماني "مكس مولر Max Müller 1823 م - 1900 م" واصطلح عليها بـ "دنج دونج" والمعنى، أنّ الإنسان مزود بالفطرة بالقدرة على صياغة الألفاظ وله الرغبة في التعبير عنها سميت هذه النظرية (دنج دونج)، فقد شبه هذه القوة الفطرية بلولب الساعة الملتف في باطنها ويشبه حوادث الزمن بيندول الساعة الذي يتحرك فيخرج بتحركه القوة الكامنة في الساعة التي ينطوي عليها اللولب. «فالزمن ومقتضيات الأحوال هي التي تخرج هذه المقدرة من حيز القوة إلى حيز الفعل، وكأنّ النفس البشرية مخزن ممتلئ بالألفاظ، يفتح شيئاً فشيئاً بمفتاح الزمن ومقتضيات الحياة الواقعية»¹، وفي الحقيقة يُمكن أن ندرك جانباً من الصحة في هذه النظرية، في كون أنّ المقدرة اللغوية موجودة عند الإنسان ويمكن تطويرها مع مرور الزمن .

ومن هنا، وعبر رصد جملة النظريات سالفه الذكر، فإننا نجزم أنّه لا وجود لنظرية مطلقة الحقيقة، منفصلة تستطيع أن تقدم تفسيراً علمياً كاملاً لنشأة اللغة، فالله سبحانه وتعالى مكن الإنسان وزوده بقدرات فطرية تمكنه من إنتاج الأصوات والكلمات والجمل عن طريق المحاكاة والتقليد والخلق والإبداع، فكلماً تملك الحاجة اللغوية لدى الإنسان استطاع أن يُدع في الارتقاء وتطوير صناعته وملكوته اللغوية.

نظريات اكتساب اللغة:

النظرية السلوكية:

كان توجه أصحاب هذه النظرية، توجهها اجتماعياً محضاً، وانطلقوا من المسلمة التي تؤكد أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية بامتياز، وأنها تخضع لكافة القوانين التي تحكم باقي الظواهر الاجتماعية، فاعتبروا «أنّ اللغة سلوكاً اجتماعياً يتعلمه الطفل عن طريق التعزيز والاقتان، فما ينطبق على

1 حاتم صالح الضامن، علم اللغة ، ص 99.

اكتساب السلوكات الأخرى ينطبق على اللغة»¹، وبذلك نفت هذه النظرية، مذهب فطرية اللغة، وقد اعتبر "سكينر B.F Skinner 1904 م-1990 م" في كتابه السلوك اللفظي عام 1957، اللغة مجموعة من ردود الأفعال، أو استجابات لمؤثرات خارجية معينة وبصورة مقبولة لدى الإنسان ويتم ترسيخها عن طريق الثواب والتعزيز من خلال المحيطين به.

كما تمّ الجزم، «أنّ بناء اللغة يتكون عن طريق التشكيل التدريجيّ من السهل إلى الصعب حيث يبدأ الطفل بالأصوات فالمقاطع ثم الكلمات والجمل، و يعد التشكيل من أشهر تطبيقات نظريته المتمثلة في الاشتراط الإجرائي»². وهاهنا، تجدر بنا الإشارة، حتّى وإن سلمنا جدلاً، بأنّ عمليّة الاكتساب تتضمن نوعاً من السلوكيات فإنّ هذا لا ينفي حقيقة الاكتساب الفطري للغة، فإن لم يكن الإنسان مزوداً بالقدرة الفطرية ومقومات بيولوجية ومؤهلات الاكتساب فما استطاع أن يتمرس على الأداء وإنماء ملكة اللغة لديه.

نظرية التعلم الاجتماعي:

تنبني هذه النظرية على أساس المحاكاة والتقليد الملقّن، وذلك بتقليد الطفل ومحاكاته لكلام والديه الواعي وغير الواعي، وتكراره لما يسمعه من كلمات وجمل أثناء عمليّة الاكتساب، مع إدخال بعض التلوينات والتغيّرات على المنطوق إرادياً وغير إرادياً، بحسب المكنة البيولوجية والمرحلية العمرية؛ حيث أنّه يصعب عليه في المراحل الأولى تشكيل وتركيب الأنساق الكلامية والجمل بشكل صحيح، وبمجرد بلوغه مرحلة متقدمة، يصبح الطفل مؤهلاً إلى «فهم الشكل النحوي لكلمات الكبار وتأتي العمليّة الثانية تقليد هذا الشكل النحوي، أمّا العمليّة الثالثة فهي

1 قحطان أحمد الظاهر، اضطرابات اللغة والكلام، در وائل، ط1، سنة 2010م، عمان الأردن، ص55.

2 قحطان أحمد الظاهر، اضطرابات اللغة والكلام، ص57.

استخدام الشكل التحويلي في جملهم الخاصة بهم»¹، فبمجرد تعود الطفل على تكرار نمط معين من الجمل يصبح قادرا على فهمها وتقليدها واستخدامها أثناء حاجته.

النظرية الفطرية:

تعد هذه النظرية بفطرية اللغة، وأنّ الطفل يولد وهو مزود بآليات تمكنه من اكتسابها، وجاءت هذه النظرية كردة فعل على ما قدمته النظرية السلوكية، التي شبهت الإنسان بالآلة يحتكم إلى آلية المدخلات والمخرجات، وأنّ اللغة قائمة على مثير واستجابة، في حين أنّ النظرية الفطرية ترى عكس ذلك، فالمؤثرات الخارجية لوحدها غير كافية في إنتاج وتفسير اللغة، وقد زعم "تشومسكي Chomsky" «أنّ اللغة الكلامية قدرة فطرية مخلوقة لدى الفرد وهي قدرة خلاقة تعمل بنظام في خلق اللغة والكلام حيث أنّ الطفل يولد وعنده من ساعة ولادته قدرة في اكتساب لغة الأم، و عندما يستوعب الطفل القواعد المختلفة التي تعتمد عليها اللغة، تتكون عنده القدرة على الخلق والابتكار، أي القدرة على تركيب الجمل المختلفة التي يريدتها في الوقت والظرف المناسبين، دون أن يكون بالضرورة قد سمع تلك الجمل أو حفظها ممن حوله»²، تمكنه هذه القدرة في استيعابه القواعد وتطبيقها في عمليتي الخلق والإبداع .

النظرية المعرفية:

تهتم هذه النظرية، بالعمليات العقلية المسؤولة عن اللغة. ومن ثمة، فهي ترى أنّ اكتساب اللغة يجب أن يُنظر إليه ضمن التطور العقلي للطفل ويعتقد "بياجيه Piaget 1896م- 1980م" «أنّ النمو اللغوي يرتبط ارتباطا وثيقا بالتطور المعرفي من خلال تطور العمليات العقلية لديهم»³، فالذكاء عند بياجيه ليس سمة ثابتة وموروثة، فهو عملية تجمع بين ثلاثة حدود وهما النضج البيولوجي والعوامل البيئية والقدرات المكتسبة .

1 قحطان أحمد الظاهر، اضطرابات اللغة والكلام، ص 58.

2 قحطان أحمد الظاهر، اضطرابات اللغة والكلام، ص 60.

3 قحطان أحمد الظاهر، اضطرابات اللغة والكلام، ص 61.

وبناء على المعطيات التي عرضنا لها، عبر ما تم رصده من النظريات التي سعت إلى التعليل وتفسير عملية اكتساب اللغة عند الإنسان، فإنه يتبدى لنا بوضوح أنه يصعب الجزم بما كان، والأخذ بنظرية بعينها، وأنه لا يمكن تفسير هذه الظاهرة إلا في ظلّ جملة من التصورات، والمعطيات التجريبية وفق طرح ابستيمي جامع يسعى إلى مطاولة معرفة شاملة تركز على علم النفس واللغويات وعلم الاجتماع وعلم الأعصاب وغيرها من العلوم التي تمكنها من فهم ومعرفة اللغة .

العملية النطقية والأعضاء المسؤولة عن حدوثها لدى الطفل:

إنّ العمليات النطقية، تحتاج إلى تدخل كافة العوامل النفسية والمكونات العضوية المسؤولة عن إنتاجها و التي تشكل نسيجاً من العلاقات الوظيفية يصعب فيها تمييز دور مكون عن الآخر؛ حيث أنّ الوظائف تنضد بعضها بعضاً وتشتغل بشكل ممكن في تداخل منسجم ومنظم، لدرجة أنّه لا يمكن حصر ولا تحديد العنصر المتدخل عبر إحدائيات ثابتة، وهاهنا، يذهب "عبد الرحمن أيوب 1919 م- 2013م" إلى «إن عجز الإنسان عن الكلام لإصابته بالكم لا يعني على الإطلاق عجز أعضائه هذه عن القيام بوظائفها الأخرى التي تحفظ على صاحبها الحياة فلسان الأخرس يقوم بجميع الوظائف التي يقوم بها لسان الشخص السوي فيما عدا الكلام بطبيعة الحال»¹، وذهب المذهب نفسه الدكتور "كمال بشر 1921م- 2015 م" «الذي ارتأى أنّ تسمية أعضاء معينة أعضاء نطق، تسمية مجازية لأنّ إصدار الأصوات الكلامية ما هو إلا وظيفة واحدة من الوظائف الكثيرة التي تقوم بها هذه الأعضاء، فتسميتها بأعضاء النطق إذن تسمية من باب التوسع والمجاز»²، والظاهر في هذا الأمر أنّ تسميتها بأعضاء النطق تسمية مجازية باعتبارها

1 سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية دار وائل، ط1، سنة 2002 م، عمان الأردن، ص12.

2 نفسه، ص12.

الأعضاء المسؤولة عن العمليات النطقية وأن غياب أي عنصر منها يؤدي إلى خلل في اكتساب اللغة .

ومن هنا، فقد أفضت بنا هذه الحقيقة إلى تسليط الضوء على مجموع الوظائف النطقية، بوصفها عمليات ظاهرة يمكن توصيف موقعية حدوثها. ومن ثمة، الانتقال إلى توصيف هيئة تشكل المنطوق عبرها. فالإنسان، بطبيعته كائن حي مزود بجهاز تصويقي مرن يقوم بتفعيله كلما دعت الحاجة إلى ذلك؛ أي كلما أراد التواصل مع الآخر من خلال عدد محدود من الأعضاء يقوم بإنتاج عدد من الأصوات تختلف باختلاف العضو المسؤول عن إنتاجها وبمجموعة من الصفات الأساسية ذات القيمة التمييزية والفارقة، تتحقق هذه القيمة فيزيولوجيًا وفيزيائيًا عند الحدوث وتتحقق منطقيًا عبر أنساق الكلم ذلك «أنّ الوظائف الفوناتيكية للصوت إنما هي قيمته النطقية المجردة، بغض النظر عن استعماله في سياق لغوي، وأما القيمة الفونولوجية للصوت فهي دراسة الصوت في سياق لغوي أو مجموعة من السياقات»¹.

أعضاء النطق:

الشفتان:

- هما ثنيتان لحميتان تغطيان عند انطباقهما الفم، وفي كل واحدة منهما حقلان «أحدهما داخلي ويسمى باطن الشفة والآخر خارجي ويدعى ظاهر الشفة وبهذا يكون في الشفتين أربعة حقول هي باطن الشفة العليا وظاهر الشفة العليا، وباطن الشفة السفلى وظاهر الشفة السفلى»²، تكمن القيمة النطقية المجردة التي تحدثها الشفتان سواء بالانغلاق التام أو الجزئي، وكذا في الاختلافات الحاصلة في مجرى الهواء والعوائق التي تعترض طريقه والفراغات التي تسمح له بالنفوذ حدوث أصوات انفجارية (ب)، أصوات غير شديدة (م) وأصوات مهموسة (ف).

1 سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية رؤية عضوية و نطقية و فيزيائية، ص 22 .

2 سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال الوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، ط 2، سنة 2008م، ص 22.

أما الوظائف الفونولوجية تعمل على قلب صوت إلى آخر، ليمثل صوتا مجاورا بإغلاق الشفتين عند نطق النون مثلا، يجعل النون ميما، فإذا أخذنا كلمة "ذنب" مثلا والتي ينطقها الكثيرون منا "ذنب" تسمى هذه العملية بالمماثلة¹.

اللسان:

- هو العضو الرئيس في عملية النطق ينقسم اللسان باعتبار وظائفه النطقية إلى خمس مناطق هي :

- نصل اللسان وهو الجزء الأمامي منه
- حافة اللسان وهي المنطقة الجانبية من اللسان يمنة ويسرة
- وسط اللسان وهي المنطقة التي تبتدئ من نهاية النصل حتى منتصفه
- مؤخرة اللسان وهي المنطقة التي تشمل الثلث الأخير منه
- جذر اللسان وهو الجزء الأول المقابل لفراغ البلعوم²

شكل اللسان قريب من شكل الحرف U أو الحرف V وهو منقسم في وسطه إلى قسمين بشكل أخدودي عند مستغرق اللسان من الخلف يوجد ثقب صغير يسمى الثقب الأعور، «ينتمي اللسان في عامته إلى الحجرة الفموية ولذلك فإنه عند إغلاق الفم يكون اللسان فيوضع استراحة تامة في الفم، ويكون اللسان في هذا الوضع منطبقا على الجزء العلوي من الحجرة الفموية، ذلك الجزء الذي يمتد من خلف الأسنان العليا حتى مؤخرة الحنك»³، عضو مرن يتحرك في جميع الاتجاهات حتى يتكيف مع موقع حدوث الصوت اللغوي .

الأسنان:

- يحتوي التركيب الفموي لدى الإنسان اثنتان وثلاثون سنا، ستة عشر في الفك العلوي ومثلها في الفك السفلي، تستخدم الأسنان موضعا لنطق قسمين من الأصوات :

الأصوات البين أسنانية:

1 سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ص 25

2 سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، ص 23

3 سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية، ص 26

- (بما بين الأسنان) هي الأصوات التي تنطق بوضع مقدمة مستدق اللسان بين الأسنان العليا والسفلى كما هو الحال في التاء والذال والطاء .

الأصوات الأسنانية:

- هي الأصوات التي تنطق «بوضع مستدق اللسان على باطن الأسنان العليا، كما هو في التاء والذال»¹.

اللثة:

- الحيز الذي يمتد من من مغارز الأسنان، «ويشمل الجسر اللثوي وينتهي بانتهاء التحذب الذي يقع بعده تقعر ويمكن تقسيم هذه المنطقة على ضيقها إلى منطقتين أولاهما: مقدمة اللثة وثانيها منتهى اللثة ومن المواضع التي ينطق بها الأصوات العربية هي: التاء، والذال، الراء، الزاي، السين، والصاد، والضاد، والطاء، واللام، والنون»².

الحنك الصلب:

- يسمى كذلك الغار «يقع خلف اللثة، ويستغرق حيزه ما يقرب مساحة من نصف مساحة الفك العلوي وفي منطقة الحنك الصلب يقع موضع نطق الجيم والشين والياء.

الحنك اللين:

- يسمى الطبق وهو المنطقة اللينة من الفك العلوي وهنا يقع موضع نطق الكاف والجيم القاهرية والحاء، الغين المرققتان، والنون الطبقيّة التي في مثل "منك".

اللهاة:

- عضلة شكلها الخارجي مخروطي، وهي مرنة قابلة للتحرك ومن وظائفها، أنّها عند البلع تغلق الحنجرة الأنفيّة فتفصلها عن الحنجرة الفمويّة .

الحلق:

1 سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال الوظيفة والمنهج، ص25.

2 نفسه، ص 25، ينظر: الأصوات اللغوية رؤية عضوية، ص47.

- تجويف عضلي يقع بين مستغرق اللسان والحنجرة ويبلغ طوله نحو 12 سم، وهو مجرى عضلي غشائي يصل الفم بالمريء ويكون ضيقا في الأسفل متعا من الجهة العليا وهو موضع نطق العين والحاء¹.

الحنجرة:

- الجهاز الأساسي للتصويت، تحتوي الحنجرة على أحد عشر عضوا والوتران الصوتيان في الحنجرة هما اللذان يحدثان التصويت الذي يشمل الجهر والهمس.

القصبة الهوائية:

- تدعى كذلك الرغامى وهي أنبوب مرن مزود بحلقات غضروفية غير كاملة الاستدارة.

الرئتان:

- توصف الرئتان بأهما عضوا التنفس الرئيسان، قوامها اسفنجي وتمتازان بقوة ومرونة كقوة المطاط ومرونته، والرئة اليمنى أكبر من اليسرى.

الأنف والحنجرة الأنفية:

- تشمل الحنجرة الأنفية فراغي الأنف وسائر الفراغات الأخرى ومن ضمنها الجيوب الأنفية التي تخدم في تخفيف وزن الرأس وإحداث التوازن وهذه الحنجرة وظائف صوتية فهي حجرة رنين جيدة للأصوات الأنفية²، تقوم بعملية ترشيح الأصوات وتعديلها.

الوتران الصوتيان:

- زوجان من نسيج عضلي مرن يقع داخل الحنجرة ويتخذان فيها وضعا أفقيا من الأمام إلى الخلف، «يكون أحدهما علويا والثاني سفليا ويسمى الفراغ بينهما بطين الحنجرة يتحرك الوتران الصوتيان حركات يقترب أو يبتعد فيها أحدهما عن الآخر، يختلف حجمهما من شخص إلى آخر

1 سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، ص 26.

2 عصام نور الدين، علم الاصوات اللغوية الفونيتيكا، دار الفكر اللبناني، ط1، سنة 1992 م، لبنان، ص 69.

وحجمهما عند الرجال على كل حال أكبر من حجمهما عند الأطفال والنساء كما أنهما عند الرجال أكثر تدويراً¹، يختلف معدل تذبذب الأوتار على حسب الشدة والاهتزاز .

مراحل النطق عند الأطفال:

تتباين الآراء حول كيفية تصنيف المراحل العمرية التي يمر بها الطفل في حياته، واستعداده الفطري لاكتساب كم هائل من المعارف، ويتبدى ذلك من خلال وقوفنا على التقسيمات التي حددها علماء الصوت، للوظائف الفوناتيكية التي تؤديها أعضاء النطق.

وانطلاقاً من وجهات نظر مختلفة شملت النمو العضوي، والنمو الذهني، وتأثير العوامل الاجتماعية والذاتية في طبيعة النمو، سنسعى إلى الوقوف على كيفية بلوغ الطفل المعارف والمدرجات وكيفية ترتيبها ذهنياً، وهل هناك أسبقية لعنصر على الآخر أم هناك علاقات تكاملية غايتها حصول المعرفة، وهاهنا، قدم "فيرث Firth 1890 م -1960م" تقسيمات ارتكز فيها على النمو العضوي لدي الطفل وجعلها في سبعة مراحل :

1. مرحلة المهد: وهي منذ ولادته إلى ما قبل استطاعته الجلوس
2. مرحلة الجلوس: في هذه المرحلة يكون قد بدأ الكلام
3. مرحلة الحبو: ففي هذه المرحلة يتسع عالم الطفل شيئاً ما لأن الحبو ينقله إلى أبعد مجالسه

4. مرحلة السير بمساعدة : وفي هذه المرحلة ينتقل الطفل إلى عالم أرحب
5. مرحلة السير لوحده في حدود المنزل
6. مرحلة السير خارج المنزل

1 سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ص 67 . وينظر أيضاً إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، دط، دت، مصر، ص 18 .

7. مرحلة الذهاب إلى المدرسة¹

إنّ المنحى الذي سار عليه فيرث يرتكز على الناحية العضوية بشكل مبالغ فيه، مغفلا الجانب النفسي للعمليات المنطقية الداخلية، ونجده لم يعرض لما يتكون لدى الطفل أو ما يمكن أن يكونه في التسلسل المرحلي للاكتساب، وعليه سنحاول في هذا العنصر أن نصف المراحل التي يمر بها الطفل في اكتسابه للغة وفق مرحلتين المرحلة ما قبل اللغة والمرحلة اللغوية :

المرحلة ما قبل اللغة:

يعتمد الطفل في هذه المرحلة على جملة من الآليات التي يُعبّر بها عن رغباته وتفاعله مع غيره، كالبكاء أو الصراخ كأول عملية عضوية يُنتجها الطفل لحظة الولادة تحدث بسبب دخول الهواء لأول مرة في جهازه التنفسي ويكون بداية اندفاع الهواء في الرئتين نحو القصبة الهوائية، فهو بمثابة تمرين أولي للجهاز النطقي، يلجأ إليه الطفل للتعبير عن انفعالاته ورغباته كالجوع والخوف والألم تمتد هذه المرحلة من الولادة إلى الشهر الثالث عادة ويمكن أن تستمر حتى الشهر الثامن.

المناغاة:

يركّز الطفل في هذه المرحلة، على تكرار بعض المقاطع الصوتية، بصورة إرادية لإتقانها والتمرن عليها، تمتد هذه المرحلة من الشهر الرابع وتنتهي في الشهر السابع يصبح الطفل أكثر تحكما في عملية التنفس وفي جهازه النطقي، من خلال التمرينات الصوتية وتدريبه على نطق الأصوات اللينة وبعض الأصوات الساكنة و بالتحديد«وفي هذه المرحلة بل من قبل هذه المرحلة، يختزن الطفل في ذاكرته كثيرا من الكلمات والجمل التي ينطق بها المحيطون به ويفهم مدلولها بدون أن يستطيع محاكاتها»². وهاهنا، تظهر قدرة الطفل على الفهم واستيعاب الكلمات، وإدراك

1 حاتم صالح الضامن، علم اللغة، ص 107.

2 علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الطفل والإنسان، ص 166.

مدلولاتها قبل أن يستطيع النطق، بما بخاصة أسماء الأشخاص المحيطين به، وإدراكه أجزاء جسمه وبعض الأفعال والأوامر المطلوبة منه .

التقليد:

يبدأ الطفل في تقليد الأصوات، منذ الشهر السابع حتى الشهر الحادي عشر يتضمن هذا التقليد تركيبات صوتية متحركة وساكنة، تختلف من حيث الصفة والكم من طفل إلى آخر، ومع التقدم في السن تصبح هذه الأصوات أكثر وضوحا وقريبة من أصوات الكبار نوعا ما، حيث يقوم الطفل بتقليد الأصوات والكلمات التي سمعها من قبل المحيطين به، ولكن بشكل غير سليم، فترى أنّ أغلب الكلمات قد لحقها نوع من التحريف والتبديل في مواضع أصواتها، و يعود ذلك إلى عدم اكتمال نضج أعضاء النطق وضعف إدراكه السمعي، كما يولع الطفل بشدة في هذه المرحلة بتكرار الأصوات والكلمات التي سبق أن قام بتكرارها في المرحلة السابقة ويقوم بتوظيفها في أغلب كلامه، ترتقي لغة الطفل في نهايات هذه المرحلة من التعبير عن الجمل بكلمة واحدة إلى أن تصير ثلاث كلمات أو أكثر، وتكون خالية من الروابط والحروف لعدم قدرة الطفل إلى الانتقال من عالم المحسوسات إلى التجريد.

المرحلة اللغوية:

تمتاز هذه المرحلة باستغناء الطفل عن الرطانة والمناغاة، واستبدالها بكلمات تحمل معان واضحة، ويصبح الطفل أكثر استيعابا لنفسه وتكيفاً مع محيطه، وأكثر قدرة على الفهم والتعبير، بكلمات وتكوين الجمل واستيعاب معاني الألفاظ ومدلولاتها وإدراكه للأفعال والأحداث والعلاقات «يتم اكتسابه لأقسام الكلام طبقاً للترتيب الآتي الأسماء فالأفعال فالأدوات»¹، تمتد هذه المرحلة تدريجياً من الشهر الحادي عشر إلى عمر 5-6 سنوات .

1 علي القاسمي، الطفل واكتساب اللغة بين النظرية والتطبيق، الممارسات اللغوية، العدد الرابع، سنة 2011م، تيزي وزو الجزائر، ص 233 .

اكتساب اللغة باعتبار المراحل العمرية بحسب النظرية المعرفية لبياجيه:

انبت النظرية المعرفية عند بياجيه على أسس علمية متنوعة جمع فيها بين البيولوجيا والفلسفة والفيزياء، تضمنت اهتماماته علم المعرفة وهذا ما قاده إلى دراسة النمو المعرفي للإنسان، واعتماده على الأسلوب العلاجي في تطبيق الاختبارات وطرح الأسئلة والملاحظة، حيث ركز من خلال الدراسات التي أجراها في معهد "بينت Bennett" على تتبع النمو البيولوجي والمنطقي والنفسي للأطفال، ومحاولته الخوض في كيفية تشكل البنيات الفاعلة في جسم الإنسان وتحليل كم العلاقات المسؤولة عن إنتاجها ونظاميتها عند الطفل السوي، وما ينتج عن فقدانها أو حدوث خلل فيها عند الطفل المصاب وربطه «بالمعرفة أو البنية بصفة عامة بالفلسفة والمجتمع وبكل العمليّات النفسية وحتى الخبرات والقدرات التي يمتلكها الفرد والتي هي بدورها قابلة للتطور من حالة أ إلى حالة ب أو من عالم المحسوسات إلى عالم التصورات والمجردات»¹، وفق نظامية معينة تحتكم إلى جملة الخبرات الخارجية والداخلية التي تُسهم في اكتساب اللغة و تطويرها.

ومن شروط المعرفة التي أكد عليها بياجيه كثيرا في بحوثه بلوغ الفرد «عنصر التكيّف وفي الحقيقة ما هو إلا توازن بين العناصر البيئية المجسدة على البنية (الاستيعاب) و تحولات هذه البنية تبعا للمعطيات البيئية (التلاؤم)»²، فالنمو المعرفي عند الأطفال يتحدد من خلال النضج البيولوجي وتفاعل هذا النضج مع البيئة وارتكازا على هذا المعطى أسس بياجيه تقسيمات عمرية يعبرها الطفل في اكتسابه للغة وكيفية تطويره للمدخلات والبنيات المنطقية والمتمثلة في ما يلي:

المرحلة الحسية الحركية (من الميلاد حتى سنتين):

1جون بياجيه، الاستومولوجيا التكوينية، ت السيد نفاذي، راجعه وقدم له محمد على ابو ريان، دار الكوين، دط، سنة 2004م، دمشق سوريا، ص 8 .

2موريس شربل، التطور المعرفي عند بياجيه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، سنة 1986م، ص 86 .

تمثل هذه المرحلة العتبة الأولى، التي يفتح الطفل بها على العالم الخارجي، من خلال المحسوسات التي تتحكم في أفعاله وبالتالي «تصبح ردات فعله مجرد انعكاسات لما يحس به كالإحساس بالجوع والألم والفرح، وتنتهي هذه المرحلة عندما يبدأ الطفل في استخدام اللغة وتعلم الكلام وغيره من الأساليب التي يرمز بها إلى ما يريد»¹، تتطور عند الطفل مجموعة من القدرات المعرفية كمعرفته لوجود الأشياء مستقلة عن مجال إدراكه حتى لو لم يراها واستخدامه اللغة بوصفها وسيلة لتمثيل الأشياء والمشاعر.

المرحلة الحدسية (ما قبل القيام بالعمليات: 2 إلى 4 سنوات):

تنقسم هذه المرحلة إلى قسمين مرحلة ما قبل إدراك المفاهيم² تمتد من (2 إلى 4 سنوات) ينتقل فيها الطفل من مرحلة السلوك الحسي الحركي إلى مرحلة التفكير ولكن التفكير يعتمد على الأداءات والأفعال فقط ولا يزال غير قادر على تكوين مفاهيم عامة عن نفسه وعن غيره كإدراكه للطيور وعدم قدرته على التمييز بين أنواعها.

مرحلة النمو الحدسي أو التخميني (4 إلى 7 سنوات):

في هذه المرحلة يعتمد الطفل «أثناء تفكيره وأثناء العمل بالأداءات التي تختلف من حالة إلى أخرى ومن موقف إلى آخر إلى التخمين أو ما يسمى بالتفكير الحدسي ويرجع ذلك إلى عدم قدرة الطفل على رؤية واستيعاب العلاقات البسيطة بين الأشياء أو بين الكل والجزء أو بين السبب والمسبب ويلجأ الطفل إلى التخمين فيما يتصل بالعلاقات العددية أو الهندسية»³، يتمركز إدراكه حول ذاته و رؤيته العالم من منظور خاص ليس كما هو في الواقع، فإذا سألت الطفل عن قدمه اليمنى واليسرى يعطيك الإجابة الصحيحة، في حين إذا قمت بسؤاله وأنت تقف أمامه عن يدك اليمنى واليسرى تكون إجابته خاطئة انطلاقاً من اليد المقابلة ليده .

1 جون بياجيه، الإستمولوجيا التكوينية، ص 27 .

2 عزيز سمارة عصام النمر، هشام الحسن، سيكولوجيا الطفولة، دار الفكر للطباعة والنشر، ط3، سنة 1999م، عمان الأردن، ص 164.

3 بياجيه، الاستيمولوجيا التكوينية، ص 27، ينظر: عبد الفتاح أبو معال، الاستعداد اللغوي عند الطفل، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2000م، عمان الأردن، ص 94-95 .

مرحلة العمليات الحسية المباشرة (7 إلى 11):

تزداد خبرة الطفل في هذه المرحلة مقارنة بالمراحل السابقة ويصبح أكثر حاجة إلى تحقيق التوازن المعرفي المرهون بالمعالجة العمليّة الذهنيّة لا بالمعالجة الحسيّة، الانتقال من المركزية الذاتية إلى الحياة الاجتماعيّة بفعل قدراته وخبراته المنفتحة على الآخرين يمتد منظوره إلى رؤية العالم وفقا لأفكارهم وتوقعاتهم، كما يكون قادرا أيضا على تكوين المفاهيم واستخدامها (العدد- الطول- المسافة -الوزن والحجم).

مرحلة العمليّات الصوريّة (11 إلى 15 سنة):

اعتبرها بياجيه من أهم المراحل النمائيّة المعرفيّة والعمليّات المنطقيّة المجردة التي ترقى إلى مستوى التنظيم والتوازن المعرفي؛ حيث يتوصل الفرد في هذه المرحلة «إلى الإدراك العقلي الموضوعي لا الذاتي ويمكن أن يتعاون ويندمج مع الآخرين في محاورات يستخدم فيها القواعد والقوانين بسلاسة»¹، ففي هذه المرحلة أصبح قادرا على الاندماج والتعامل مع الطرف الآخر بوعي أكبر مما كان عليه في المراحل السابقة.

إنّ المنحى التساؤلي عند بياجيه لم يتوقف عند حدود التقسيمات العمريّة التي وضحها بشكل تفصيلي وعرضه لمختلف المراحل التي يجتازها الطفل، بل تعدى ذلك إلى البحث في كيفية تشكل الذكاء عند الأطفال وكيفية تشكل المعرفة وإنتاجها وهل للبنيات المنطقيّة علاقة بتحول الذكاء وانتقاله من مرحلة إلى أخرى وهذا ما سنحاول توضيحه فيما يلي :

الذكاء الحسي الحركي:

ينمو مع الطفل منذ الولادة حتى عمر السنتين تقريبا، و هذا الذكاء يصفه بياجيه على أساس أنّه بدون تفكير أو تمثيل، بدون كلام ولا مفاهيم ينقصه الوظيفة الرمزيّة التي تُتيح له تمثيل

1جون بياجيه، الاستمولوجيا التكوينية، ص 28 .

ذلك بصورة ذهنية أو التعبير بصورة كلامية، يمر بعدة مراحل وينتقل من صفة إلى أخرى بحيث تُعتبر كل مرحلة تمهيدا للمراحل اللاحقة وقد صنّفها بياجيه على النحو الآتي :

المرحلة الأولى: عند الطفل التمرين الانعكاسي:

تعتبر هذه المرحلة مرحلة التمرين فهي «مرحلة التدريب الانعكاسي مثلا كالتدرب على الرضاعة تثبت انعكاس الرضاعة بشكل وظيفي، فالرضيع بعد عدة أيام يستطيع تناول ثدي أمه أفضل من المحاولة الأولى وباعتبار أنّ الانعكاس تحقق في ذلك فهو قد دخل فضاء التكيف ويحصل كل من الاستيعاب والتلاؤم»¹.

المرحلة الثانية: أول أنواع التكيف المكتسبة وردة الفعل الدائرية:

يبدأ الطفل في القيام بأداءات وظيفية مكتسبة وتظهر لديه عملية «الاستيعاب بالانفصال عن التلاؤم ويتبين لدى الطفل سلوك جديد كتحريك اللسان ومصّ الإبهام وقد سُميت هذه الحركة عند بالدوين بالحركة الدائرية وأكد عليها بياجيه واعتبرها كل تمرين وظيفي مكتسب يكون امتداد لتمرين انعكاسي»²، فالتدرب على الرضاعة باستخدام اللسان استدعى قابلية تحريكه بشكل روتيني وانعكاس سلوكي جديد.

المرحلة الثالثة: أنواع التكيف الحسية الحركية الهادفة:

تم هذه المرحلة من أربعة أشهر حتى الشهر التاسع، ينتقل فيها الطفل من النشاط الانعكاسي إلى النشاط الذكي بالمعنى الصحيح «يميل ببساطة إلى توليد كل نتيجة مفيدة تحصل ذات علاقة مع المحيط الخارجي دون أن يسعى الطفل حتى الآن إلى تجزئة أو تجميع الصور الحاصلة

1 موريس شربل، التطور المعرفي عند بياجيه، ص 111.

2 موريس شربل، التطور المعرفي عند بياجيه، ص 112.

فيما بينها»¹، وعليه يبدأ التكوين التدريجي لفعل الذكاء ويبدأ الطفل في التقاط الأشياء والنظر إليها وربطها مع الصور الخارجية قصد تعزيز ما اكتشفه عن طريق الصدفة.

المرحلة الرابعة: تنسيق الصور الثانوية وتطبيقها على المواقف الجديدة:

تمتد هذه المرحلة من الشهر التاسع إلى الشهر الثاني عشر، يستطيع الطفل في هذه المرحلة تنسيق الصور الثانوية التي تم اكتسابها في المراحل القبليّة وإمكانية تطبيقها على مواقف جديدة، و المقصود أنّ الطفل قد وصل مرحلة استيعابه للصور الثانوية واستطاع إدراك العلاقات القائمة بينها ويصبح الاستيعاب مساوياً مع التلاؤم «إن تناسق الصور فيما بينها يعني استيعاب هذه الصور وإيجاد علاقة بين الأشياء التي تؤلفها لكن إذا لم يتم التلاؤم إلا تبعاً لتناسق الصور فإنها تنطبق على العلاقات بين الأشياء نفسها، عندما يزيج التلاؤم صعوبة معينة يكتشف علاقة جديدة»².

المرحلة الخامسة: الحركة الدائرية من الرتبة الثالثة واكتشاف الوسائل الجديدة بالتجريب الحّي:

تمتد هذه المرحلة من الشهر الثاني عشر إلى الشهر الثامن عشر، تتميز هذه المرحلة بالتجريب والبحث عن الوسائل الجديدة، يحصل ذلك عن طريق إيجاد صور جديدة تتناسق مع الصور القديمة التي تم اكتشافها ويتحقق فعل الذكاء بربط الوسائل بالأهداف أو المقدمات بالنتائج.

المرحلة السادسة:

تمتد من العام والنصف حتى العامين، ويكمن الجديد في هذه المرحلة «أنّ الاختراعات لا تتم بشكل عملي، بل تنتقل إلى المستوى الذهني فالاختراع المقصود هنا هو خلق صحيح بإعادة تنظيم للصور المتكونة سابقاً وبالنتيجة يتمركز في امتداد المكتسبات السابقة ويؤمن وصول هذه

1 موريس شاربل، التطور المعرفي عند بياجيه، ص 114.

2 موريس شاربل، التطور المعرفي عند بياجيه، ص 117.

المكتسبات نحو الفكر أو التمثيل هذا ما يدل على الانتقال إلى مستوى أعلى¹، ويصبح الطفل أكثر قدرة على تحقيق عملية الدمج بين المخططات المعرفية السابقة وبين النتائج.

المهارات اللغوية ودورها في تشكّل القدرة التواصلية لدى الطفل:

لئن كان التعلم عملية جوهريّة قائمة على مرجعية معرفية ومهارات لغوية يكتسبها الفرد بصفة تدريجية منذ ولادته اثر نموه البيولوجي والمعرفي، فإنّ قوامها لا يتحقق إلا من خلال اكتمال المهارات التواصلية التي يكون فيها النمو مرهونا بالنمو اللغوي الذي يتأسس وفقا لثلاث مهارات أساسية تتمثل في :

■ مهارة الإدخال: القدرة على تشفير الكلمات المقروءة والمسموعة (الإصغاء، القراءة والاستقبال) لإحداث الفهم والإفهام والتواصل .

■ مهارة المعالجة: القدرة على معالجة المعلومات اللغوية وفهمها واستيعابها (السمع ، التقويم).

■ مهارة المخرجات: القدرة على إعادة التركيب وتشفير الرموز اللغوية (الكتابة، التحدث) لإيصال المعلومات وتمكين المستقبل من العملية التواصلية بشكل سليم.

مهارة الاستماع:

أول مهارة يكتسبها الفرد، تتركز عليها جل المهارات الأخرى من قراءة وكتابة وحديث، تبدأ وظيفتها عند الطفل قبل الكلام، الذي يعتمد على السماع وتقليد الأصوات، ويستدعي استحضر قدرة الفرد على الاستماع وحسن الإصغاء إلى الكلام واستيعابه «فالاستماع استقبال تلقائي لإرادي لما يصدر من أصوات تصل موجاتها إلى الأذن أما الإصغاء فهو عملية إرادية

1 موريس شاربل، التطور المعرفي عند بياجيه، ص119.

تلقائية تشمل الربط بين ما يسمعه الفرد وما يعرفه كخلفية سابقة عما يسمع»¹، يساعد على التعرف على الأصوات والتمييز بينها وانتقاء الأفكار والقدرة على إدراك العلاقات القائمة بينها .

أهمية مهارة الاستماع :

إن مهارة الاستماع، تكمن في نجاح وتحقيق العملية التواصلية ومد سبل التواصل وتبادل الآراء بين الأفراد، فهي من أهم مبادئ النجاح وفهم واستيعاب الآخرين، والتأثير فيهم وقد أدرك العرب سابقا أهمية الاستماع في عملية اكتساب الملكة اللغوية وهذا ما دفعهم إلى إرسال أبنائهم إلى البادية لسماع اللغة السليمة واكتساب الفصاحة يقول "الجاحظ" في هذا الصدد: « ليس في الأرض كلام أمتع ولا أنق ولا ألد في الاسماع ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة، ولا أفتق للسان ولا أجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء والعلماء البلغاء»²، ولما للاستماع من أهمية في عملية التحصيل اللغوي منذ المراحل الأولى من النمو المعرفي للطفل كان من الضروري العناية والاهتمام الأمثل بالوسائل الحديثة التي تؤدي إلى تحسين القدرة على الاستماع وتوظيفها في المنظومة التربوية .

أهداف الاستماع:

- القدرة على الإصغاء والانتباه
- تتبع المسموع والسيطرة عليه بما يتناغم مع غرض المستمع
- فهم المسموع بسرعة ودقة خلال متابعة المتحدث
- غرس عادة الإنصات لكونها قيمة اجتماعية وتربوية مهمة في إعداد الفرد

1 حمدي على الفرماوي، نيروسيكولوجيا معالجة اللغة واضطرابات التخاطب، مكتبة الأنجلو، ط1، سنة 2006م، القاهرة مصر، ص21.

2 عبد الرزاق حسين، مهارات الاتصال اللغوي، دار النشر العبيكان، ط1، سنة 2010م، الرياض، ص103.

- تنمية جانب التذوق الجمالي من خلال الاستماع إلى المستحدثات العصرية واختيار الملائم منها¹.

مهارة القراءة:

تعد القراءة من أهم وسائل التواصل البشري المكتسبة التي تهدف إلى تقويم الذات وإدراك المعارف وفهمها وتحقيق التفاعل وتوظيف الرسالة والانتفاع بها في الحياة اليومية، فهي « نشاط فكري يقوم على انتقال الذهن من الحروف والأشكال التي تقع تحت الأنظار إلى الأصوات والألفاظ التي تدلّ عليها وترمز إليها، وعندما يتقدم الطالب في القراءة يمكنه أن يدرك مدلولات الألفاظ ومعانيها في ذهنه دون صوت أو تحريك شفة»²، وفق إستراتيجية معينة يجمع فيها بين القراءة الحالية والمكتسبات القبليّة حتى يتمكن من تحقيق عمليتي الإدراك و التشفير، فهي من أسمى الوسائل التي تنقل إلينا ثمار العقل البشري والتحصيل المعرفي عمليّة عقلية في غاية التعقيد تقوم على أساس فك وإدراك الرموز المكتوبة وربطها وموازنتها بالمكتسبات والمخزونات القبليّة .

للقراءة دور كبير في إعداد المتعلم وتوسيع خبراته المعرفيّة، فهي تساعده على فتح آفاق الثقافة والاعتماد على الذات في حل المشاكل وتنميّة نشاطه الفكري كما تعزز فيه حب الاستطلاع والمطالعة النافعة فكلما زاد حبه للقراءة زادت معارفه وصُقلت مواهبه وزاد إدراكه للعالم الذي يعيش فيه وأصبح أكثر وعياً في فهم وانتقاء النصوص والتمييز بينها، فبالقراءة يرتبط المتعلم بنفسه وبمن حوله .

أنواع القراءة:

تنقسم القراءة من حيث الأداء والأغراض إلى أنواع وهي:

1. القراءة الصامتة

1 إباد عبد المجيد، المهارات الأساسية في اللغة العربية، مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، سنة 2015م، عمان الأردن، ص26.
2 بن زينة صفيّة، دريم نور الدين، أثر النصوص في الممارسة التعليمية التعلمية ودورها في تنمية المهارات اللغوية كتاب لغتي الخالدة للصف الثالث المتوسط نموذجاً، التعليمية، المجلد 11 ، عدد 1 ، سنة 2021م، ص284.

2. القراءة الجهرية
3. القراءة السريعة
4. القراءة لجمع المعلومات
5. القراءة التحليلية
6. القراءة الناقدية
7. القراءة الممتعة¹

تهدف القراءة بكل أنواعها السابقة الذكر، إلى تقفي الفهم الدقيق للنصوص. ومن ثمة، تكوين وتنمية ما يسمى الكلام الداخلي وإدراك معانيه وتعويد اللسان على الدقة في نطق الحروف والكلمات بعد الأداء والتلفظ.

مهارة الكتابة :

مهارة إبداعية، وأداة تواصلية ترميزية تركز على الممارسة الكتابية للغة في إطار أسلوب منطقي واضح، يستوفي الشروط الوظيفية والإنتاجية للكتابة، كما هي «القدرة على تصور الأفكار وتصويرها في حروف وكلمات وتراكيب صحيحة نحواً، وفي أساليب متنوعة المدى والعمق والطلاقة مع عرض تلك الأفكار في وضوح ومعالجتها في تتابع وتدفق ثم تنقيح الأفكار والتراكيب التي تعرضها بشكل يدعو إلى مزيد من الضبط والتفكير»²، وتحويلها إلى خطابات مكتوبة، حيث تتجلى أهمية الكتابة في كفاءة المتعلم على إبراز قدرته الإنتاجية في ترجمته لصور ذهنية إلى نصوص إبداعية تجمع بين الدقة والوضوح والجمال.

أنواع الكتابة و مجالاتها :

- الكتابة الوظيفية:
- الكتابة الإبداعية الفنية

1 إباد عبد المجيد، المهارات الأساسية في اللغة العربية، ص33.

2 ابتسام محفوظ أبو محفوظ، المهارات اللغوية، دار التدمرية، ط1، سنة 2017م، الرياض م ع السعودية، ص 21.

- الكتابة الوظيفية الإبداعية

يستعين الطفل الكاتب في عملية تأليف وكتابة النصوص بملكة اللغة المكتسبة، وتوظيف الكلام الداخلي، اعتماداً على مراعاة سياق الموضوع وطريقة الكتابة وفق أنساق معينة، مع احترام خصوصية كل نص وكل تعبير.

مهارة التحدث:

أداء لفظي، وأكثر الطرائق تمكينا من إحداث عملية التواصل عند الإنسان، ويقف على قدرة الفرد على التحكم في قواعد الأداء الكلامي، وتوظيفها داخل الأنساق الكلامية المختلفة مع مراعاة تنظيم الأفكار ووضوحها، وانسجامها حتى يتم الإفصاح عنها وفق المعنى المطلوب، وهو وسيلة من وسائل التواصل الشفوي يهدف إلى «تعويد المتعلم على جودة الأداء اللفظي عن طريق اختيار الألفاظ والأفكار الملائمة، وتسلسلها وترتيبها والربط بينهما لذلك يُولي منهاج التعليم الابتدائي أهمية كبيرة لتدريب المتعلمين على التعبير بلغة سليمة في مواقف متنوعة ولأغراض مختلفة: السرد والإخبار والوصف والتوجيه والإقناع»¹، لأنّ التحدث من أهم أشكال الممارسة اللغوية قائم على إتقان اللغة و القدرة على التحكم في أساليبها والمرونة في التعامل، معها هو ترجمة لصور ذهنية يتم صياغتها في قوالب لغوية وفق سياقات تعبيرية يُبرز المتحدث من خلالها قدرته على إتقان اللغة ومرونته في استعمالها وتوظيفها داخل الأنساق الكلامية بمهارة .

تنمية مهارة التحدث:

- (أ) مساعدة المتعلم على تنمية أفكاره وترتيبها وحسن صياغتها بلغة سليمة وأداء جيد
(ب) اختيار المواضيع القيمة التي تُسهم في بناء الشخصية وتعزز الثقة بالنفس

1 شادلي عمار، بن يمينة بن يمينة، المهارات اللغوية الأساسية وأهميتها في بناء الكفاءات القاعدية لمتعلمي مرحلة التعليم الابتدائي وفق المناهج الجديدة، جسور المعرفة، مج8، عدد 2، سنة 2022م، ص 255.

ت) تعويده على المحادثة والإطالة في الحديث والتدريب على طلاقة اللسان
ث) «التزويد بالمعارف المختلفة من خلال القراءة المعمقة وحضور الندوات والمحاضرات ومتابعة كل جديد في الساحات الثقافية.

ج) التدريب على التعبير التلقائي والحوار البناء والنقاش الجاد»¹

الأعضاء المسؤولة عن العملية التواصلية:

الاتصال من أعقد الوظائف التي يقوم بها الفرد، لتدخل جملة من العوامل والقوى الذهنية والحركية والفيزيولوجية فيها، حيث يحدث ذلك بتهيئة مختلف القوى التي يستعين بها المتكلم في التعبير عن مكنوناته من أحاسيس وأفكار، وإثبات سلطته الإبلاغية وحضوره التواصلي مع سامع يحاول هو الآخر فكّ شيفرات الرسالة وترجمتها إلى كودات تستوعبها المناطق الخلوية المسؤولة عن اللغة في الدماغ البشري، وأي خلل فيها يؤدي بالضرورة إلى فشل وإعاقة العملية التواصلية، وتتنوع الإخلالات الممكنة بحسب العوامل وطبيعة أطراف التواصل وقدراتهم الأدائية، فقد يعود الخلل أحيانا إلى أسباب عضوية تحدث بسبب إصابة على مستوى الدماغ وقد يكون اضطراب التواصل نتيجة أسباب وظيفية .

ومقابل هذا التعقيد، كان من البديهي أن يشدّ مبحث التواصل وإشكالاته اهتمام العلماء والفرق البحثية من مختلف الحقول المعرفية، وقد أشار "رومان جاكوبسون" في مؤلفه "محاولات في اللسانيات العامة"، إلى هذا التداخل وأشار إلى الموسوعية الفكرية والعلمية التي يجب أن تسم علماء اللسان الذين اهتموا بسؤال التواصل وكذا علماء الأروطونيا وعلماء النورولوجيا والبيولوجيا الذين يشتغلون على فك اللبس وتفسير الإشكالات التي تؤدي إلى حدوث الاضطراب في العمليّات التواصلية ومن هنا، فإنّ علم الأعصاب «اهتم أساسا ببيان أبنية المخ المختلفة مقابل

1 عبد الرزاق حسين، مهارات الاتصال اللغوي، ص 137.

وظائفها اللغوية، وحدد المناطق التي تنتج الكلام وأين توضع الخطط النظمية والمورفولوجية وأين يحدث الفهم وأين تعالج الدلالة»¹، فللغة جانب عصبي مسؤول عن حدوثها يشترك في أداء العملية التلغوية والكلامية وعملية الاستماع وترجمة الصوت وإحداث الفهم والتواصل وهي:

الجهاز العصبي :

الجهاز العصبي المركزي (CNS)

الجهاز العصبي الثانوي (PNS)

يتألف هذا الأخير، من الأعصاب المنبثقة من قاعدة الدماغ (الأعصاب القحفية) التي تخدم منطقة الرأس وأخرى تنبثق من النخاع الشوكي (أعصاب النخاع الشوكي) التي تخدم بقية الجسم .
العصبونات الصادرة: تصدر من الجهاز العصبي وتنتقل إلى أجزاء الجسم.
العصبونات الواردة: تنقل المعلومات الحسية إلى الدماغ.²

الدماغ:

نسيج عصبي موجود داخل الجمجمة، يزن المخّ البشري ما بين 1300-1400 جرام ويتراوح وزنه عند الطفل الحديث الولادة ما بين 350-400 جرام يحتوى على أربعة فصوص الفصّ الأمامي أو الجبهيّ، الفصّ الجداريّ، الفصّ الصدغيّ والفصّ القفويّ؛ حيث تتحدد أهمية كل منطقة من هذه المناطق حسب أهمية الوظيفة التي تؤديها داخل الجهاز العصبي.
فبالنسبة للمناطق المسؤولة عن اللغة، فقد اكتشف جراح الأعصاب الباريسي وعالم الإنسان "بول بروكا Paul Broca 1824 م-1880 م" عام 1861م «من خلال تشريح جثة إنسان كان يعاني من الحبسة أنّ تلفيف الفصّ الأمامي الثالث من قسم الدماغ الأيسر هو المسيطر

1 جمال شمس الدين، علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياها، مؤسسة الثقافة الجامعية، ج 2، الإسكندرية مصر، ص 9.
2 جوليا بوردين كاثرين هاريس، أساسيات علم الكلام، ترجمة محي الدين حميدي، دار الشرق العربي، دط، بيروت لبنان، ص 96-97.

على إصدار الكلام»¹، والخاص بإنتاج البرنامج الحركي للكلام، وعندما تصاب هذه المنطقة وتنغلق أوعيتها الدموية وتصاب بشلل جزئي، وتبدأ المشاكل اللغوية حيث يصبح الكلام على هيئة جمل قصيرة وتختفي القدرة على النظم وقد يستمر الفهم جيدا إلى حد ما.

وفي عام 1874م حدد "كارل فيرنيك Carl Wernick 1848 م-1905 م" أنّ فهم الكلام يقع في تليف الفص الصدغي الأول وهي تالية لمنطقة السمع الأولى و«الإصابة في هذه المنطقة تؤدي إلى زلة الألسنة وكلامهم مرتّب نحويا ولكن من الصعب فهم كلامهم، فقد يستخدمون كلمات لا معنى لها أو غير مناسبة وحتى إذا كان الاختيار مناسباً فإن المعاني تبدو غير دقيقة»²، بسبب الاضطرابات الحاصلة على المستوى الإدراك السمعي لا على مستوى السمع في حد ذاته، ولقد بينت الدراسات الجراحية أنّ الكلمات تُخترن منفصلة عن المفاهيم التي تقبع تحتها، فعلى سبيل المثال «عُرض على مريض صورة لفرشة بينما أدخل قطب كهربائي في مكان معين من المخ قال: "أنا أعرف ما هذا" ثم استغرق في الصمت وبعد أن أخرج القطب قال: الآن أستطيع أن أتكلم فرشة، تثبت التجربة أنّ إدراك الشيء منفصل عن معناه»³.

وعلى الرغم من التصنيف الوظيفي الذي قدّمه "بروكا" و"فرنريك" إلا أنّ التركيبة الدماغية تبقى أكثر تعقيدا وصعوبة في تكشّف ماهية أجزائها ووظائفها وما سوف نقدمه في ما هو آت من توصيف يدلّ عن الحقائق الأناطومية أو الفيزيولوجية التي طاولها علم التشريح العصبي إلى يومنا، وهي أجزاء عضوية وظيفية ضمن الدارة العصبية المسؤولة عن العملية الكلامية والتواصلية:

المناطق الاستقبالية للغة :

1 جوليا بوردن كاترين هاريس، أساسيات علم الكلام، ص104.

2 جمال شمس الدين، علم اللغة النفسي، ص11.

3 جمال شمس الدين، علم اللغة النفسي، ص18

1/منطقة الترابط السّمي الموجودة في الفص الصدغيّ و المسؤولة عن فهم اللّغة المنطوقة من الآخرين أو المسموعة من الفرد.

2/منطقة الترابط البصري الموجودة في الفصّ المؤخريّ والمسؤولة عن فهم اللّغة المكتوبة من الآخرين أو المقروءة من الفرد.

3/منطقة فيرنيك التي تقع بين الفصوص الثلاثة (الجداريّ والصدغيّ والمؤخريّ)، وإن كان معظمها يقع أساسا في الفصّ الصدغيّ وهي المنطقة الترابطيّة المسؤولة عن فهم كل من اللّغة المكتوبة والمنطوقة.

المناطق التعبيرية للغة :

1/ منطقة "بروكا" الواقعة في الفصّ الجبهيّ السّائد و المسؤولة عن إصدار الكلام المنطوق.

2/ منطقة "إكزرنر" الواقعة أيضا في الفص الجبهي و المسؤولة عن الكتابة.

3/ جزء من القشرة الحركيّة في الفص الجبهي والمسؤولة عن حركة عضلات الكلام والشفاه واللّسان والحنجرة، و هي العضلات التي تدخل في صميم عمليّة إصدار الصوت والألفاظ.

4/ منطقة ما تحت القشرة متمثلة في التلاموس¹

5/ بالإضافة إلى الألياف الترابطيّة التي تربط بين منطقتي بروكا وفيرنيك².

الذاكرة :

تعتبر الذاكرة وظيفة من الوظائف العليا التي يقوم بها الدّماغ، وأحد العمليّات المعرفيّة الأساسيّة في حياة الإنسان، يتمثل في تخزين ما أكتسب لفترة طويلة من الوقت وتسمى بفترة

¹ المهاد أو التلاموس باللاتينية Thalamus :وهي كلمة إغريقيّة تعني الخزانة. المهاد هي كتلة كبيرة في المادة الرماديّة في الجزء الظهريّ للدماغ البينيّ، والذي هو جزء من الدماغ. وظائفه هي: إعادة بث الإشارات الحسيّة، مثل: نقل الإشارات الحركيّة إلى القشرة المحبّة، وتنظيم الوعي والتّوم واليقظة.

2 سامي عبد القوي، علم النفس العصبي الأسس وطرق التقييم، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، دت، مصر، ص 208

التذكر أي تذكر واسترجاع كل المدخلات والخبرات التي تم اكتسابها سابقا، ويتم ذلك عبر ثلاث مراحل يرتبط بعضها ببعض فان تعرضت إحداها إلى أي خلل سيؤدّي ذلك بالضرورة إلى الاضطراب في العمليّات الأخرى وهي على النحو التالي :

مرحلة الاكتساب:

تعدّ من المراحل الأولى التي تقوم بها الذاكرة وتتمثل في «استقبال المعلومات الحسيّة التي تصل إلى المخ وترميزها برموز بصرية وصوتية حتى يتم ربطها بالمعلومات السابقة في الذاكرة»¹.

مرحلة الاحتفاظ والتّخزين:

يحدث في هذه المرحلة الشّق الثاني من مراحل الذاكرة وهي تخزين المعلومات التي تمّ اكتسابها وتسجيلها حتى يتم استدعاؤها عند الحاجة وتتم عمليّة التخزين على ثلاث مستويات:

(أ) مستوى التخزين الفوري (الذاكرة الحسيّة) هي الانطباع السريع الذي يتكون عند الدخول الفوري للمعلومات وعادة ما تستغرق جزءا من الثانية .

(ب) مستوى التخزين المؤقت (الذاكرة قصيرة المدى) تستقبل المعلومات من الذاكرة الحسيّة ويمكن الاحتفاظ بالمعلومات لفترة تتراوح بين 15 و30 ثانية تقريبا.

(ت) مستوى التخزين الدائم (الذاكرة بعيدة المدى) إذا كانت المرحلتان السابقتان تعتمدان على الألفاظ والأصوات فإنّ هذه المرحلة تعتمد في ترميزها على المعاني لا الألفاظ وتكون المادة المخزونة فيها أقرب شبها من المدركات يتم الاحتفاظ بالمعلومات لمدة تزيد عن 30 ثانية.

مرحلة الاسترجاع أو الاستعادة:

هي القدرة على إمكانيّة «استدعاء وتذكّر المعلومات المخزّنة في الذاكرة من جهة والتعرف عليها من جهة أخرى»².

1 سامي عبد القوي، علم النفس العصبي الأسس وطرق التقييم، ص188.

2 سامي عبد القوي، علم النفس العصبي الأسس وطرق التقييم، ص189.

الجهاز السّمي:

حاسة السّمع، من بين الحواس التي تساعد الإنسان، على ممارسة حياته بشكل طبيعي والقيام بالعمليات التّواصلية، عن طريق المدخلات التي ينقلها الوسط المحيط إلى الأذن المستقبلية لمجموعة من الأصوات يُحدثها قارح ومقروع، وهذا ما ذهب إليه "ابن سينا" ولفيه يقول: «وهي قوة مرتبة في العصب المتفرق في سطح الصّماخ، تدرك صورة ما يتأدّى إليها من تموج الهواء المنضغط بين قارح ومقروع مقاوم له، انضغاطا بعنف يحدث منه صوت فيتأدّى تموجه في الهواء المحصور الرّائد في تجويف الصّماخ ويحركه بشكل حركته وتماس أمواج تلك الحركة العصبية فيسمع»¹.

الأذن الخارجيّة:

تتألف الأذن الخارجيّة من «قسمين القسم الخارجي يمكنك رؤيته سلفا ويسمى الصّوان، والقناة الأذنيّة وتسمى (القناة السّميّة الخارجيّة) تصل بين الصّوان وغشاء الطبلية»²، يلتقط الصّوان نسبيا الأصوات القادمة من أمام الرأس أكثر من تلك القادمة من الخلف «ويعمل على حماية مدخل القناة وخاصة نتوء الصوان الصغير الذي يقع فوق مدخل القناة ويسمى الوتد»³.

الأذن الوسطى:

تتكوّن الأذن الوسطى من المطرقة السّندان، الركابي وغشاء الطبلية الذي يفصل بين الأذن الخارجيّة والأذن الوسطى «تتغير شدة غشاء الطبلية بواسطة عضلة تسمى "العضلة الطبلية الشادة" التي تسحب نصاب أو قبضة عظم صغير تتصل بداخل الغشاء يسمى هذا العظم بعظم المطرقة، تقع سلسلة العظيّمات الصّغيرة على وجه الغشاء الطبلي الداخلي، وهي ثلاث عظيّمات صغيرة مترابطة وتسمّى العظيّمات الأذنيّة يتصل عظم المطرقة بالغشاء الطبلي ويعمل عظم السندان

1 الاوراغي، اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، دار الكلام، دط، دت، ص 50.

2 جوليا بوردين كاثرين هاريس، أساسيات علم الكلام، ص 296.

3 جوليا بوردين كاثرين هاريس، أساسيات علم الكلام، ص 297.

نقطة ارتكاز بين العظمين الآخرين ويتصل العظم الركابي بالنافذة البيضوية الغشائية التي تقود إلى الأذن الداخلية¹، تقوم آلية الأذن الوسطى بوظيفتين هامتين «الأولى أنّها تضعف الأصوات الصاخبة من خلال فعل المنعكس الصوتي والثانية أنّها تعمل من خلال القناة السمعية على الحفاظ على ضغط هوائي متساو على جانبي طبلة على الرغم من أيّة تغيّرات في الضغط الجوي»².

الأذن الداخلية:

عبارة على عدّة أنفاق «ملفوفة الشكل مليئة بسائل يدعى كمف الأذن، ويشبه هذا السائل ماء البحر في العديد من صفاته، عندما يهتز صحن العظم الركابي في النافذة البيضوية تحدث اهتزازاته اضطرابات في لمف الأذن الداخلية، تُحدث هذه الموجات الضغطية في لمف الأذن المحيط بالسلم المتوسط حلزوي الشكل اهتزازات في القناة نفسها، وتلك الاهتزازات الحاصلة في قاعدة القناة التي تسمى التيه الغشائي»³.

العصب السمعي:

يتألف العصب السمعي أو (القحفي الثامن) «من عصبة ألياف تبلغ ثلاثين ألف ليف عصبي تخدم القوقعة الأذنية، ويخرج كلّ عصب من خلايا شعرية وتثير كل خلية شعرية عدّة ألياف عصبية. يقع العصب الثامن في العظم الصدغي ويدخل جذع الدماغ حيث يتلاقى النخاع المستطيل بالجسر ومن جذع الدماغ يعبر العصب الثامن نحو الدماغ الأوسط ومنه إلى الفص الصدغي و على طول الطريق تتفرع الألياف نحو المخيخ»⁴.

ميكانيك السمع:

1 جوليا بوردن كاثرين هاريس، أساسيات علم الكلام، ص 299.

2 جوليا بوردن كاثرين هاريس، أساسيات علم الكلام، ص 301.

3 جوليا بوردن كاثرين هاريس، أساسيات علم الكلام، ص 304.

4 جوليا بوردن كاثرين هاريس، أساسيات علم الكلام، ص 309.

يلتقط الإنسان الأصوات عن طريق اهتزازات وتخلخلات حاصلة في الوسط المحيط وصولاً إلى الأذن الخارجية فهي عبارة عن « اضطرابات هوائية وهكذا تستمر في الأذن الخارجية، أمّا في الأذن الوسطى فإنّها تتحول من موجات ضعيفة إلى اهتزازات آليّة عبر سلسلة من العظيّمات الصغيرة تفضي هي نفسها إلى قوقعة الأذن الداخليّة وتتحوّل هذه الاهتزازات مرة أخرى في القوقعة الأذنيّة، وهي تجويف حلزوني الشكل يقع ضمن العظم الصدغي من الجمجمة وفي هذه المرة يكون التحول من اهتزازات آليّة إلى اهتزازات في السائل تبعاً لأنّ القوقعة الأذنيّة مليئة بسائل، وأخيراً تتصرف نهايات القوقعة الأذنيّة العصبية محولة الاهتزازات الهيدروليكيّة إلى تغيرات كيميائيّة ترسل إلى الدماغ على شكل نبضات عصبيّة»¹، ومما يجدر الإشارة إليه « أنّ مراكز الدماغ تعمل بعضها مع بعض مشتركة عن طريق مناطق الترابط التي تجعلنا ننظر إلى عمل تلك المراكز المختلفة ككل أو كشبكة متصلة الحلقات بمعنى أنّه على الرغم من أنّ الوظيفة التي يقوم بها كل مركز على حدة تختلف عن وظيفة المراكز الأخرى إلا أنّ النشاط المركزيّ السّمعيّ مثلاً يتأثر بالنشاط الذي يقوم به المركز البصري أو المركز الحركي»².

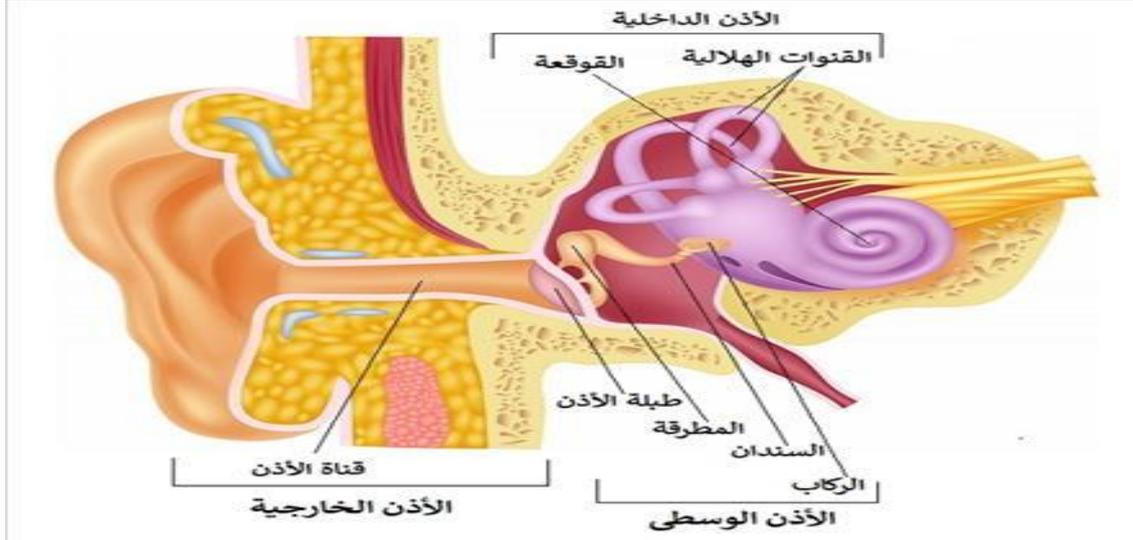
أهميّة السّمع في العمليّة التواصليّة:

تؤدي حاسة السّمع دوراً هاماً في العمليّة التواصليّة في استقبال والتقاط الأصوات إلى موجات صوتيّة ونقلها عبر القنوات المسؤولة لتفكيكها وترجمتها على شكل رموز صوتيّة، وبالرغم من أنّ الشكل العام لهذه العمليّات يبدو بسيطاً إلا أنّه في الحقيقة ما هو إلا تلاحم جملة من العمليّات الدّقيقة التي تقوم بترجمة الاهتزازات و التخلخلات الحاصلة في الوسط الناقل إلى رموز صوتيّة يدركها العقل، وعليه فإنّ السّمع بالنسبة للإنسان وسيلة من وسائل التواصل بينه وبين

1 جوليا بوردن كاثرين هاريس، أساسيات علم الكلام، ص 296.

2مصطفى فهمي، أمراض الكلام، دار مصر للطباعة، ط5، الفجالة مصر، ص24.

العالم، وحلقة من حلقات عملية الاتصال اللغوي بينه وبين بني جنسه؛ حيث «تُعتبر الوظيفة الأساسية للسمع استقبال الاهتزازات الأكوستيكية وتحويلها إلى إشارات تنتقل عبر عصب السمع إلى المخ»¹.



رسم توضيحي مبسط لتركيب الأذن

أهمية اللغة وعلاقتها بالتواصل:

لا جدال في أنّ اللغة بأنواعها وأشكالها هي أفضل وسيلة للتبليغ والتواصل وأفضل أنواعها المنطوق والمفوض، لقربه من الفطرة الإنسانية، واعتماده على المكنة الفيزيولوجية التي ميز بها الله الإنسان، هذه المكنة التي تنصدرها القدرة الذهنية والفكرية للدماغ البشري الذي مازال يمثل لغزا محيرا لم يستطع العلم تكشّف إلا القدر القليل من كنهه وحقيقته.

غير أنّ هذا العسر، لم يمنع علماء اللسان من السعي إلى الإحاطة بباقي العوامل التي تحيط بالعملية التواصلية، بخاصة في شقها الاجتماعي، باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية بامتياز، خاصة بعد

1 لامياء بن موسى، اضطرابات الصوت في الوسط العبادي الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، سنة 2013، الجزائر، ص 100.

الثورات الكبرى التي أحدثتها التكنولوجيا، لها الوقع البالغ على كل الحقول المعرفية تنصدها اللسانيات.

وقد أحدثت جهود البنويين الروس، يتصدرهم "جاكسون" نقلة مهمة في نظريات التواصل في ملمحها اللساني، التي أدت بدورها إلى التأسيس لنظرية تواصلية في حقل الإعلام الجماهيري في خمسينيات القرن العشرين، وهي نظرية «تتم بالبحث في المميزات الخاصة في كل نظام من العلامات مستعمل بين كائنين (حيين أم تقنيين) يهدف إلى غايات تواصلية»¹، فكل ما يدخل في نطاق التواصل يُشكل غاية تسعى إليها النظرية التواصلية، ويتم ذلك بالنظر في خصوصية أقطاب الدائرة التواصلية اللفظية.

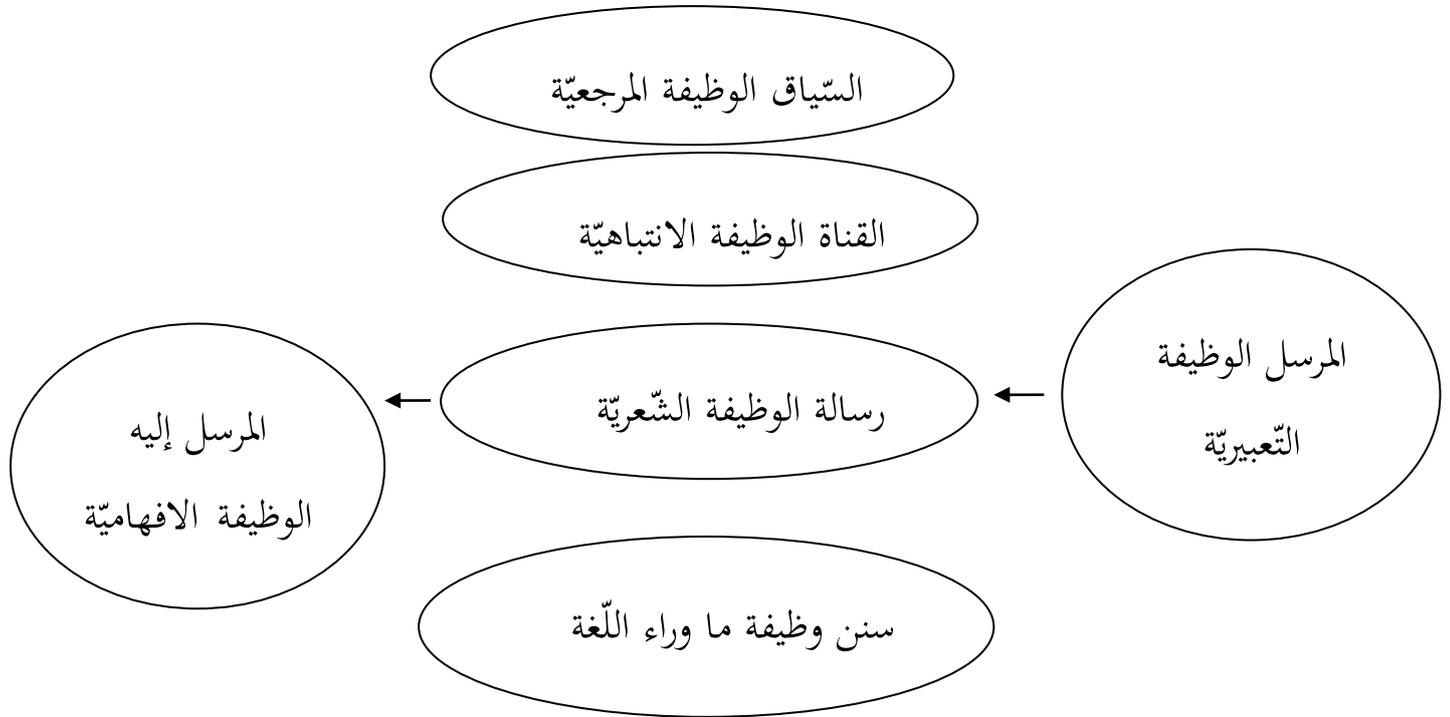
وقبل الولوج إلى النموذج الذي قدمه "رومان جاكسون"، يجب أن نعرض إلى القضية التي أثارها ديسوسير في إشارته إلى الجانب الفيزيولوجي والفيزيائي ووصفه للواقع النفسي للباحث، والجانب الفيزيائي، وأثرهما في انتقال الرسالة إلى المتلقي «فالدماغ ينقل إلى أعضاء النطق ذبذبة ملازمة للصورة ثم تنتشر الموجات الصوتية من فم المتحدث (أ) إلى أذن المتحدث (ب)، وهذه آلة فيزيائية بشكل صرف ثم تستمر الدارة حتى المستمع (ب) في اتجاه معاكس»²، ويصبح الباحث والمستقبل في حالة تبادل الأدوار وتفكيك الصور السمعية المنتقلة عبر الوسط الناقل.

وقد أضاف "كارل بوهلر **Karl Bühler 1879 م-1963م**" إلى النموذج الذي قدم ديسوسير ثلاثة وظائف انفعالية وافهامية ومرجعية إذ تقابل الوظيفة الانفعالية ضمير المتكلم (المرسل) وتقابل الوظيفة الافهامية ضمير المخاطب أي المرسل إليه، بينما تقابل الوظيفة المرجعية

1 عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل رومان جاكسون، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2003 م، سوريا، ص 24.

2 الطاهر بومزير، التواصل اللساني والشعرية مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون، دار العربية للعلوم ناشرون، ط1، سنة 2007م، لبنان، ص 17.

ضمير الغائب أي الشيء أو الشخص الذي يتحدث عنه المتخاطبان، وبناء على هذه الوظائف استطاع "رومان جاكسون" استكمال نموذج السداسي والذي يتشكل من :



خطط عوامل التواصل اللفظي¹

يُعدّ هذا النموذج التّواصلِي نقطة فارقة في التوجه البنوي، باعتباره النموذج الأكثر إقناعاً وتعليلًا للدور المغلق الذي قد تؤديه اللّغة، ضمن دائرة التواصل، يقدم "جاكسون" نموذج التّواصلِي، وفق منظور مستقلّ يهض على إظهار الوظيفية اللّغوية لكل عنصر من عناصر الدّارة، كما يُظهر العلاقة الحتمية التي يؤديها كل عنصر من الدّارة مع العنصر الآخر، حيث يتحقق بذلك المبدأ البنوي للّغة بشكل مطلق.

1 الطاهر بومزير، التواصل اللساني والشعرية، ص 34.

الفصل الثالث

إجرائية معالجة الكلام في ضوء

تصورات النظرية الخليلية

توطئة

إنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، خصّها الله الإنسان منذ خلقه فوق البسيطة، وقد منّ الله على عبده بمكنة استعمال هذه الملكة، بشكل يميّزه عن باقي المخلوقات، بفضل آلة المنطق أو العقل الذي يُتيح له صناعة عدد لا متناه من الألفاظ والدلالات التي يعبرّ لها بعدد بسيط من الأصوات اللغوية التي تختلف وتتميّز عن بعضها البعض، كما منحه بالمقابل جهازا تلفظيا يساعده على أداء هذه الأصوات والتلفظ بها، دون أن يعيقها أيّ عارض. وإذا لحق بهذه العملية أيّ عسر أو أصابها اضطراب، فمرد ذلك وجود علة خربت النظام العادي للكلام، وما كان على الإنسان إلا البحث في هذه العلل والاضطرابات وعلاجاتها وعلى الرغم، من انعدام المكنة العلمية المخبرية وانعدام علم التشريح في العصور القديمة، إلا أنّ نزعة الإنسان ورغبته الجارحة في تكشّف الظواهر، وإدراك ماهيتها، بغرض التمكن منها، دفعت به إلى الخوض في أغوار هذه الحقول المعرفية وكان له أن وفق في إمطة اللثام عن الكثير من خباياها وعن تذييل صعوبات البحث فيها.

وتذكر مصادر التاريخ، أنّ الفئات التي عانت الإعاقة بأنواعها وبخاصة أمراض الكلام واضطراباتهما، كانت عرضة للتنمر والتهميش والتحقير، ولاحقتها خرافات السخط، والشؤم، وظلت هذه الفئات تعاني فكرة رفض دمجها إلى حين ظهور الديانات السماوية والعقائد التي نادى بالعدل والرشد والتسامح، وندلّل لذلك بما جاء في ديننا الحنيف من تعاليم تدعوا إلى الإحسان وعدم التفرقة والمساواة بين البشر، لقوله تعالى:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } الحجرات الآية 11.

اضطرابات الكلام:

مفهوم اضطرابات الصوت:

هي كل اضطراب يُعيق الصّوت ويخرجه من محيط الصّوت الطبيعي إلى صوت غير طبيعي، فالأصوات تختلف بطبيعتها من فرد إلى آخر بسبب التباينات الحاصلة في العوامل التي تميّزها عن بعضها البعض، كما أنّ هذه الأصوات لا تستقر على حال واحد، إذ يطرأ عليها التّغير المستمر، بفعل المتغيّر في جنس الأفراد وأعمارهم و المورفولوجيا الجسديّة، وحالاتهم النفسيّة والمزاجيّة، وأيّ خلل في حدوث الأصوات الإنسانيّة بشكل طبيعي، يؤدي ذلك إلى تشكّل عيب كلاميّ أو اضطراب نطقيّ يؤثر رأساً على العمليّات التواصليّة ويمكن تلخيص هذه العوامل في:

- مستوى مناسب لطبقة الصّوت ويتحدد ذلك بتناسبه مع عمر و جنس المتكلم
- علو الصّوت بحسب محيط الأداء
- المرونة المناسبة وتعود إلى القدرة على التّحكم في طبقات الصّوت والتلاعب بها أثناء الحديث حسب الحالات التعبيريّة والنفسيّة للفرد¹.

تصنيف اضطرابات اللّغة والكلام:

يندرج هذا الحقل المعرفيّ، ضمن الدّراسات النفسيّة التي تهتم بالدرجة الأولى بالسلوك اللّغويّ والاجتماعيّ، والنفسيّ للطفّل. وتحاول جاهدة أن تجد الحلول التطبيقية المخبريّة والفيزيولوجيّة واللّسانية، التي تشغل على كل متغيّر أدائي، أو اضطراب عبر المراحل النطقية للتشكّل الكلامي. وقد أثبتت الدّراسات التي عُنت بهذا الحقل المعرفيّ، تنوع هذه الحالات وتم توزيعها إلى قسمين رئيسيين هما:

¹ إبراهيم عبد الله فرج الزريقات، اضطرابات الكلام واللغة التشخيص والعلاج، دار الفكر ناشرون، ط1، سنة 2005م، عمان الأردن، ص 190.

أعراض عضوية:

تتمثل الاضطرابات العضوية، في عيب يحصل على مستوى الجهاز النطقي أو السمعي «كالتلف أو التشوه أو سوء التركيب في أي عضو من أعضاء الجهازين، أو النقص في القدرة الفطرية العامة (الذكاء) يؤدي إلى خلل في تأدية هذا العضو أو تلك القدرة، فيحدث نتيجة لذلك عيب في النطق أو احتباس في الكلام أو نقص في القدرة التعبيرية .

أعراض وظيفية:

وهي أعراض لا يشكو فيها المصاب من أي نقص أو تشوه عضوي في الجهاز الكلامي أو السمعي، وكل ما هنالك أنّ قدرة الفرد على التعبير متأثرة بعوامل غير عضوية تسبب له اضطرابات»¹، على المستوى النطقي والإدراكي .

الفرق بين اضطرابات النطق واللغة:

تختلف اضطرابات النطق عن اضطرابات اللغة، باختلاف أسبابها، وطرق علاجها ويتكشّف ذلك من خلال الحالات المرضية التي يتم متابعتها من قبل الأخصائيين اللغويين، فمنها ما يعود تشخيص أسبابها إلى إعاقة على مستوى نطق الألفاظ، أو على مستوى اللغة، «فاضطراب الكلام هو اضطراب يصيب النطق أو الصوت أو الطلاقة مما يجعل من الفرد يعاني اضطرابات على مستوى الجهاز النطقي وعلى مستوى الخصائص الصوتية والإفراط في سرعة الكلام وعدم السيطرة عليه أما اضطراب اللغة فهو إعاقة أو انحراف يؤثر على فهم أو استعمال اللغة المنطوقة أو المكتوبة أو نظام التواصل الرمزي اللفظي الآخر»²، يمكن القول أنّ الاضطراب

¹مصطفى فهمي، أمراض الكلام، ص33.

² مصطفى فهمي، أمراض الكلام، ص 302.

الصوتي خلل يصاحب الجوانب الفيزيائية للصوت في حين الاضطراب اللغوي يحدث على مستوى الجانب الوظيفي في فهم واستعمال الرموز اللغوية.

وفي السياق نفسه، نلني تعريف "كرومر 1978 م" الذي يرى «أن اضطراب اللغة يحدث أو يوجد بمعزل عن الإعاقات الأخرى مثل الصمم أو التخلف العقلي أو الإعاقات الحركية أو اضطرابات الشخصية كما وقد يحدث اضطراب اللغة مع كل هذه الإعاقات المذكورة وبالتالي تحتاج لتقديم العلاج لها»¹، بحيث يصعب على الطبيب أو المعالج أن يحصرها إلا بعد إخضاع المريض إلى عدة اختبارات والتدقيق في النتائج المتوصل إليها .

أنواع اضطرابات الكلام:

وعبر هذا التصنيف، تم تقسيم أنواع اضطراب الكلام إلى:

اضطرابات الصوت:

- البحة الصوتية أو الخليط بين صوت الهمس وصوت الخشونة معا
- الإجهاد الصوتي: تعب أثناء الحديث
- الصوت الزفير الممزوج بهواء الزفير نقص في الهواء
- المدى الصوتي المنخفض
- فقدان الصوت
- تقطع طبقة الصوت أو طبقة الصوت العالية الغير مناسبة وحتى التغيرات السريعة - الغير مضبوطة في طبقات الصوت أثناء الأداء الكلامي.
- مقاومة الصوت
- الارتجاف أو الارتعاش الصوتي
- الحمخمة وصعوبة التعامل مع الممرات الأنفية والفموية

¹ إبراهيم الزريقات، اضطرابات الكلام واللغة التشخيص والعلاج، ص21.

- الآلام الجسميّة المصاحبة للكلام الرقبة والحنجرة المنطقة العليا من الصدر¹.
أسبابها:

تختلف أسباب الاضطرابات الصوتيّة باختلاف تنوع الاضطراب من أسباب عضويّة وغير عضويّة
:
أ/العضويّة :

اضطرابات على مستوى الحنجرة القرح العدوى الشلل الذي يصيب الشيات والأورام
والتكيسات.

- الإصابة على مستوى سقف الحلق يواجهون صعوبة في الفّصل بين الممرات الفمويّة والممرات
الأنفيّة أثناء الكلام مما يجعل أصواتهم تغلب عليها الخمخمة الشديدة.
- فقدان الواضح للسمع الذي يؤثر على قدرة الطّفّل في تغيّر طبقة الصّوت وارتفاعها
ونوعيتها².

ب/النفسيّة:

إنّ المشكلات الانفعاليّة المرتبطة بالحياة الاجتماعيّة للفرد وعدم قدرته على تجاوزها قد تؤثر
على وظيفة الحنجرة ومن ثمّ إعاقة الصّوت.

ج/السلوكيّة:

تتمثل في استخدام المريض لحنجرته بطريقة خاطئة فاستخدام الصّوت لفترات طويلة وبدرجة
مرتفعة مما يؤدي إلى إرهاق الحنجرة والثنايا الصوتيّة فيؤدي هذا إلى تغيّر في طبيعة الصّوت³.

اضطرابات النطق:

¹ إبراهيم الزريقات، اضطرابات الكلام واللغة التشخيص والعلاج، ص194.

² سلامة العبد لله، الاضطرابات الصوتية المفهوم، الأسباب، العلاج، دار أمجد للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2015، عمان
الأردن، ص60.

³ لامياء بن موسى، اضطرابات الصوت في الوسط العيادي الجزائري، ص 178.

- يقصد بها الاضطرابات التي تصيب عملية النطق وتشكيل الأصوات بحيث لا يستطيع الطفل التلطف بمجموعة من الأصوات والكلمات ويتميز كلامه بجملة من الاضطرابات من بينها اضطرابات إبدالية، تحريفية، اضطرابات الحذف والإضافة .

مظاهر اضطرابات النطق:

● **الإبدال Substitution**: ويحدث عندما يستبدل الفونيم المستهدف بفونيم آخر غير مناسب.

● **التشويه Distortion**: إنتاج الصوت بطريقة غير معيارية أو غير مألوفة على الرغم من أنّ الإنتاج يدرك على أنه فونيم مناسب، حيث أنّ الخطأ في إنتاج الصوت يجعل صوت الفونيم مختلفا لكن الاختلاف لا يؤدي إلى تغيير الإنتاج الصوتي إلى فونيم آخر.

● **الحذف Omission**: وهو حذف الصوت في كلمة .

● **الإضافة Addition**: يضاف صوت إلى الكلمة المستخدمة لغير معناها¹.

تقييم اضطرابات النطق:

يلجأ الأطباء في معالجة أمراض النطق إلى تقييم وتشخيص هذه الاضطرابات عن طريق وسائل وأساليب مختلفة من بينها :

المسح المبدئي لعملية النطق:

عبارة عن استعمال لوسائل تستخدم في المدارس، على جهاز قياس السمع *audimètre* تساعد على عملية التفريق بين الأطفال الأسوياء والأطفال الذين يعانون اضطرابات نطقية، بخاصة في المراحل الابتدائية وعليه يتم تحديد أسبابها في وقت مبكر من خلال عرض الطفل أثناء الحديث إلى بعض الفحوصات للكشف عن عملية التطق والكلام وكفاءة الصوت وطلاقة الكلام.

¹ إبراهيم الزريقات، اضطرابات الكلام واللغة التشخيص والعلاج، ص 159.

تقييم النطق:

يتم تقييم النطق، بواسطة محادثة فعلية مع الطفل، حتى يتسنى للمعالج إدراك النقائص الكلامية التي يعاني منها المريض، وقد تجري هذه المحادثة بين الأطفال بعضهم ببعض، أو بين الطفل والوالدين، أو بين الطفل والأخصائي، ويتم ذلك في عيادات وغرف خاصة بالكلام بها لعب ومرآة، أحادية الاتجاه تُتيح إمكانية ملاحظة الطفل في موقف تفاعل طبيعي قدر الإمكان.

اختبار السمع:

من بين الوسائل المعتمدة في التقييم الاختبارات السمعية التي يلجأ إليها الأخصائي حتى يتمكن من إدراك نسبة السمع والكشف عن الإعاقة السمعية إن وجدت، التي تشكل سببا مباشرا في اضطرابات النطق والكلام «حيث يتمثل هذا الاختبار في إخضاع الطفل لعملية التمييز بين الأصوات المختلفة التي تنتمي إلى الكلمة الواحدة أو عدة كلمات مثل راح، برز، صبر، رجل، مريم، كبير، صغير»¹.

فحص أجزاء جهاز النطق:

ترتكز العملية الكلامية أثناء حدوثها، على كفاءة وسلامة الجهاز المسؤول عنها، وقدرته على تأدية وظائفه في نطق الأصوات، نطقا صحيحا، لذلك وجب فحص أجزاء الجهاز النطقي ومعاينته وإخضاعه للمعالجة الطبية.

مقياس النطق:

تحدث عملية قياس النطق، من خلال اكتشاف الأخطاء التي تحصل في عملية التشكيل الصوتي ومعرفة موضع الخطأ في الكلمة ونوع الاضطراب إن كان حذفاً أو إبدالاً أو تحريفاً أو إضافة.

اختبار القابلية والاستثارة:

¹ فيصل العفيف، اضطرابات النطق واللغة، مكتبة الكتاب العربي، دط، د ت، ص 15.

المقصود من هذا الاختبار، استثارة المريض ودفعه بطرق متعدّدة لإعادة نطق الأصوات المضطربة نطقاً صحيحاً وذلك بعرضها عليه بصورة سمعية وبصرية ولمسية، حتى يتمكن من تقليل حدة هذا الاضطراب وتعود المريض على قراءته¹.

تأخر الكلام عند الأطفال :

وهي حالة مرضية نلاحظها على الأطفال، في بداية مراحل نموهم، وتتمثل في تأخرهم عن الكلام، وعدم القدرة على التعبير عن مختلف احتياجاتهم اليومية البسيطة، مقارنة بمن هم في ذات السن، ويعود ذلك لأسباب كثيرة تتجلى في مدى قدرة الطفل العقلية على استيعاب المدخلات اللغوية، ومدى استجابات حواسه المختلفة لما يدور حوله من منبهات سمعية وبصرية ومنبهات ملموسة، وكذا الحالة الاجتماعية والنفسية والبيئية المحيطة بالطفل، ويمكن أن تختلف هذه الأسباب من حالة إلى أخرى كما يمكن أن تجتمع كلها في حالة واحدة فالمتخير يلاحظ ذلك من خلال الاضطرابات الظاهرة على المقاطع الصوتية المؤداة وهذا ما يساعده على تقييم الحالة وتحديد مستواها.

مظاهر تأخر الكلام:

الأطفال الذين يعانون تأخر الكلام، يظهر على كلامهم نوع من اللاتناسق التطقي والاضطرابات التعبيرية، التي لا تؤدي دلالتها اللفظية بالشكل المطلوب، ونجملها في :

1. إحداث أصوات معدومة الدلالة يقوم بها الطفل كوسيلة للتخاطب والتفاهم
2. الاستعانة بالإشارات والإيماءات للتعبير .

¹ فيصل العفيف، اضطرابات النطق واللغة، ص19.

3. التعذر على الكلام باللّغة المألوفة التي تعودنا سماعها كال تعبير بألفاظ مدغمة متداخلة بدرجة لا تسمح للسامع بمتابعتها أو معرفة دلالاتها.
4. مظهر النقص في الكلام إذ تقتصر الإجابة في كلمة واحدة
5. التوقف عن الحديث والصمت للتعبير عن المقصود¹.

انتشار اضطرابات النطق والكلام:

يصعب التحديد الدقيق لنسبة انتشار الأمراض الكلامية واللغوية لصعوبتها واختلافها، ويمكن تصنيفها أحيانا مرافقة لاضطرابات أخرى دماغية وسمعية، تتحدد هذه الأمراض من حيث الإعاقة، ومدى هذه الإعاقة، وعاملي الجنس والسن «فالإعاقة السطحية تختلف بالنسبة للإعاقة العميقة في تطلبها للصبر والعلاج المعمق والاضطراب عند الذكور لا تتعادل نسبه عند الإناث، فقد تم تقدير نسبة انتشار الأمراض الكلامية حوالي (10-15%) بين أطفال دون سن المدرسة و6% بين طلبة الصفوف الابتدائية والثانوية، أما اضطرابات اللّغة تنتشر بين حوالي (2-3%) بين أطفال دون سن المدرسة و(1%) بين أطفال المدارس.

- تنتشر اضطرابات النطق والكلام عند الذكور أكثر من الإناث والمراهقين أكثر من الأطفال « وقد لوحظ أنّ بعض الاضطرابات مثل التأتأة في الكلام تزداد نسبتها مع تقدم العمر، وأنّ حالات الأفازيا غالبا ما تظهر لدى الكبار»².
- حدّد انتشار اللّجلجة بين الذكور أكثر من انتشارها بين فئة الفتيات، بالرغم من أنّهم يبدوون تعلم الكلام تقريبا في مرحلة عمرية واحدة «لكن عيوب النطق والكلام تعتبر أكثر شيوعا بين الذكور بالمقارنة مع الإناث؛ حيث تصل النسبة من (1-3) إلى (1-8) ويعود السبب في

¹ مصطفى فهمي، أمراض الكلام، ص 50.

² هالة ابراهيم الجرواني، رحاب محمود صديق، اضطرابات التأتأة رؤية تشخيصية علاجية، دار المعرفة الجامعية، دط، سنة

2013م، الإسكندرية مصر، ص 77.

ذلك إلى عملية تكوين الغمد النخاعي التي تتم بشكل أفضل عند الفتيات حيث يتم تغطية المحاور العصبية بغطاء واق مما يجعل عملية نقل النبضات بكفاءة وبسرعة إلى مراكز الكلام بالمخ»¹.

■ أثبتت الدراسات النفسية من خلال التشخيص المخبري، الاختلافات القائمة بين الاضطرابات الكلامية، من الناحية العضوية والوظيفية، وحتى من الناحية العمرية «فقد فصلت في مختلف المواقف عن الأعمار النسبية التي يتعرض فيها الطفل لهذه العوارض والإعاقات النطقية كما سبقت الإشارة إلى أنّ اضطرابات النطق تنتشر بين الصغار والكبار، فقد تكون بداية التلعثم أثناء فترة الطفولة المبكرة وأنّ هذا النوع من الاضطرابات تنتشر بين الذكور أكثر مما تنتشر في الإناث»².

اضطرابات الطلاقة:

التلعثم:

هو نقص الطاقة اللفظية أو التعبيرية، كما «هو اضطراب يصيب طلاقة الكلام المرسل وتكون العثرات في صورة تكرار أو إطالة أو وقفة (صمت) أو إدخال بعض المقاطع أو الكلمات التي لا تحمل علاقة بالنص الموجود»³. فالمصاب بالتلعثم لا يمكن ضبط حالته لاختلافها من شخص لآخر ولاختلافها حتى في الحالة الواحدة، فهي لا تكون بنفس الدرجة، فالمصاب بطلاقة الكلام قد يتحدث لفترة زمنية معينة دون أي عوائق في حين يتغير حاله عند القلق والتوتر.

مظاهرها :

¹ سهير محمود أمين، اللجاجة أسبابها وعلاجها، دار الفكر العربي، ط1، سنة 2000م، القاهرة مصر، ص34.

² فيصل العفيف، اضطرابات النطق واللغة، ص36.

³ فيصل العفيف، اضطرابات النطق واللغة، ص34.

1/التفاوت في إيقاع الحديث العادي، وفي الكلمات بحيث تأتي نهاية الكلمة متأخرة عن بدايتها ومنفصلة عنها .

2/الميل إلى تكرار (REPITION) أصوات ومقاطع أو أجزاء من الجملة وإطالتها (PROLONGATION).

3/المعاناة والمجاهدة الشديدين أثناء الكلام مما ينتج عنه اضطرابات في عملية التنفس مثل إستنشاق الهواء بصورة مفاجئة وإخراج كل هواء الزفير، ثم محاولة استخدام الكمية المتبقية منه في إصدار الأصوات¹.

4/ انشطار الفونيم وظهوره في الصور الآتية: تلثم توقفي في كلمة محمد تنطق (م توقف حمد) (تلثم تطويلي م تطويل حمد) (تلثم تكراري تنطق م م م م حمد)².

أسباب التلثم :

قد تم تشخيص الدوافع المسببة للتلثم في كونها سلوك مكتسب يتم تعلمه في المراحل العمرية الأولى لدى الأطفال مثله مثل الأشياء الأخرى التي يتم اكتسابها ضمن الصور التالية :

- التلثم من حيث هو استجابة شرطية، يحدث نتيجة الانفعالات النفسية كالخوف والقلق، والإحباط، أثناء العملية الكلامية، مما يدفع بالمتكلم إلى عدم السيطرة على أفكاره وترتيبها، وإخراجها بشكل متسلسل (معايير بافلوف).

- التلثم من حيث هو سلوك إجرائي، يعتمد على وجود تعزيز لعدم الطلاقة الطبيعية التي تحدث لكل الأطفال في مرحلة اكتساب اللغة، وينطلق هذا التعزيز من الوالدين، إما برودة فعل ايجابية في صورة اهتمام من الوالدين، فيزيد عدم الطلاقة وتصبح سمة من سمات كلام

¹ فيصل العفيف، اضطرابات النطق واللغة، ص35.

² أحمد نايل الغرير، النمو اللغوي واضطرابات النطق والكلام، عالم الكتب الحديث، ط1، سنة 2009م، عمان، الأردن، ص107.

الطفل، أو يكون تعزيزاً سلبياً يأتي في صورة رفض أو إحباط للطفل مما يؤدي إلى ظهور ردة فعل التفادي والتحاشي للكلام عند الطفل مما يعزز عملية التلعثم (نظرية سكينر)¹.

التأتأة: stuttering

جاء في المجلد الثاني من دائرة معارف القرن العشرين لوجدي محمد فريد تحت مادة تأتأة ردد التاء²، والتأتأة لا تلحق بجرف التاء فقط وإنما تتعدى إلى العملية الكلامية كلها تحدث اضطرابات على مستوى تواتر الكلام وإيقاعه وطلاقاته ويتعثر الكلام بجسبات وتقطعات تصيب الأصوات والمقاطع والكلمات، ينص تعريف وينجيت سنة 1964م على أنّ التأتأة هي:

1 / تمزقات متكررة في طلاقة التعبير اللفظي.

2 / سلوكات مقاومة مصاحبة للتراكيب الوظيفية في حالة الكلام والسكوت.

3 / وجود حالات انفعالية ووجود آثار ايجابية وسلبية التي قد ترتبط أو لا ترتبط بالحديث³، فهي اضطراب يحدث على مستوى تدفق الكلام وعدم المحافظة على السلاسة والانسيابية في الكلام ويصاحب هذا الاضطراب سلوكات انفعالية تظهر على الحالة من توتر وغضب وكثرة الحركة مما ينعكس سلباً على سيرورة العمليات الكلامية .

مظاهرها :

1. حركات ارتعاشية

2. التردد أو التوقف في الكلام بسبب تشنج عضلات التلّفظ أو انغلاق ما في مكان ما في

الجهاز الصوتي.

3. احتباس توقيفي في الكلام يعقبه الانطلاق.

¹ أحمد نايل الغرير، النمو اللغوي واضطرابات النطق والكلام، ص 108.

² وجدي محمد فريد ، دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، مج 2، بيروت، لبنان، ص 520.

³ ابراهيم الزريقات، اضطرابات الكلام واللغة التشخيص والعلاج، ص 228.

4. عدم وجود الانسيابية والسلاسة في الكلام¹

5. الإطالة في الكلام خاصة في الأصوات المتحركة

أسبابها:

أرجع بعض الباحثين أسباب التأتأة، إلى عوامل وراثية بالرغم من عدم استطاعتهم إدراك الكيفية التي يحدث بها الانتقال بين الآباء والأبناء، في حين يرى الآخرون أنّ الأسباب الحقيقية تعود إلى عوامل عضوية نفسية اجتماعية تكمن في ما يأتي:

عضوية:

(1) تقلص عضلات الحنجرة نتيجة الخوف والرهبة مما يصيب الكلام نوع من الرعشة وفقدان

التوازن في التلّفظ بالكلمات والأصوات.

(2) عدم القدرة على التنفس بشكل عادي وبأريحية ما يدفع الطفل إلى بذل مجهود أثناء

الكلام وإحساسه بالتعب والإرهاق والانقطاع والتوقف للاسترخاء ومعاودة الكلام مرة أخرى².

اجتماعية نفسية:

إنّ الحديث عن العوامل الاجتماعية التي تدفع الطفل إلى التعرض لهذه الأمراض لا يسعنا

في هذا المقام إلا أن نطلق من الأشخاص المباشرة والقريبة من الأطفال في المراحل العمرية الأولى

ويُعد الأهل هم أقرب الناس في تلك المرحلة إذ يعد الإفراط في رعاية الأطفال وتدليلهم الزائد من

الأسباب التي تنعكس سلبا عليهم، بالإضافة إلى شعور المريض بالقلق والتوتر الذي ينعكس على

كلامه.

النظريات المفسرة للتأتأة :

¹ هالة ابراهيم الجرواني، رحاب محمود صديق، اضطرابات التأتأة رؤية تشخيصية علاجية، ص48.

² عبد الفتاح بن قدور، اللغة دراسة تشريحية اكلينيكية، ص414.

تم تشخيص التأتأة من قبل جملة من النظريات التي قامت بالبحث في الأسباب والمسببات التي تؤدي إلى حدوث هذا الاضطراب حسب التوجهات والاهتمامات التي تنتمي إليها نسبة إلى الجانب الوراثي أو العصبي و الفيزيولوجي وسنقوم بعرض بعضها على النحو الآتي:

نظرية السيطرة المخية¹ : Cerebral Dominance Theory :

يؤمن أصحاب هذه النظرية أنّ السبب الرئيسي في حدوث هذا الاضطراب يعود إلى الدماغ وأنّ الطفل يميل إلى التأتأة في كلامه بسبب غياب سيطرة الدماغ في ضبط الأنشطة الحركية المستخدمة في الكلام .

النظرية الجينية : Genitic Theory :

أشارت هذه الدراسة إلى أنّ التأتأة تعود إلى أساس جيني مسؤول عن استمرارها أو ظهورها لدى بعض الأفراد المتأتمين.

النظرية العصبية النفسية اللغوية : Nerou Psycholinguistic Theory :

تتجه هذه النظرية نحو التفسيرات العصبية النفسية للمصابين بالتأتأة وقد تم تطويرها من قبل بيركنز و كيت كوري 1991م، ومن أهم ما توصلت إليه من خلال اختبار العينات التجريبية أنّ عدم تحقق الاتساق الدقيق بين النظام اللغوي والنظام الاشاري يؤدي إلى خلل في الطلاقة، بالإضافة إلى عامل ضغط الزمن الذي يحتاجه المتكلم للبدء والاستمرار أو الإسراع في الكلام .

مراحل تطور التأتأة:

يظهر على المصابين باضطرابات التأتأة الاختلاف في نسبة الإصابة بهذا المرض اللغوي مما يسهم ذلك في تشخيص المرحلة المرضية ومعالجتها وعليه حدّد كل من "بلود ستين" وفان راين "ر" مراحل تطور التأتأة وهي:

¹ اضطرابات الكلام واللغة التشخيص والعلاج، ابراهيم الزريقات، ص 235.

تطور التأتأة عند بلود ستين :

المرحلة الأولى:

تتميز التأتأة في هذه المرحلة، بتكرارات لاختلال الطلاقة في بداية الجمل والتي تظهر في المواقف الكلامية وتحت ضغط التواصل مع وعي و إدراك قليل للمشكلة من قبل المتأتى.

المرحلة الثانية:

في هذه المرحلة، تصبح التأتأة، مزمنة أكثر وتظهر في أجزاء كبيرة من الكلام ويرى الشخص نفسه بأن يتأتى عندما يثار أو حالة الكلام السريع ويبدى اهتمام قليل لمشكلته.

المرحلة الثالثة:

أما في هذه المرحلة، تظهر التأتأة في مواقف محددة، وفي أصوات وأحرف أو كلمات محددة ويبدأ الشخص المتأتى بمحاولة تجنبها من خلال الدوران حول الكلمة أو المشكلة أو إبدالها بكلمة أخرى إلا أنه هنا لا يتجنب المواقف الكلامية أو إظهار القلق وتلاحظ هذه المرحلة في مرحلة متأخرة من الطفولة وبداية المراهقة .

المرحلة الرابعة:

وهي المرحلة، التي يخاف الشخص المتأتى من توقع التأتأة في الكلمات والأصوات والمواقف الكلامية، كما يظهر الشخص دوران حول الكلمات المشكلة ومحاولة استبدالها بكلمات أسهل كما يظهر القلق ويتجنب المواقف الكلامية خصوصا في المراهقة المتأخرة والرشد وقد تلاحظ بشكل أبكر من ذلك¹.

¹ ابراهيم الزريقات، اضطرابات الكلام واللغة التشخيص والعلاج، ص 241، انظر رشا عبد الله العلي، دراسة مسببات التأتأة عند الأطفال وتأثيراتها المستقبلية، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات، مج 1، عدد 2، سنة 2020م، الأردن، ص25.

أما بالنسبة "لفان رابير Van Riper 1905م-1994م" فقد تم تشخيصه للمراحل التطورية

للتأتأة ووصفها على الشكل الآتي :

المرحلة الأولى:

تتميز بتكرارات سهلة لبداية الكلمات أو المقاطع اللفظية للجمل وغير مصحوبة بإشارات أو علامات انفعالية أو ضغط نفسي.

المرحلة الثانية:

تتفرد هذه المرحلة بوعي الشخص المتأثر باختلال الطلاقة لديه مع محاولة تعديلها وهذا إشارة إلى بداية توقعها والخوف المرتبط بالتأتأة.

المرحلة الانتقالية:

تظهر هذه المرحلة بين المرحلة الأولى، والمرحلة الثانية، وتظهر علامات الإحباط والمفاجأة والمقاومة والتجنب للكلام، مصاحبة مع الجهود المبذولة في التكرارات والاطالات في الكلمات والمقاطع اللفظية ويؤدي تطور هذه المرحلة إلى الانتقال إلى المرحلة الثانية .

اللجلجة:

اعتبر علماء اللغة اللجلجة، اضطراب يقع على مستوى إيقاع الكلام حيث يتميز نمط الكلام بالإطالة الزائدة، وتكرار الأصوات، والمقاطع والتمزق والإعاقات الكلامية، التي يبدو فيها التلجج وقد اختنق الكلام في حلقه، بالرغم من المجاهدة والمكابدة من اجل إطلاق سراح كلامه¹، إذ يجد الطفل المتلجج نفسه في صراع بين رغبته في التواصل و بين خوفه من العجز والفشل من هذا التواصل ويحدث هذا الخنق والفشل نتيجة التوتر والخوف مما يجعل العملية الكلامية صعبة بعيدة عن التدفق العادي والسلاسة الطبيعية.

¹ سهير محمود أمين، اللجلجة أسبابها وعلاجها، دار الفكر العربي، ط1، سنة 2000م، القاهرة، مصر، ص 23. انظر أيضا إيمان فؤاد كاشف، مشكلات الكلام واللجلجة، دار الكتاب الحديث، ط1، سنة 2010م، القاهرة، مصر، ص73.

مظاهر اللججة:

تتمظهر اللججة في السلاسل الكلامية وفق أشكال متعددة نذكر منها :

التكرارات:

يعتبر التكرار من أهم مظاهر اللججة التي تصيب الكلام بحيث يميل المريض إلى تكرار بعض الحروف والمقاطع والكلمات، ويكون هذا التكرار بنسب مئوية تختلف عن المعدل النسبي للتكرارات التي يقوم بها الطفل السوي.

الاطالات:

تعد الإطالة شكل آخر من أشكال اللججة والمقصود بها إطالة الأصوات خاصة الأصوات المتحركة.

التوقفات الكلامية:

تمثل العجز عن إصدار أي صوت على الإطلاق برغم الجهد العنيف الذي يبذله، ويحدث هذا التوقف بسبب انغلاق ما في مكان ما في الجهاز الصوتي أو اضطرابات تصيب عملية التنفس¹.

أسبابها:

عوامل وراثية:

من العلماء من قاموا بتشخيص ظاهرة اللججة أتمها تعود إلى أسباب وراثية إلا أن البحوث الحديثة لم تثبت صحة هذه الدراسة بحيث لم تتوفر أي جينات في الجسد مسؤولة عن اللججة .

عوامل فيزيولوجية:

¹ سهير محمود أمين، اللججة أسبابها وعلاجها، ص 28.

- تعود الأسباب الفيزيولوجية لظاهرة اللججة إلى ما ذهب إليه " ترافيز Travis 1944م " أن اللججة تعود إلى عجز في السيطرة المخية ولقد بنى نظريته على عدد من الحقائق منها:
- موجات المخ الثنائية لدى المتلجلج تتم بالتساوي في الشكل والسعة.
 - أظهر رسم موجات المخ (EEGS) أن هناك انسجاما في نشاط المخ في كلا النصفين أثناء اللججة ويحدث عكس ذلك في الكلام الطبيعي.
 - زيادة كهربية في طاقات المخ الكامنة أثناء اللججة¹.

عوامل بيوكيميائية :

يرى أصحاب هذا التوجه أن اللججة تعود إلى أسباب عضوية وخاصة الاضطرابات التي تحصل على مستوى عملية الأيض وهي التفاعلات الكيميائية التي تتم داخل الخلايا الحسية لإنتاج الطاقة اللازمة للنشاطات الحيوية لدى المتلجلجين وعليه تم اعتبار اللججة نوعا من الاضطرابات التشنجية الشبيهة بنوبات الصرع وأهم عامل لإحداثها هو الانفعالات النفسية والخوف .

عوامل نفسية:

تم تشخيص العوامل النفسية في الصرع الذي يعانيه المتلجلج «بين صعوبة نطق الألفاظ والمجهودات التي يبذلها من أجل إخفاء نقص الطلاقة لديه»²، وقد تم تقسيم مستويات الصرع التي تؤثر على طلاقة الكلام إلى أربعة مستويات على النحو الآتي:

- الصرع المرتبط بمستوى الكلمة: صراع المتلجلج بين النطق أو الصمت لبعض الكلمات التي يصعب عليه نطقها.

¹ سهير محمود أمين، اللججة أسبابها وعلاجها، ص32.

² سهير محمود أمين، اللججة أسبابها وعلاجها، ص34.

- الصّراع المرتبط بالمحتوى الانفعالي: والمقصود بهذا النوع من الصّراع ما يحتويه الكلام من انفعالات تزيد من الضغط النفسي وحدة الانفعال لدى المتلجلج أثناء الكلام.
- الصّراع المرتبط بمستوى العلاقة : أي علاقة المتلجلج ببعض الأشخاص التي يكون تأثيرهم أقوى من غيرهم مما يجعل الفرد يلجأ إلى الإحجام عن الكلام.
- الصّراع المرتبط بالمواقف التي تحمل تهديدا لحماية الأنا: ففي مثل هذه المواقف التي يتم فيها تقدير المتلجلج إقما بالنجاح أو بالفشل، نلاحظ أن الضّعف النفسي وما يتبعه من قلق وخوف يزداد ويتولد الصّراع الذي يحول بين المتلجلج وطلاقة اللسان¹.

عوامل البيئة الاجتماعية:

تعود أغلبية الاضطرابات اللغوية إلى العوامل الاجتماعية الداخلية والخارجية التي تحيط بالطفل، فان لم تكن هي السبب الرئيسي قد تساهم بنسبة كبيرة في تطور هذا الاضطراب وصعوبة احتواءه.

علاج اضطرابات الصوت:

يشتمل علاج اضطرابات الصوت على ثلاثة مناهج :

المنهج الطبي:

يحدث العلاج الطبي عن طريق العمليات الجراحية والأدوية التي تساعد المريض على تحقيق أفضل درجة ممكنة من الصوت.

المنهج البيئي:

مكافحة الأسباب البيئية التي تكون سببا في إثارة الحساسية الصوتية التي تؤديها الحنجرة والرنين الصوتي بالإضافة إلى التوعية التي يتم تقديمها إلى أهل المريض حتى يتمكنوا من التعامل مع هذه الاضطرابات ومحاوله صرف الأسباب المؤدية إليها.

¹ سهير محمود أمين، اللجلجة أسبابها وعلاجها، ص35.

المنهج المباشر:

يشمل العلاج على مجموعة من الجلسات العلاجية على تمرين الصوت، ومن ثم الانتقال إلى ممارسة منفردة واستعمال يومي للصوت¹.

علاج التلعثم:

الاسترخاء الكلامي: تخفيف الشعور بالاضطراب والتوتر أثناء الكلام.

طريق تمرينات الكلام الإيقاعي: تعتمد على الحركات الإيقاعية والهدف منها صرف المريض عن مشكلته من خلال الإيقاع بالنقر بالأقدام أو اليد أو الصّفير أو الخطوات الإيقاعية.

طريقة النطق بالمضغ: أن يقوم المريض بحركات المضغ بهدوء وسكون وذلك من تحيّل أن يمضغ أيّ شيء ثم يطلب منه إحداث صوت لعملية المضغ ثم يوجه المعالج بعض الأسئلة بنفس أسلوب المضغ ويجعل المعالج المريض يجيب عنه بنفس الأسلوب فيخرج الكلام بسهولة .

طريقة الغناء والموسيقى: تساعد الموسيقى على تخفيف حدّة التوتر ويُعوّد المتلعثم على احترام الإيقاع الموسيقي في ترديد الغناء بخاصة لدى الأطفال عن طريق الغناء بالأناشيد فتجنبه التفكير في التلعثم فيظهر سلاسة أكثر.

طريقة السيكو دراما: تمثيل أدوار مختلفة تكشف عن معاني العلاقات الاجتماعية عند المريض.

علاج دوائي: من خلال مهدئات تؤثر على عوامل القلق التي تعوق المتلعثم .

علاج جراحي: تقطع الأعصاب المسؤولة عن العضلات غير رئيسية في النطق ولها الكثير من الأضرار وتحسن المريض يكون طفيف ولكنها لا تستخدم لأنها غير عملية.

قناع الضوضاء: سماعة رأس تُحدث ضوضاء فلا يستطيع المتلعثم أن يسمع نفسه فيتحدث بطلاقة¹.

¹ ابراهيم الزريقات، اضطرابات الكلام واللغة التشخيص والعلاج، ص211.

طرق علاج التأتأة:

يستعين المعالج بالإرشادات النفسيّة التي تقلل من حدة الاضطراب والتوتر عند المتأثرين بالإضافة إلى توجيه أفراد العائلة إلى كيفية التعامل مع هذه الحالة قبل أن يبدأ في العلاج التطبيقي الممنهج على الشكل الآتي:

1. علاج تشكيل الطلاقة: حيث يُعلّم المصاب طرقاً تساعد على الطلاقة ومنها تنظيم العلاج بشكل تسلسلي إذ ينتج المصاب بواسطته الكلام في مستوى الكلمة أو الكلمتين، وهنا يلجأ المعالج إلى أسلوب الثواب والعقاب ومع التقدم في العلاج ينتقل المعالج من الأسهل إلى الأصعب ومن الطرق الأخرى تغيير أنماط كلام المصاب بالبطء في الكلام أو الزيادة تدريجياً في الكلام وعندما ينجح المعالج في تحقيق طلاقة الكلام عند المصاب في العيادة، ثم ينقل تطبيقها إلى خارجها.

2. علاج تعديل سلوك التأتأة: يهدف هذا العلاج إلى تعديل سلوك التأتأة وتجنب الكلام والمقاومة.

3. العلاج الدمجي: يستعمل المعالج فيه طرق علاج تشكيل الطلاقة وعلاج سلوك التأتأة، وقد يتم تركيز المعالج على أحد المناهج المتبعة سابقاً وذلك بتقليل سرعة الكلام من خلال تنظيم عملية التنفس ومحاولة تطويل المقاطع اللفظية.

علاج التأتأة:

تتمثل طرق علاج التأتأة في النقاط الآتية:

- إجراء الكشف الطبي أولاً.
- معالجة الأسباب العضوية أو التشريحية .

¹ مروة عادل السيد، استراتيجيات اضطرابات النطق والكلام التشخيص والعلاج، المكتبة العصرية، ط1، سنة 2012م، المنصورة، ص 66.

- استخدام العلاج النفسي والاجتماعي والإرشادي.
- العلاج الكلامي من خلال تدريبه على التحكم في حركات لسانه في أوضاع مختلفة داخل الفم وخارجه ثم تدريبه على نطق الحروف مستعين بمرآة توضع أمامه أثناء التدريب على النطق¹.

علاج اضطرابات النطق:

يمكن اعتبار اضطرابات النطق التي تحصل للطفل قبل سن الدراسة، عادة طبيعية، ولكن قد يختلف الوضع بالنسبة لسن البلوغ المدرسي، ويحتاج الطفل في هذه الحالة، إلى خضوعه للتقييم والتشخيص الطبي والأخصائي اللغوي، «فعندما تكون العيوب الكلامية ذات أساس عضوي يعتمد على العلاج الطبي والذي يقتضي معالجة الأسباب العضوية سواء كان التدخل عن طريق العقاقير أو الإجراءات الجراحية أو غير ذلك من أشكال التدخل الطبي، بموازاة مع ذلك وبعد إجراءات تشخيص أخطاء النطق ترسم الخطة العلاجية التقييمية التي تتمثل في تدريب الطفل على إصدار الأصوات غير الصحيحة بطريقة صحيحة ويكون البرنامج على شكل جلسات علاجية قد تكون فردية أو جماعية أو مشتركة معا يقوم بإعدادها أخصائي عيوب النطق»²، تتضمن حصصا تقييمية لإعادة واسترجاع الأصوات غير الصحيحة واستشارة المريض لإعادة النطق بما نطقا صحيحا منفردة أو مركبة داخل جمل .

تجليات موضوع معالجة اضطرابات الكلام في الدرس اللغوي القديم:

الجاحظ (159هـ-255هـ):

¹ أحمد نايل الغرير، النمو اللغوي واضطرابات النطق والكلام، ص 116.

² عبد الفتاح بن قدور، اللغة دراسة تشريحية - اكلينيكية، ص 428.

تفطن الجاحظ بشكل واضح في كتابه البيان والتبيين، للأمراض الكلامية التي تعيق اللسان البشري والتي تفقد الخطيب بلاغته في قوله: «وليس اللّجلاج والتمتام والألثغ والفأفاء، وذو الحبسة والحكلة والرتة وذو اللّفف والعجلة في سبيل الحصر في خطبته والعيّ في مناضلة خصومه كما أنّ سبيل المفحم عند الشعراء والبكيء عند الخطباء خلاف سبيل المسهب الثرثار، الخطل المكثار»¹، قام الجاحظ بالفصل بين الأمراض التي ينتج عنها الإسراع والإكثار في الكلام وبين الحصر والعيّ الذي يعود إلى ثقل اللسان وعدم القدرة على التكلم مما يؤدي إلى أخذ الشعراء والخطباء موضع البعد عن الفصاحة والبلاغة.

ومن بين العيوب التي أشار إليها دون أن يتعرض لمفهومها اللثغة إذ حدّد الحروف التي تدخلها وهي السين والقاف اللام والراء نحو: «فالثّغّة التي تعرض للسين تكون ثاء كقولهم لأبي يكسوم أبي يكثوم، والثانيّة اللثغة التي تعرض للقاف فإنّ صاحبها يجعل القاف طاء فإذا أراد أن يقول قلت له قال طلت له وأما اللثغة التي تقع في اللام فإنّ من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله اعتللت: اعتييت والثّغّة التي تقع في الراء فإنّ عددها يضعف على عدد لثغة اللام، لأنّ الذي يعرض لها أربعة أحرف نحو عمرو: عمى، عمغ، عمد»²، وما اللثغة في الحقيقة إلا علة في نطق الأصوات نطقاً سليماً مما يجعل المريض ينطق صوت مكان صوت آخر وقد تجتمع لثغتان في حرفين كجعل اللام ياءً والراء ياءً وهي بالنسبة للجاحظ درجات حيث صنّفها على النحو التالي «فالثّغّة التي في الراء إذا كانت بالياء فهي أحقرهن وأوضعهن لدى المرءة، ثمّ التي على الظاء، ثمّ التي على الذال فأما التي على الغين فهي أيسرهن ويقال صاحبها لو جهد نفسه

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 12.

² الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 34.

جهده وأحد لسانه» كانت أيسر وأكثر سهولة في أن يدرك المتكلم هذه اللثغة ويصبح لسانه قادرا على النطق السليم للحرف.

ومن جانب آخر، توجه صوب العيوب النطقية التي تعرض الأعاجم والتي وسمها باللكنة معرفا إياها بقوله: « ويقال في لسانه لكنة إذ أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول»¹، والمقصود من هذا التجاذب الذي أشار إليه الجاحظ هو أن ينتقل المتكلم من غير قصد إلى لغته الأم أو لغة المنشأ والنطق بالحروف بشكل مغاير لما كان عليه الأمر سابقا.

ابن سيده (398هـ-458هـ):

تناول ابن سيده في مؤلفه الموسوم بالمخصّص الإشارة، إلى الاضطرابات التي تصيب ثقل اللسان وتؤدي إلى قلة البيان باعتبارها تعيق بشكل من الأشكال العملية التواصلية ووضع الحواجز التي تفصل بين المتكلم والمستقبل «إما عجلة في الكلام كالبُعْبُعَة أو تردد في نطق الفاء وعسر خروج الكلام كالفأفة والتمتام الذي لا يفهم كلامه وقد لقب "أبو عبيدة" ثقل اللسان بالعي والذي لا يتم رفع لسانه في الكلام بالألغ والمتردد بالرثه»²، ويقول "ابن دريد" عن اللجلاج من أصابه الثقل في لسانه وهو الذي يجول لسانه في شدقه واللجلاج الذي يردد الكلمة في فيه فلا يخرجها من ثقل لسانه وقد أنشد "ابن السكيت 186هـ-244هـ" الذي يعاني من الحكلة أي العجمة لو أنني أوتيت علم الحكل علم سليمان كلام النمل.

والحكمة عند "ابن دريد 223هـ-321هـ" «غلظة اللسان وتقبّضه والتعته وهي من لا يستمر في كلامه و الضغضة أن يتكلم فلا يبيّن كلامه ويقال ضغضغ اللحم في فيه إذ لم يحكم

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص40.

² ابن سيده، المخصص، ج2، ص118.

مضعه»¹، وبمجرد النظر إلى هذه العلة من قريب أو من بعيد فإننا نجد في الظاهر أنّها أمراض عضوية لا تتعدى اللسان ولا تخرج عن نطاق الثقل أو السرعة في الكلام .

ابن سينا (370هـ-427هـ):

كان لابن سينا رأيا وتصورا، حول الأمراض الكلامية، حيث يرى «أنّ الغنة تحدث بسبب انسداد في الخيشوم وهي الشيء المحتبس في داخله حتى يمتنع الشيء النافذ من الحلق إلى الأنف أو من الأنف إلى الحلق، وقد يكون خلطا لزجا وقد يكون لحما ناتئا وقد يكون خشكيشة هذه السدة تفعل الغنة حتى تمنع فضلة النفخة عن أن يتسرب في الخيشوم فتفعل الطنين الكائن منه»²، مما يجعل الصوت يخرج مصاحبا بغنة ويضيف ابن سينا أنّ الآفة في الكلام قد تكون بسبب أورام تحصل على مستوى اللسان ونواحيه،

«وقد تكون الآفة في الكلام لسبب في عضل الحنجرة إذا كان فيها تمدد أو استرخاء فرما كان الإنسان يتعذر عليه التصويت في أول الأمر إلا أنّه يعنف في تحريك عضل صدره وحنجرته تعنيفا لا تحتمل تلك العضلة فتعصى فإذا يبس في أول كلمة ولفظة استرسل بعد ذلك ومثل هذا الإنسان يجب أن يستعدّ للكلام بنفس عظيم وتحريك للصدر عظيم بل يشرع فيه فانه إذا اعتاد ذلك سهل عليه الكلام واعتاد السهولة فيه»³.

تجليات موضوع معالجة لاضطرابات الكلام في الدرس اللساني الحديث:

عرض الدرس اللساني العربي والغربي الحديثين إلى سؤال معالجة أمراض الكلام، من خلال التوجهات والبحوث التي خاض فيها علماء اللسان بخاصة بعد التحول الإجرائي والمنهجي الذي عرفته الدراسة اللسانية في بدايات القرن العشرين، وتبدى ذلك بداية من المقارنات التي أحاطت

¹ ابن سيدة، المخصص، ج2، 122.

² عبد الفتاح بن قدور، اللغة دراسة تشريحية إكلينيكية، ص 311.

³ عبد الفتاح بن قدور، اللغة دراسة تشريحية إكلينيكية، ص 311 .

بعمليّة التلّفظ عند الطّفل السليم في اكتسابه اللّغة عبر مراحل النمو، مركّزين على الجانب الوظيفي

للفونيمات Les phonemes ضمن المنظومة التلفظية

وقد تفردت الدّراسة اللّسانية التي عُنت بمسألة اضطرابات الكلام بنظرة مخالفة لما عرضت

إليه اللّسانيّات التّشريحية والعصبية، فاللّغة عند البنويين والوظيفيين، عبارة عن بناء يتركب من

أصوات وكلمات وجمل يكتسبها الطّفل السّوي عبر مراحل متدرجة من تنشأته، وإذا ما تعرض

هذا الطّفل إلى خلل على مستوى اللّغة فإنّه يفقد القدرة على التحكم في هذه المستويات بسبب

إخلال في توظيف هذه الفونيمات، وهذا ما سنحاول أن نتداركه من خلال الوقوف على

الإرهاصات الأولى لهذا المبحث عند كل من رومان جاكسون وتشومسكي، لنعطف بعدها إلى

ما قدمه عبد الرحمن حاج صالح في نظريته الخليلية من مقترحات .

الآليات الإجرائية اللّسانية لمعالجة أمراض الكلام:

يتجلى عمل اللّساني في مبحث علاج الكلام، من خلال متابعته لجملة الإخلالات الأدائية

واللّغوية، التي ترتد إلى الاهتمام بالناحية التلقينية أو التفسيرية للّغة من حيث الرسالة التواصلية.

ومن ثمة، العمليّات المنطقية في الدّماغ، بغرض تدارك التأخير الحاصل في عمليّة اكتساب اللّغة

باعتبارها منظومة فكرية، ومن هذا المنطلق، يتشكل عمل اللّساني في استيعابه للمعوقات اللّسانية

الحاصلة على مستوى الأداء الكلامي أو عمليتي الفهم والإفهام، بعيدا عن المعالجة الإكلينيكية

والمعالجة النفسية التي لم تثبت جدارتها في أغلب الحالات المرضية، والتي تحتاج إلى تكثيف لسانيّ

لغويّ في متابعة العمليّات المنطقية التي تصنع اللّغة، فقد تكون الحالة سليمة فيزيولوجيا ولا تعاني

أي اضطراب على مستوى المناطق التي تم تحديدها من قبل علماء الطّب والتّشريح للّغة والكلام

وإنّما يعود ذلك إلى خلل وظيفي يتحدد فيما يأتي:

- عدم التلقين الجيد للطفل أثناء نموه أو أثناء التطور المرحلي اللغوي وعدم اكتمال اللبّات المنطقية لديه.
 - الضعف الإدراكي للحالة مع ضعف القدرة الاستيعابية التي تختلف من شخص لآخر وما ينتج عنها من تأخر لغوي.
 - فقدان القدرة على التعامل مع العلامة اللسانية (الصورة السمعية).
 - فقدان القدرة على التحكم والانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية.
 - عدم الوعي الكافي للأصوات اللغوية صوتا ومخرجا ووظيفة.
 - خلل على مستوى التركيب والاختيار (التفكيك وإعادة البناء).
- وفقا للمعطيات السالفة الذكر، يتحدد المسار اللساني والمتمثل في البحث عن العلاج الذي يتوافق مع الحالة المرضية المتمثلة أمامه بعد عملية التشخيص والمتابعة اليومية، ومن أهم الآليات التي يلجأ إليها في مساره العلاجي يمكن أن نشير إلى بعضها والمتمثلة في :
- إعادة اكتساب اللغة من خلال ترويض الملكة اللغوية وتنمية التعلم الذاتي لدى الحالة .
 - يُعد التعليم الذي يركز على كفاءة الطفل من أهم الوسائل العلاجية التي يركز عليها اللساني، وفي هذه الحالة يصبح المتعلم هو السلطة المطلقة في العملية التعليمية من خلال توظيف جميع قدراته المعرفية والمنهجية في عملية الاكتساب بدل العمليات التلقينية أو تقنية الشحن المعرفي المعتاد عليها سابقا.
 - إعادة تأهيل الطفل وتمرينه على الأصوات والحروف صوتا ومخرجا ليتمكن من التمييز بين الأصوات والتحكم في جهازه النطقي.
 - استعمال الوسائل التقنية والاستراتيجيات المناسبة في هذه الممارسة .

- التنشيط الذهني للحالة عن طريق الألعاب والألغاز المتمثلة في ألعاب ترتيب الصور وإعادة تفكيكها والبحث عن الكلمات المفقودة والكشف عن معاني الكلمات الجديدة فهذا يساعده على تنشيط المدخلات القبلية وتمارين جهازه النطقي وتعوده على الحركة من جديد.

مقترحات النظرية البنائية عند رومان جاكسون:

ارتكزت منطلقات النظرية اللسانية عند "رومان جاكسون"، على أساس بنوي محض، خاصة في تعامله مع الوحدات اللغوية، بدءاً بالفونيم انتهاءً إلى النسق. ومن ثمة، الانتقال إلى محاولة تفسير العمليات التواصلية وتشخيصه للأمراض الكلامية، من خلال نظريته الفونولوجية القائمة على مستوى التقابلات ومركزا على نقطتين أساسيتين المظاهر اللغوية لاضطرابات الحبسة، والتوازي بين التفكك اللغوي عند المصاب وبين اكتساب الطفل للغة، «فقد انطلق في دراسته إلى التأكيد على أنّ المستوى الذي شهد اتفاقاً وإجماعاً بين علماء اللغة وعلماء النفس وهو تفكك النظام الصوتي فقد تبين أنّ التفهق الحبسي مرآة لتعلم الطفل أصوات اللغة وأنه يبيّن لنا نمو الطفل ولكن بطريقة عكسية»¹ يتجلى ذلك من خلال الصفات التمييزية والتقابلات التي يكتسبها الطفل السوي ويفقدها المصاب بالحبسة إذا عرضنا كلمتي (طاب/تاب) على طفل سوي يستطيع أن يميز بالدرجة الأولى الاختلافات التمييزية بين الطاء والتاء وبالتالي يصبح قادراً على إدراك الفرق بين الصيغتين ويعلم أنّ لكلّ منها معنى خاصاً بها وهذا ما يعجز عنه مريض الحبسة، حيث يفقد القدرة على التمييز بين السمات التمايزية وفقاً لتدرج معين وهذا التدرج يحصل بطريقة عكسية في مراحل اكتساب اللغة ونسوق مثلاً على ذلك التمييز بين الفونيمات /ض/و/د/ أو /ر/ و/ل/ أو

¹فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، المؤسسة الجامعية، ط1، سنة 1993م، بيروت لبنان، ص155.

بين /س/ /ص/، «فالطفل لا يستطيع أن يميّز بين هذه المتقابلات إلا في مرحلة متأخرة من تعلمه اللغة في حين أنّ هذا التمييز عينه هو أول ما يفقده المصاب بالحبسة فهناك إذن ارتباط عكسي بين اكتساب اللغة عند الطفل وفقدانها عند المصاب بالحبسة»¹، فكل ما يكتسبه الطفل في مراحل التلقينية يكون عرضة لفقدانها بشكل عكسي عند الإصابة بالحبسة الكلامية، وقد ميز أيضا بين نوعان من الحبسة التي تعود إلى خلل في التماثل وخلل في المجاورة أو العلاقات التركيبية والعلاقات الاستبدالية، وتعد من أهم المبادئ التي ندد بها ديسوسير:

اضطراب التماثل:

وهي الاضطرابات التي تتعلق بعملية الانتقال أو الاستبدال فإذا قدّمنا إلى مصاب باضطراب التماثل أجزاء كلمات أو جمل سيتمّها بسهولة كبيرة، فيكون حديثه عبارة عن ردات فعل لا إرادية إذ يكمل بطلاقة محادثة ما ولكنه غير قادر على إثارة حوار أو قول جملة لا تكون ردا على سؤال أو على موقف آلي، وهو بالتالي لا يستطيع أن يتكلم عن شيء مضى أو شيء متخيل وهكذا كلّما تعلّق الحديث بالموقف والسيّاق كان المريض أكثر قدرة على أن يستجيب للحديث بنجاح أكبر، لفقدانه القدرة على عملية الانتقال المربوطة بشكل مباشر بالسيّاق الكلامي الذي لا يستطيع استحضاره أمامه فهو غير قادر على تحيّل أو إحضاره لأنه في مقام مستعمل لغة واحدة وهي اللغة الهدف ولا يستطيع التعامل باللغة الماورائية لأنه غير قادر على تفسير إشارة لغوية بإشارة أخرى متجانسة معها ومتقاربة ومعادلة لها من نفس اللغة أو من غيرها ومن نفس المخزون اللغوي، ووجب علينا الإشارة «أنّ كل تجاور في هذا المقام تجاور زماني ومكاني وليس تجاورا بفعل تماثل لأن الوظيفة الاستبدالية معطّلة وأكّد "جاكسون" أنّ الصّور البيانية المستعملة من قبل مصاب بحبسة التماثل تتشكل في استخداماته للمجاز المرسل الشوكة تحل محل السكين والطاولة

¹ فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص 120.

محل المصباح والدخان محل الغيوم والأكل مكان الشواء والأسود بالميت»¹، يتشكل الخلل عند الطفل في فقدانه القدرة على تحقق الاختيارات المناسبة الحاصلة على المحور العمودي.

اضطراب المجاورة:

اضطراب يفقد فيه المريض كل «قدرة على تكوين الجملة لأنّ القواعد السياقية التي تنظم الكلمات في وحدات معنوية أعلى قد فقدت الروابط التنظيمية كحرف العطف والجر وغيرها»²، ويصبح حديثه مجرد رسائل برقية خالية من الأدوات التحويلية التي تنظم الكلمات داخل الجمل كما هو الحال في "حبسة بروكا"، حيث «يفقد المصاب بالتتابع القواعد التركيبية التي تنظم الكلمات في الخط الركني يصبح كلامه غير سليم ومفتقرا نحويا»³، فالمصاب لا يستطيع تشكيل الجمل فكل ما يمكن أن يعبر عنه كومة من الكلمات المتجاورة والمتراصة بطريقة مشوشة غير متناسقة خالية من الكلمات التي تؤدي دلالة إعرابية كأدوات الجرّ والعطف وأدوات التعريف وهذه الأخيرة تكون من الوحدات اللغوية الأكثر صمودا في حبسة التماثل فهذه الأدوات هي أول شيء يفقده المريض وآخر شيء يكتسبه في طفولته، «فالحبسة التي أصيب فيها عمل السياق تميل إلى جعل الخطاب مجرد مقولات طفولية مكونة من جملة واحدة، بل من جملة مكونة من كلمة واحدة ولا يبقى سوى بعض الجمل الطويلة المقبولة والجاهزة تماما»⁴، فالطفل في مراحله الأولى من اكتساب اللغة يكون في صدد جمع الكلمات على نسق معين وفي مرحلة أخرى يقوم بتجميعها خالية من أدوات الربط.

مقترحات النظرية المعرفية عند بياجيه:

¹ فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، ص 165.

² فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، ص 119.

³ عبد الفتاح بن قدور، اللغة دراسة تشريحية إكلينيكية، ص 376.

⁴ فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، ص 166.

لا يضع "بياجيه" فروقا كبيرة بين العقل والجسم، ويجعل منهما كيانا يكمل بعضه البعض، فكلاهما يخضع لنشاط بيولوجي واحد أساسه التنظيم الداخلي والخارجي والتكيف مع البيئة، فالنشاط العقلي لا ينفصل عن النشاط البيولوجي « وما الوظائف العقلية إلا حالة أو صيغة خاصة من النشاط البيولوجي يركز عليها الفرد ويستعين بها حتى يتمكن من التكيف مع بيئته وتنظيم خبراته»¹، ومن أهم المنطلقات التي ركز عليها "بياجيه" في نظريته محاولة معرفة الطريقة التي يدرك بها الطفل هذا العالم و كيفية تطور إدراكه و ذكائه من مرحلة إلى مرحلة أخرى باعتبار أنّ الذكاء ما هو إلا توازن بين الفرد وبيئته، وعلى هذا الأساس ومن خلال تجاربه استطاع تمييز الاختلافات القائمة بين الأطفال الصغار و المراهقين و إدراكه المحطات التي تنمو فيها البنى العقلية منذ الولادة حتى سن المراهقة التي تؤثر على العملية الكلامية بوصفها فعلا تواصليا حركيا.

مبادئ نظرية بياجيه :

- الإنسان يرث نزعتين أساسيتين هما:

1. **التنظيم Organisation:** وهي النزعة إلى التصنيف أو تنسيق العمليات و

الخبرات في نظم مترابطة متماسكة.

2. **التكيف Adaptation:** وهو النزعة للتوافق مع البيئة خلال التعامل المباشر

معها.

- العمليات العرفانية تحوّل الخبرات إلى شكل يمكن للطفل استخدامه في التفاعل مع

المواقف الجديدة.

- العمليات العقلية العليا تسعى إلى تحقيق التوازن حيث يسعى الطفل إلى تحقيق

الاستقرار في تصوره للعالم .

¹ حاج عبو شرفاوي، علاقة البنية المعرفية الافتراضية بالبنية المعرفية الملاحظة دراسة تحليلية في ضوء نظرية بياجيه، رسالة لنيل

شهادة دكتوراه في علم النفس العام، جامعة وهران، سنة 2012م، ص112.

- يمر الطفل كي ينقل الخبرات إلى معرفة، بعلميتين مكملتين لنزعتي التنظيم و التكيف و عملية التوازن وهما :

1. الاستيعاب **Assimilation**: عملية استدخال و تمثّل عناصر البيئة في البناء العرفاني للطفل، فيتكون لديه إطار عقليّ مرجعيّ حيث يستجيب للموقف الجديد كما سبق أن استجاب لمواقف مماثلة في الماضي و هذا يؤدي بالتدريج إلى التعميم.

2. التواءم **Accommodation**: عملية تعديل الطفل لتصوراته للعالم كخبرات جديدة مما يؤدي إلى تغيير بناء المعرفة لديه.

- عندما يستوعب الطفل الخبرات و يتواءم معها يظهر لديه نمط سلوكي منتظم يعرف باسم النظام أو المنهج system الذي يسير عليه الفرد وهو يأكل وهو يتعلم، وهو يلعب.... الخ.

- البناء العرفاني يكمن وراء السلوك¹.

مقترحات النظرية التوليدية التحويلية عند تشومسكي:

تعد النظرية التوليدية التحويلية من أهم النظريات الحديثة التي أحدثت تحولا ومنعطفًا كبيرًا في البنية اللسانية، إذ كان له تصورا مختلفا عما اعتمده بنويّة سوسير و وظيفيّة مارتني، فقد عاد أدراجه إلى التأمّلات الأولى في نشوء اللّغة عند الإنسان من حيث هي مكّلة معرفيّة، يكتسبها الطّفل بالفطرة، وأداءه للّغة ما هو إلا صقل لقدراته الإبداعية والبيولوجية في التعامل معها.

وفق التصور الذي سار عليه تشومسكي، في جعل المتكلم محور الدّراسة اللّسانية، باعتباره قادر على إنتاج عدد لا متناه من الجمل من عدد متناه من القواعد، وحتى أنّه قادر على إنتاج جمل لم يسمعها من قبل من خلال القواعد الضمنيّة التي يقيسها على الوحدات أثناء عمليتي التوليد و التحويل، وأول ما انطلق منه "تشومسكي" قدرة الطّفل على معرفة قواعد لغته، و قدرته على التصرف فيها «ففي غضون ثلاث سنوات تقريبا يكتسب الطّفل المعرفة الأساسية بتنظيم

¹ محمد جهاد جمل، العمليات الذهنية ومهارات التفكير، دار الكتاب الجامعي، ط2، سنة 2005م، الإمارات العربية المتحدة، ص49.

لغته الأم و يتوصّل إلى إحراز المقدرة التامة على إنتاج جمل لغته وتفهمها فهو إذن يكتسب لغة محيطه بسرعة مدهشة، فالصورة التي ابتدأنا نكونها عن عملية اكتساب اللغة هي صورة طفل يكتسب لغته بوسائل خاصة»¹، وهذه الوسائل الخاصة دفعت "تشومسكي" إلى النظر في العمليات الإبداعية الخلاقة التي يتميز بها الطفل باعتبارها خاصية إنسانية يتميز بها عن غيره من المخلوقات فللطفل معرفة ضمنية بالقواعد التي تحكم لغته وقدرته على إدراكها و فهمها دون أي تدخل خارجي وبالتالي فهو ذو كفاية لغوية، «أما الأداء الكلامي الذي يشكل طريقة توظيف هذه القدرات الضمنية في عملية التواصل وهو يحتوي على تنظيم معقد من الكلمات التي يكمل بعضها بعضا: الإدراك السّمي، وقراءة الإشارات والكلام الآني»²، وأي اضطراب في نظر "تشومسكي" فهو يصيب الأداء الكلامي ويصطدم بإحدى هذه المكونات و فقد السيطرة عليها ولا علاقة للكفاية اللغوية بذلك فالاضطرابات التي تصيب اللغة تصيب الأداء الكلامي دون أن تؤثر على الكفاية اللغوية وكون الكفاية اللغوية عند الإنسان وحدة متكاملة تقود مكونات الأداء الكلامي «فإنّ الاضطرابات تصيب الأداء الكلامي بإصابة مكوناته لأن العوارض اللغوية لا تصيب إلا الأداء الكلامي»³ ولا دخل للكفاية اللغوية في هذا الاضطراب.

الحبسة الكلامية عند تشومسكي:

من خلال المعتقدات التي آمن بها "تشومسكي" في المنعرج الذي أحدثته المدرسة التوليدية التحويلية في اللسانيات الحديثة و يعود الاضطراب إلى خلل في البنية السطحية أو البنية العميقة أو في المكون الدلالي وعليه تم التمييز ضمن هذا التصنيف اللساني للحبسة على أربعة أنواع من الحبسة حسب مستوى اللغة المضطرب وهي:

¹ ميشال زكريا، اللسانية التوليدية و التحويلية وقواعد اللغة العربية، ص 48.

² سميرة الجليلي، أمراض الكلام و العادات النطقية في لسان سكان الغرب الجزائري، سنة 2016-2017م، جامعة الجليلي يابس، بلعباس، الجزائر، ص 144.

³ عبد الفتاح بن قدور، اللغة دراسة تشريحية، ص 373.

❖ حبسة لفظية VERBAL APHASIA: «يكون فيها المصاب عاجزا عن إحضار الكلمات قولاً وكتابة .

❖ حبسة اسمية NOMINAL APHASIA: تعنى العجز عن فهم أسماء الأشياء أو معنى الكلمات المنفردة.

❖ حبسة نحوية MORPHOSYNTACTIC APHASIA / AGRAMMATISM: عدم القدرة على تركيب الجملة و مراعاة القواعد النحوية كالاستغناء عن الكلمات الوظيفية.

❖ حبسة دلالية SEMANTIC APHASIA: تعنى العجز عن فهم الكلام المركب في الجملة المفيدة، مع القدرة على فهم الكلمات متفرقة كل كلمة على حدة¹، فإذا ما قارنا بين ما جاء به جاكبسون في عرضه للحبسة على مستوى التماثل و التجاور وبين ما جاء به تشومسكي فيمكن أن نحدث مقارنة بينهما في اعتبار الحبسة النحوية حبسة تجاورية والحبسة اللفظية حبسة تماثلية وكل منها يفتقر إلى عامل السياق في فهم و تركيب و اختيار الأنساق الكلامية.

أمراض الكلام في ضوء تصورات النظرية الخليلية: لغة الطفل في ضوء النظرية الخليلية :

يتناول "حاج صالح"، هذا العنصر انطلاقاً من العلاقات الخطية التي يؤديها الحرف (الفونيم) ضمن خطية الكلام، وهي علاقات تختلف نوعاً ما عن العلاقات الدلالية و التقطيعية التي تعود عليها في المراحل الأولى من اكتسابه للغة، وقدرته على استيعاب القواعد التي تمكنه من الانتقال والربط بين المستويات اللغوية الحروف والكلمات والجمل ولا تكمن هذه القدرة المكتسبة في القدرة على استيعاب كل ما يسمعه من كلمات و جمل و إنما قدرته على إدراك العمليات التحتية المحدثة لتلك المدخلات التي يتعامل معها وعليه فهو في صدد حكايته الأنماط والمثل التي تعد المادة الخام

¹ عبد الفتاح بن قدور، اللغة دراسة تشريحية، ص 373.

التي يتشكل منها الكلم و الكلام» فالطفل لا يكتسب هذه المهارة التركيبية بحكايته لما يسمعه من الكلم والجمل نفسها بل من حكاية العمليّات المحدثّة لها»¹، وإن دلّ هذا على شيء فما هو إلاّ دليل على قدرة الطّفّل في استنباطه للأبنيّة اللّغويّة من المسموع وجعلها أصولاً ومن ثمّ تصييرها لتكون مثلاً و أنماطاً يتفرع من خلالها الكلام .

مجمّل التوصيف السابق للعلاقات الخطيّة التي يكتسبها الطّفّل بحسب النّظرية الخليليّة «تدخل في إطار العمل الآ إرادي ليس على شكل قواعد كما يقوم بها اللّغوي فهو منشغل بعمليّات عفويّة في اكتساب اللّغة وإنشاء آليات لاشعوريّة وتبلور القدرة لديه على التمييز (غير المطرد على كل حال) بين الكلم المتمكنة وهي التي تنفصل بنفسها وتستقل بمعناها وبين الكلم غير المتمكنة وهي سائر الأدوات وأهمها حروف المعاني»²، وبذلك يكون قد استطاع أن يرسخ في ذهنه الحدود الإجرائيّة التي تحدّد بها الكلمات و الأدوات ضمن مصفوفة³، يتقاطع فيها المحور التركيبي والمحور الاستبدالي هذه المصفوفة التي يسمّيها الخليل و أتباعه بالقياس و الحد (أو الباب و المثال). التّمو اللّغوي عند الطّفّل في ظل المعطيّات الخليليّة :

إنّ توصيف التّمو اللّغوي في ظل النّظرية الخليليّة يبنّي على مفهومي الأصل والفرع فالأصل عند النحاة «سابق في الوجود لا في الزمان في نظام اللّغة المأخوذ منه الفرع في الغالب و توجد غالباً حروفه في فروعه»⁴، فلكل فرع أصل مأخوذ منه سابق عنه في الوجود، وقد أشار "عبد الرحمن حاج صالح" في كتابه منطلق العرب ما «قاله سيوبه عن أسبقية بعض العناصر على غيرها في الرتبة و يعنى بذلك بأنّها الأصل الذي تصاغ عليه أو تفرع منه كلّ الفروع بتحويل خاص»⁵،

¹ عبد الرحمن حاج صالح، بحوث و دراسات في علوم اللسان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ص218.

² عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، دط، سنة 2012 م، الجزائر، ص218.

³ مصفوفة ما يعنيه الرياضيون أنفسهم، أي جدول يتألف من كذا صفا و كذا عموداً و بهت ستفرع جميع التراكيب التي يمكن أن تصاغ عليها العناصر المدخلة على الجدول و هذا ينطبق على أصول الكلم وصيغها، أما فيما يخص اللفظة أي الكلمة المتمكنة مع ما يدخل عليها من الأدوات فمصفوفتها أي مثالها مقيدة في بنيتها من أول الأمر بما يفرضه الوضع البنوي للغة، نفس المرجع، عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 219.

⁴ عبد الرحمن حاج صالح، البنى النحوية العربية، الجمع الجزائري للغة العربية، دط، سنة 2016م، الجزائر، ص14.

⁵ عبد الرحمن حاج صالح، البنى النحوية، ص 13.

يشمل هذا التحويل كل مستويات اللغة يتحدد النشاط التجريدي عند الطفل في ظل الممارسة الذهنية للعلاقة بين الأصول والفروع، وإدراكه كيفية الانتقال من الأصل إلى الفرع ومن الفرع إلى الأصل إذ يختلف هذا الاستيعاب من طفل إلى آخر ومن حالة إلى أخرى وفق اختلاف القدرات المعرفية المسؤولة عن هذا الاستيعاب.

التصورات العلاجية لأمراض الكلام في ضوء النظرية الخليلية - التأهيل اللساني-

عالج الدكتور عبد الرحمن حاج صالح الأمراض اللغوية والكلامية في بعدها الوظيفي الفونولوجي، بوصفها اضطرابات تحصل على مستوى العمليات المحدثة للأصوات والكلمات والجمل، في المحور الاستبدالي أو المحور التركيبي، وعلى هذا الأساس تم تصنيف الاضطرابات التي تعتري الكلام بسبب خلل يصيب منطقة معينة من الدماغ والتي أطلق عليها الأطباء اسم الحبسة أو الأفازيا وهي نوعان :

- **الصعوبة والعسر والحصر:** الذي يلامس مستويات اللغة على مستوى نطق وتركيب الأصوات والكلمات والجمل، والظاهر أنّ هذا الداء خاص «بالمحور الأفقي الذي تندرج فيه وحدات اللغة على نظام معين وبالتالي فهو فقد القدرة على الترتيب والتركيب»¹، وحصول خلل في استعمال المريض للمثل والأنماط في بناء الوحدات اللغوية والتصرف فيها «فيكون كلامه إما غمغمة مبهمه لا تفهم (مستوى الحروف) وإما ثغثغة أو عفك (مستوى الكلم والألفاظ) أو عسلطة (وهو الكلام الذي لا نظام له)، وتسمى هذه العاهة في هذا المستوى بالمصابة: صابى الكلام لم يقومه ولم يُجره على وجهه»²، وبذلك يصبح الكلام غامضا بعيدا عن الفهم والإفهام.

- **الخلل:** خلل يحدث بسبب فقدان القدرة على الإدراك والتمييز بين الوحدات اللغوية في جميع مستوياتها بحيث يصبح المريض غير قادرا على تسمية الأشياء المشار إليها وإدراك معانيها فهو

¹ عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 220.

² عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 220.

بذلك «يستبدل عنصرا بآخر باستمرار ويكرر المعنى نفسه بعبارات مختلفة أكثر عناصرها محدثة أو محولة عن أصلها»¹، وعلى هذا النحو تناول "جاكسون" الحبسة التي تصيب المحور الاستبدالي أو "حبسة فيرنیکا" والتي اعتبرها مجرد مجازات مرسلة واستعارات يستعملها المريض دون أي وعي منه في استحضار كلمات مقابل كلمات أخرى كاستعماله كلمة الدخان محل الغيوم والسكين في مقابل الشوكة.

إنّ الطرح الاستمولوجي والوظيفي للحبسة الكلامية عند "عبد الرحمن حاج صالح"، آل إلى تحديد أنواع الحبسة الكلامية وتوزيعها على مستوى المحور الاستبدالي والمحور التركيبي، بالإضافة إلى التدرج الانعكاسي بين عمليتي الاكتساب والاضطراب لدى الطفل «فأول شيء يفقده المريض في الحصر الخاص بمستوى اللفظة وأبنية الكلم هو معرفته السابقة لكيفية استعمال الأدوات النحوية والعلامات اللاحقة بالكلم أو الداخلة على الجمل ولذلك يتقلص الكلام عنده بتجرده من كل حرف من حروف المعاني ومن كل إعراب فتبقى فيه الكلم المتمكنة بدون صياغة»²، وبشكل عكسي يكون إدراك الطفل لهذه العلاقات النحوية والإعرابية في آخر محطات اكتسابه للغة بعد بلوغ ملكته اللغوية قدرا من الوعي الذي يمكنه من استيعاب حروف المعاني وإدراجها في الكلام «أما الحصر الذي يصيب مستوى الكلم فإنه يعجز حتى على إخراج هذا النوع من الكلم لعجزه عن استعمال المثل التي تبنى عليها وفي أدنى المستويات يعجز عن إحكام بعض المخارج فإذا عجز عن جملتها صار يصوت ويغمغم بدون تقطيع مفصح»³، وبذلك يصبح كلام المريض مضطربا صوتيا تركيبيا وحتى دلاليًا لعدم القدرة على النطق السليم للحروف والاستعمال الغير

¹ عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 221.

² عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 222.

³ عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 222.

الواعي للمثل والعلاقات التحوّية داخل الأنساق الكلامية «فأول ما يتلاشى ويزول من الكلام بسبب الحبسة هي التراكيب الأصلية المخلوقة خلقاً (وان كانت على الوضع البنوي المطلوب) أي تلك التي تحتاج من المتكلم إلى مزيد من التأمل والصنعة وتبقى التراكيب الآلية التي تجري مجرى الأمثال أو أسماء الأفعال»¹، فكل ما يكتسبه الطفل في المراحل الأولى من تلقينه للمعلومات تكون أقل عرضة للتلاشي من التراكيب المعقدة التي تحتاج منه جهداً فكرياً وعضلياً لاكتسابها وهذه الأخير هي التي يحصل فيها الخلل عند الإصابة بالحبسة الكلامية.

الاضطرابات الصرفية والنحوية في اللغة العربية وفق النظرية الخليلية :

الإبدال:

ظاهرة صوتية وممارسة لغوية اعتدّها العرب سنة من سنن الأولين لكثرتها وشهرتها في كلامهم يقول "ابن فارس 329هـ-395هـ" «ومن سنن العرب: إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، يقولون: مدحه ومدهه وفرس رفل ورفنّ، وهو كثير ومشهور، قد ألف فيه العلماء»²، فالإبدال لغة «من بدّل الشيء بدّله وبديله الخلف منه والجمع أبدال، وتبدل الشيء وتبدل به واستبدله واستبدل به كله اتخذ منه بديلاً وأبدل الشيء من الشيء بدّله اتخذ منه بدلاً... والأصل في الإبدال: جعل الشيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاء في تالله»³، والبدل في اللغة هو العوض وفي الاصطلاح «أن يجعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل»⁴، لا يتعد المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي فكلاهما يحيل إلى معنى واحد وهو حلول صامت مكان صامت

¹ عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 223.

² سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي، إبدال الحروف في اللهجات العربية، م كتبة الغرباء الأثرية، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، ط1، سنة 1995م، المملكة العربية السعودية، ص73.

³ ابن منظور، لسان العرب، مادة بدل، ج11، ص48.

⁴ الجرجاني، التعريفات، تح ابراهيم الاياري، دار الكتاب العربي، ط1، دت، بيروت، لبنان، ص2.

آخر مع بقاء المعنى شرط أن تكون هناك صلة قرابة بين الصامتين المبدل والمبدل منه ووجب ملاحظة العلاقة القائمة بينهما في المخرج والصفة وهذا ما يُسهم في حدوث الإبدال بين الحروف، قسّمه العلماء إلى إبدال صرّفيّ وإبدال لغويّ «فالإبدال الصرّفي هو اللازم الضروري القياسي المطرد وحروفه ثمانية: الطاء والواو والياء والتاء والذال والألف والهمزة والميم»¹، كإبدال تاء افتعل دالا نحو: ادّعى أصلها ادّعى أبدلت التاء دالا، إبدال تاء افتعل طاء بعد حروف الإطباق (ص،ض،ط،ظ) نحو اضطرب أصلها اضطرب، إبدال الواو والياء بحرف التاء إذا وقعتا فاء في افتعل نحو إتّصف أصلها اوتصف أبدلت الواو تاء وأدغمت فأصبحت إتّصف.

أما الإبدال اللغوي، فهو غير ذلك، حيث يجعل منه "السيوطي 849هـ-911هـ" «قسمين شائع وغيره، فغيره الشائع وقع في كلّ حرف إلا الألف وألف فيه أئمة اللّغة كتبنا منهم يعقوب بن السكيت وأبو الطيب عبد الواحد ابن علي اللّغوي في كتابي المزهري نوع منه حافل»²، يستخدم في الإبدال اللّغوي الأصل والفرع المبدل منه والمبدل عن طريق الرجوع إلى بعض التصارييف والمشتقات أمّا في الإبدال الصرّفي يستخدم فيه الفرع فقط نحو قوم وقام والشائع والمستعمل قام.

تبدّت اختلافات كثيرة حول تحديد حروف الإبدال فقد عدّها "صبحي الصالح 1926م-1986م" في أصوات العلة «معللاً ذلك بحققتها وكثرتها في اللسان العربي ومناسبة بعضها لبعض، واتساع مخرجها لما فيها من المد واللين»³، وهي عند "الفيروز آبادي 729هـ-817هـ" أربعة عشر حرفاً جمعها في «أنجذته يوم صالَ زُطّ»⁴، تعد ظاهرة الإبدال من الظواهر الصوّتية في اللّغة

¹ سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي، إبدال الحروف في اللهجات العربية، ص 76.

² سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي، إبدال الحروف في اللهجات العربية، ص 78.

³ صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط 4، سنة 2009م، بيروت، ص 216.

⁴ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، عالم الكتب، دط، دت، بيروت، مادة (بدل)

والتي تُعنى بتغيير صوت مكان صوت آخر وهي تختلف عن الإعلال في كونه متعلق بأحرف العلة والإبدال خاص بالأحرف الصحيحة.

لا تحدث ظاهر الإبدال بقصدية المتكلم وإنما تحدث بسبب التطور الصوتي لبعض الكلمات والتغير اللهجي الذي يختلف من منطقة إلى أخرى مما يستدعي تطورها وانتشارها فتصبح أحد هذه الكلمات الأكثر توسعا أصلا والأخرى فرعا عنها، جاءت هذه الظاهرة لتحقيق قدرا من السهولة والتيسير ودفع الثقل عن الناطقين أثناء العملية الكلامية بتحقيق انسجام صوتي بين الأصوات وخفتها حتى يسهل الكلام على مستعملها « إن الأصل في الإبدال أن يكون فيما تقارب وتداني من الحروف وهذا قائم على اختلاف اللغات والغرض منه إرادة الخفة والمجانسة »¹، حتى يتسنى للمتكلم أن يتكلم بأريحية دون أن يتثقل عليه الأمر ويزيد عليه مشقة نطق أصوات متقاربة في المخرج.

القلب المكاني:

من الأمور التي شغلت بال الصرفيين العرب، ظاهرة القلب المكاني في تعاملهم مع الميزان الصرفي اثر نقلهم حرف أصلي في كلمة من مكان إلى مكان آخر فيها بخاصية التقديم أو التأخير بسبب ثقلها وصعوبة النطق بها بسبب تجاور حروف العلة والهمزة تُعنى هذه الظاهرة لغويًا بتحويل الشيء عن وجهه وورد في "لسان العرب" في جذر قلب ما يلي: « قلب الشيء قلبا: حوّله عن وجهه، وحجر مقلوب وكلام مقلوب، وقلب رداءه، قلبه لوجهه: كبه»²، أمّا في الاصطلاح فهي

¹ عادل هادي حمادي العبيدي، الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1، سنة 2005م، القاهرة، ص48. أنظر أيضا آمنة شنتوف، أثر الإبدال في تيسير اللغة العربية، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، مج 4، عدد 3، سنة 2021م، الجزائر، ص555.

² ابن منظور، لسان العرب، (قلب)، ج 9، ص 463.

« جعل حرف مكان حرف بالتقديم والتأخير»¹، وهناك أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة كما اصطاح عليه ذكرها السيوطي في «جذب وجذب، وما أطييه وما أيطبه، وربض ورضب، واضمحل وامضحل، وسحاب مكفهر ومكرهف وطامس وطاسم»²، وأضاف "أحمد كشك" مثالا آخر عن كلمة نأى بمعنى بعد والتي أصبحت ناء بتقديم لام الفعل على عينه «فأصبحت الكلمة نياء وهنا تعرضت الياء لقلبها ألفا بناء على قانون صوتي أساسه أنّ الياء إذا تحركت وانفتح ما قبلها قلبت ألفا وهنا أصبحت الكلمة (ناء) على وزن (فعل) بعد أن كان الأصل منها قبل القلب على وزن فعل»³، وتفطن أيضا سيويه إلى صعوبة النطق بحروف متجاورة خاصة حروف العلة والهمز نحو «إنما قلبوا كراهية الواو والياء، كما همزوا كراهية الواو والياء مثل ذلك (أينق) إنما هو (أونق) في الأصل فأبدلوا الياء مكان الواو وقلبوا»⁴.

وفق هذا المنحى، أكد اللغويون و الصرفيون أنّ ظاهرة القلب، تعود إلى صعوبة النطق ببعض الأصوات وهذه الصعوبة كانت سببا كافيا في تغيير مواضعها لتيسير عملية النطق، وقد عزز المستشرقون ذلك أيضا أمثال "برجشتراسر 1303هـ-1352هـ" الذي أعاد سبب القلب لصعوبة نطق المقاطع التي يتجاور فيها الهمز «نحو (أرس) و (آبار) وغيرها ويؤكد أنّ حذف الهمزة الثانية في مثل هاتين الصيغتين والتعويض منها»⁵، وقد سار المحدثون العرب ونحتو طريقهم على نحو ما قدمه المستشرقون في تعاملهم مع ظاهرة القلب المكاني امثال رمضان عبد التواب 1348هـ-1422هـ و إبراهيم أنيس 1324هـ-1397هـ وغيرهم وهم يؤكدون على أنّ اللغة

¹ سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي، إبدال الحروف في اللهجات العربية، ص74.

² سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي، إبدال الحروف في اللهجات العربية، ص 74.

³ أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرني ونحوي ودلاي، دار غريب، ط1، سنة 2007م، القاهرة، مصر، ص41.

⁴ سيويه، الكتاب، ص129.

⁵ رمضان عبد التواب، التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، مكتبة الخانجي، ط2، سنة 1994م، القاهرة، ص 41-42.

العربية تسعى دائما إلى تلمس السهولة واليسر في نطق الأصوات وعدم تنافرها وبعد هذا التنافر سببا وجيها في حدوث ظاهر القلب المكاني وتبدل مواقع الأصوات تقديمًا وتأخيرا ومخالفة «إذ تلجأ اللغة العربية إلى المخالفة بين الهمزتين عن طريق إسقاط الهمزة الثانية والتعويض من الخلل الحاصل في البنية اثر هذا الإسقاط بمد الحركة»¹، لبعض الحروف كتلاقي همزتين إذ تسقط الثانية وتعوض بمد الحركة نحو أبار / أأبار / أأبار / آبار.

الحذف:

ظاهرة لغوية، يشترك فيها مختلف اللغات الإنسانية، وما نجد أكثر منها في اللغة العربية التي بطبيعتها تميل إلى الإيجاز والتيسير، كما أنه في الحقيقة نمط من الأنماط التي انتحاهها العرب قديما تتماشى مع طبيعة اللغة العربية في اختفاء وغياب بعض العناصر اللغوية لعلة نحوية أو بلاغية تتجلى في سقوط واختفاء بعض العناصر، تناول القدماء هذه الظاهرة بشكل مستفيض في كتبهم اللغوية والنحوية اصطلاحوا عليها ظاهرة الحذف والإضمار، وقد تبين أنّ هناك الكثير من الخلافات حول المصطلحات الواصفة لهذه الظاهرة وعلى هذا الأساس قام " الزركشي 745هـ-794هـ " بتحديد الفرق بين مصطلح الحذف والإضمار في قوله: «الفرق بينه وبين الإضمار أنّ شرط المضمّر بقاء أثر المقدر في اللفظ وهذا لا يشترط في الحذف»²، وبهذا يكون شرط المضمّر بقاء أثره في حين لا يشترط ذلك في الحذف، ويؤكد الرازي على ذلك نحو «أنّ الإضمار هو ما يبقى

¹ رمضان عبد التواب، التطور النحوي للغة العربية، ص39، انظر أيضا عبد القادر المرعي، المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، عالم الكتب الحديث، دط، سنة 2016م، الأردن، ص5.

² بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت محمد أبو الفضل ابراهيم، دار التراث، ج3، دط، سنة 2006م، ص115.

أثره بعد الترك والحذف مالا يبقى»¹، ومن جانب آخر استعمله النحاة بمعنى واحد ولا توجد تفرقة دقيقة تراعى في استعمالها باستثناء إضمار الفاعل الذي يسمونه حذفاً .

عُرف الحذف في اللغة على أنه إسقاط وقطع وورد في لسان العرب «أن حذف الشيء يحذفه حذفاً قطعاً من طرفه والحجّام يحذف الشعر من ذلك والحذف الرّمي عن جانب والضرب»²، أمّا في الاصطلاح فقد أشار إليه "سيبويه" في كتابه في باب ما يكون في اللفظ من الأعراض³، إلى أنّ الحذف يعدّ عارضاً في الكلام وأنّ الأصل أن يرد الكلام بغير حذف ونبّه أنّ الحذف يقع في اللغة على مستوى الصّيغ والتراكيب وأنّ المحذوف يستدل عليه نحو قوله: «اعلم أنّهم مما يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوضون فما حذف وأصله في الكلام غير ذلك: لم يك، ولا أدر وأشبه ذلك»⁴، تعلقّت ظاهرة الحذف عند النحاة بظاهرة الأصل والفرع ويكون ذلك بتغيير يحصل على مستوى الأصول.

التقديم والتأخير:

تعدّ ظاهرة التقديم والتأخير، خاصيّة من الخواص التي تصيب التركيب العربي يحدث أثر تغيير يقع على مستوى الجملة فيتقدم ما وجب عليه أن يتأخر ويتأخر ما كان متقدماً لضرورة نحويّة وبلاغيّة وقد حاول النحويّون والبلاغيّون أثر ذلك تفسير هذه الظاهرة نسبة إلى المعنى حتى يكون الكلام مستقيماً دون أن يمسه خلل يعود إلى هذا التقديم والتأخير، يُعدّ "سيبويه" أول من أشار إلى هذه الظاهرة في النحو العربي ضمن "الكتاب" في أبواب متفرقة تبذرت اهتماماته في طرحه

¹ فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ت نصر الدحاجي مفتي اوغلي، دار صادر، ط1، سنة 2004م، بيروت، لبنان، ص227.

² ابن منظور، لسان العرب، ج 9، ص40.

³ سيبويه، الكتاب، ج1، ص360.

⁴ سيبويه، الكتاب، ج1، ص24.

لقضية التقديم والتأخير وتركيزه على إجلاء أهمية الجانب المعنوي للتركيب الاسنادي في النحو العربي (المسند والمسند إليه) وتدارك مختلف أحواله حيث يشير هذا الأخير في باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول ويقول «فان قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول وذلك نحو ضرب زيد عبد الله لأنك أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا في اللفظ فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما وهو عربي جيد كثير كأهمّ إثمّا يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أغنى وإن كان جميعا يهمنهم ويعيناهم»¹، تمثلت الغاية التي أَرادها سيبويه من خلال الطرح الذي أجاز به التقديم والتأخير في الجملة العربية التي تحدث تغييرا طبيعيا في الترتيب المعتاد عليه لأن الإبانة والإفادة في رأيه تحصل ضمن تغيير المواقع الأصلية للوحدات اللغوية من موقع إلى آخر مع مراعاة عدم وقوع أخطاء لغوية وضرورة مطابقة الكلام لما يقتضيه الحال.

الاضطرابات التواصلية / أمراض الحبسة:

مثل اضطراب التواصل كل اضطراب يخرق العملية التواصلية ويعيقها، إذ يحدث هذا الاضطراب على مستوى المناطق المسؤولة عن اللغة في المخ، فالدمغ البشري له علاقة وطيدة باللغة كما وضّحنا ذلك سابقا ومما لاشك فيه أنّ أي خلل يعترض هذه المناطق الدماغية يتسبب في اضطراب يعكس على الأداء التواصلية للغة سواء كانت اللغة مكتوبة أو منطوقة، ومن أشهر المناطق التي أثبتتها العلوم التشريحية منطقتي بروكا وفرنيك وأي إصابة ينتج عنها اضطراب في اللغة حركيا أو إدراكيا، فقد عد بول بروكا أنّ الحبسة الحركية ما هي إلا خلل يحدث اثر المنطقة الأمامية من نصف المخ الأيسر وبالتحديد منطقة التلفيف الثالث من الفص الجبهي إذ يُصبح المريض يعاني من فقدان القدرة على تحريك أعضاء النطق وإصدار الكلام والحبسة الحسية تقع على مستوى

¹ سيبويه، الكتاب، مج1، ص34.

المنطقة الخليلية من التلفيف الصدغي تؤدي إلى فقدان القدرة على فهم الكلام، وعليه سنحاول في هذا العنصر أن نقدم مفاهيم تفصيلية عن الحبسة وأنوعها تشريحيًا وما ينتج عنها لسانيًا ونعرج بعد ذلك إلى إلقاء الضوء نحو وقع مقارنة المفاهيم التراثية ومساءلة مصطلحي الأصل والفرع /الموضع والموقع.

الحبسة لغة:

ورد في معجم لسان العرب لابن منظور في تعريفه للحبسة في قوله: «والحبسة والاحتباس في الكلام التوقف وتحبس في الكلام توقف وقد جاء بمعنى الصمت في قوله والحبسة بالضم الاسم من الاحتباس، يقال الصمت حبسة كما جاء في المعجم نفسه قول المبرد في باب اللسان الحبسة تعذر الكلام عند إرادته والعقلة التواء اللسان عند الكلام ما يعني وجود وعي تثبته إرادة المتكلم، بمجرد ظهور الرغبة في الكلام كما تشير إلى وجود عائق ما يعيق هذه الإرادة في إنتاج الكلام مما يحول دون تحقيق تلك الرغبة أو الإرادة»¹، فينتج عدم القدرة على الكلام لوجود عوائق تعيق الرغبة في الكلام.

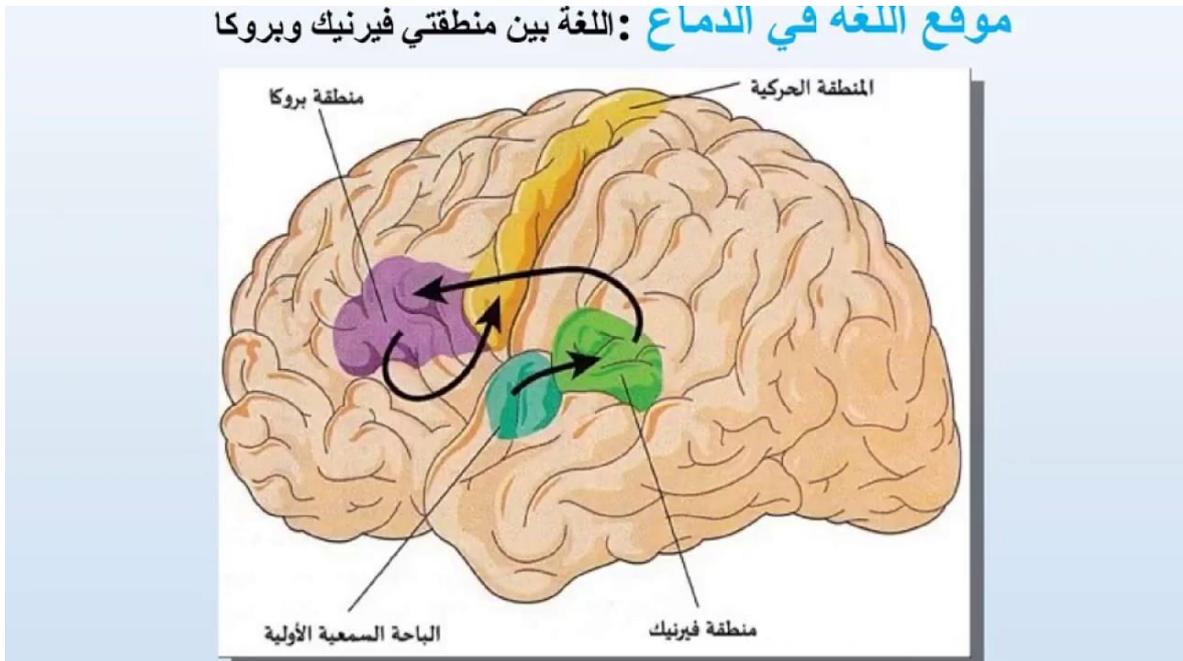
الحبسة اصطلاحًا:

مرض لغويّ يصيب «منطقة من مناطق الجهاز العصبي أو الأعضاء العصبية المسؤولة عن إحداث اللغة على مستوى نظام المحاور المتعلقة بملكة الاختيار القائمة على التشابه وملكة تركيب وبناء السلاسل الكلامية القائمة على التجاور، كما يتضمن مجموعة العيوب التي تتصل بفقد القدرة على التعبير بالكلام أو الكتابة، أو عدم القدرة على فهم معنى الكلمات المنطوق بها أو إيجاد الأسماء لبعض الأشياء والمرئيات، أو مراعاة القواعد النحوية التي تستعمل في الحديث أو

¹ سميرة نورين، اضطرابات اللغة الناتجة عن الإصابات الدماغية الحبسة أنموذجًا، مجلة دراسات لسانية، العدد الخامس، جامعة الجزائر، ص 35.

الكتابة»¹. وبذلك يفقد المصاب القدرة الوظيفية التي تؤديها الأجزاء المسؤولة عن إحداث العملية الكلامية والإدراكية.

تفطن المختصون في علم الأعصاب وكذا علم النفس واللغة لهذا المرض من خلال التعرف على المناطق الدماغية المسؤولة عن إحداث اللغة وتأثير إصابتها على الفهم والكلام «وقد توصل بول بروكا سنة 1865م إلى أنّ فقدان الكلام راجع إلى تخريب المنطقة الخلفية للتلفيف الجبهي الثالث الأيمن في نصف الكرة المخية اليسرى للدماغ لدى الشخص في نفس الوقت الذي أشار فيه فرنيك إلى الارتباط النسبي بين إصابة التلفيف الصدعي الأول في نصف الكرة المخية اليسرى للفرد الأيمن، وعلاقته بأحد الأنواع العيادية للحبسة التي ينتج عنها اضطراب في الفهم اللغوي»²، وعلى هذا النحو تم تشخيص أنواع مختلفة من الأفازيا تختلف باختلاف الأسباب والأعضاء المصابة بالإضافة إلى التوجهات العلمية التي ساندت البحث العلمي واعتنقت مختلف الاتجاهات للبحث في الأفازيا.



¹ مصطفى فهمي، أمراض الكلام، ص 63.

² محمد حولة، حبسة الطفل المكتسبة، دار الكتب العلمية، ط1، سنة 2007م، بيروت لبنان، ص 16.

لم يختلف تصنيف "حاج صالح" للحبسة عن التصنيفات التي عرضت إليها الدراسات التشريحية والإكلينيكية التي قام بها كل من "بول بروكا وكارل فيرنيك" وغيرهم إلى:

1. أفازيا حركية

2. أفازيا حسية

3. أفازيا نسيانية

4. أفازيا إيصالية

5. أفازيا كلية

الأفازيا الحركية:

خلل يصيب الأجزاء المخية المتحركة في إعطاء الأوامر للأعضاء المنتجة للكلام، لأن العملية الكلامية بغض النظر عن سلامة الجهاز النطقي فهي بحاجة إلى دافع عصبي يحمل على عاتقه الأوامر التي تؤدي إلى تحريك الجهاز النطقي تبعاً لكل مخرج من مخارج الحروف، فعلى هذا الأساس يحدث الكلام وأي خلل يصيب الجهاز المسؤول عن تحريك هذه المناطق فبالضرورة يكون الخلل واضحاً على مستوى الكلام.

الأفازيا الحسية :

توصل فيرنك إلى بعض التصورات التي ساعدته على افتراض وجود مركز سمعي كلامي يقع في الفص الصدغي من الدماغ والإصابة على مستوى هذه المنطقة تؤدي إلى تلف الخلايا العصبية ومسببة صمم كلامي مع العلم أنّ الحاسة السمعية سليمة .

وتشمل الأفازيا الحسية أنواعاً أخرى:

أ/العمى اللفظي **ALEXIA**:

يستطيع المصاب قراءة الكلمات المكتوبة أو المطبوعة إلا أنّ قراءته لها تكون غير مضبوطة، بمعنى أنّه يفهم ما يقرأ لكنه عندما يتلفظ بمضمون ما يقرأ نجده يبدل الحروف إما بالإبدال أو القلب أو العكس، و معنى ذلك أن الخلل متصل بالمراكز البصريّة للكلمات دون المراكز السمعيّة.

ب/ أفازيا مضادات الألفاظ أو ترديدها **ECHOLALIA**:

إذا وجهنا لمصاب بهذه العلة هذا السؤال ما اسمك فإنّ إجابته لا تتعدى تكرار الكلمات التي يتضمنها السؤال ويلفظ بها المتكلم فيقول ما اسمك..... ما اسمك دون ذكر اسمه.

ج/ وهناك نوع آخر معروف باسم **PARAGRAMMATISM**:

يأخذ هذا النوع أحد الشكلين، أخطاء تتصل بقواعد اللّغة أو تتصل بأسلوبها من حيث وضع الألفاظ في أماكنها الصحيحة فالمصاب هنا لا يراعي القواعد النحويّة أو قواعد الأسلوب التي تستعمل بالكتابة أو بالحديث¹.

أفازيا نسيانيّة:

يظهر على المصاب النسيان وعدم القدرة على تسمية الأشياء والمرئيات التي تقع في مجال إدراكه، ففي الحالات غير العادية يميل المصاب إلى حالة الصّمت عند سؤاله عن شيء ما ويتعذر عليه تسمية الأشياء المألوفة وغير المألوفة وفي الحالات العاديّة يستطيع إيجاد مسميّات الأشياء المألوفة لديه بينما يعجز عن ذكر الأشياء غير المألوفة مما يدفع بالمريض إلى الإحباط «لعدم قدرته على الكلام بشكل طبيعي وسلس وعندما لا يستطيع لفظ الكلمة فقد يلجأ إلى استعمال لفظه مشابهاً لها مثل كلمة (لاح) بدل (راح) أو أن يستعمل كلمة مشابهاً في المعنى مثل (ورقة) بدل (قلم)»².

¹ مصطفى فهمي، أمراض الكلام، ص 69.

² صادق يوسف الدباس، الاضطرابات اللغوية وعلاجها، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد 29، سنة 2013م، فلسطين، ص 305.

الأفازيا الايصالية Conduction Aphasia :

الحبسة الايصالية هي إحدى «الحبسات الطليقة ولقد تنبأ فيرنيك بوجوها أطلق عليها "غولدشتين 1948 Goldestein م" اسم الحبسة المركزية أما لوريا 1966 Luria م فسمها الحبسة الحركية الواردة: Afferent Motor Aphasia وهذه الأسماء بدورها أطلقت على المتلازمة ذات التكرار الشديد الاضطراب بخلاف الحبسات عبر القشرية، وتبلغ نسبة الإصابة بها من 5 إلى 10 % من نسبة المصابين بالحبسة»¹.

الأفازيا الكلية:

تشكل هذه الأفازيا من الحالات النادرة، تجتمع فيها كل الحالات التي تم ذكرها سابقا ويظهر على المريض اضطرابات على مستوى الحركة النطقية وعلى مستوى الإدراك السمعي وحتى نسيان الأشياء وعدم القدرة على إدراكها وتسميتها واسترجاعها عند الحاجة إليها.

خصائص الخطاب اللغوي لدى مرضى الحبسة الكلامية:

كنا قد أشرنا في العناصر السابقة عن الاضطرابات التي قد تتخلل الخطاب اللغوي لدى المصاب بالحبسة الكلامية مما يجعله يعاني فقدان القدرة على التحكم في اللغة من الناحية النطقية أو من الناحية الإدراكية والدلالية، ومن خلال التشخيصات الطبية لهذه الحالات المرضية سجل الأخصائيون جملة من الأخطاء التي تلامس الجوانب اللغوية صوتية كانت أو معجمية دلالية.

أ/اضطرابات صوتية Phonological Disorder :

● الاستبدال: عرّف فيرملين Vermeulen الاستبدال بقوله: أنّ يحل فونيم ما محل الفونيم الهدف وعرفه "البعليكي 1918م-1999م" فقال: هو إحلال عنصر لغوي محل عنصر

¹ منى حسين جميل محمد، الخطاب اللغوي لدى مرضى الحبسات الكلامية، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، سنة 2008م، ص 121.

لغوي آخر إظهارا لأن لكل منهما دور وظيفي في التركيب فالمقصود أن المصاب يستبدل ويظهر أصواتا ليست في محلها مما يجعل الكلام غير مستقيم كقوله بفتح عوض مفتاح - التزام /انتزام .

● الإقحام والإضافة : هو خطأ قوامه زيادة عنصر لغوي على التركيب، وهو أيضا إقحام

فونيم جديد إلى الكلمة وإضافة عنصر لا ينتمي إلى تشكيل الكلمة متألم /منتألم - مزارع/ مازارع .

● الحذف أو الاسقاط: هو حذف عنصر لغوي من التركيب قال بيرج في تعريفه للحذف

وهو عدم القدرة على إنتاج وحدة لغوية كان يجب إنتاجها مثل طاوله /طالة - حمامة /مامة.

● القلب المكاني: تغيير موضع الوحدة اللغوية في التعاقب وإحلاله موضعا آخر سواء في

ذلك الصوت والمقطع والكلمة..... الخ نحو: ربة /ربكة، فح/خف، بطريق/برطيق.

● التشويه أو التحريف: تشويه الحرف هو نطق الصوت بطريقة خاطئة مما يفقده خصائصه

المميزة، وقد يكون الصوت المنطوق قريب من الصوت الحقيقي أو بعيدا كل البعد عنه نحو نخلة /

سخلة نطق صوت النون مع طاقة نفسية كبيرة فبدا صوت الهاء واضحا بعده ثم أضيفت

سين ساكنة ونطقت مع الخاء فبدا وكأتهما صوت واحد مركب¹، مما يجعل الكلمة تبتعد كل البعد

عن معناها الحقيقي.

حبسة بروكا في النظرية الخليلية - الأصل والفرع:-

إنّ النظر إلى الحبسة الحركية أو حبسة بروكا من منظور لسانيّ يستدعي النظر إلى المستويات

اللغوية التي يحدث فيها الاضطراب وما ينتج عنها من اضطرابات يعكسها المريض لغويًا اثر العملية

التواصلية، فما يلاحظه اللساني على مريض حبسة بروكا «غياب الأجزاء النحوية الوظيفية الصغيرة

كحروف الجر وأداة المعرفة والتصريف الخاطئ للأفعال»²، أي فقدان القدرة على التحكم في تقنية

¹ منى حسين جميل محمد، الخطاب اللغوي لدى مرضى الحبسات الكلامية، ص 138.

² عبد الفتاح بن قدور، اللغة دراسة تشريحية - اكلينيكية، ص 378.

الانتقال من الأصل إلى الفرع أو خلل يصيب عملية التفرع وهذا ما آل إليه علماءنا قديما وحاولوا أن يقدموا له تفسيراً لغوياً أو لسانياً بطريقة أو بأخرى حتى مع غياب الآلة أنّ هناك اضطرابات تقع في منطقة معيّنة متعلقة باللّغة في الدماغ ينتج عنها ضعف القدرة على الانتقال من الأصل إلى الفرع أو العكس، وهذا ما يتوافق مع حسي بروكا فهو «يحتفظ أحيانا بالأصل ويفقد القدرة على القيام بعملية التفرع مثل الإتيان بالصفة والحال وأدوات الربط، و التي تكون لديه مفقودة»¹، ومن هنا يتبين لنا أنّ الفقد جزئي وليس كلي فالمصاب في هذه الحالة لا يفقد ملكته اللّغوية في حين يفقد تقنيّة الأداء والممارسة اللّغوية ومع العناية والتأهيل المستمر لدى الحالة من قبل اللّسانيّ يمكن أن تعود الحالة إلى طبيعتها الأولى.

حبسة فيرنيك في النظرية الخليلية -الموضع والموقع:-

تتجلى حبسة فيرنيك من منظور الموضع والموقع في كونها اضطراباً يكون على مستوى موضع الكلام كأن يضع المريض كلامه على غير هيئته الصحيحة فالموضع كما سبقنا الحديث عنه فما هو إلا عنصر تجرديّ وقاعدة من القواعد الأساسية في النحو وكل كلمة لها موضوعها الخاص بها، وفي هذه الحالة يصبح المريض لديه عدة مواقع منطوقة معدومة المواضيع أي أنّها لا تتماشى مع القاعدة النحوية ويختل ميزان المعنى وهذا بالتحديد ما أشار إليه سيبويه في كلامه عن الحديث عن اللفظ السليم وغير السليم والمعنى السليم وغير سليم فالشخص السليم يكون واعياً في تمييزه بين اللفظ وما يعود له من مدلول في الاستعمال الفعلي داخل الخطاب وهذا ما يكون مغيباً عند حسي فيرنيك فهو يتكلم كثيراً دون أن يضع كلامه موضعه الصحيح من المعنى ويكون كلامه مجرد رطانة

¹ Nasri Ouahiba ,la variation incrémentielle :crière d'analyse de la cohésion chez l'aphasique analyse sémiologico-Grammaticale(la revue al-lisanyyat,centre de recherche scientifique et technique pour le développement de la langue arabe ,alger :Numéro 10,2005,p.25-42)

لفظية لا علاقة لها باللّغة وبمعنى آخر فقدان المريض تقنيّة التّحكم في الانتقال من البنية العميقة إلى البنية البسيطة أو في تحقيق التكافؤ بين ما هو كائن وما يجب أن يكون .

وفي ضوء الاجتهادات التشريحية، وما قدمه الطبيب "فيرنيك" حول المناطق المتضررة عند الإصابة بالحبسة الحسية وما ينتج عنها على مستوى اللّغة، حاول أيضا القدماء سابقا أن يشرحوا إليه ويثبتوا أنّ الكلام السّوي يحتل موقعا وموقعا خاصا في اللّغة وإذا ما خرج عن مدلوله فلا معنى له وأكدوا على ضرورة التمييز بين مدلول اللفظ في الوضع والاستعمال فالألفاظ تتغير من سياق إلى آخر وإذا ما وضعناها في غير موضعها فإنّها ألفاظ خارجة عن اللّغة.

خاتمة

خاتمة:

حقيق بنا أن نقر بأن ما تطرقت له الدراسة المقدمة، لم تكن غايتها الوقوف على نتائج قارة ونهائية لمناويل المعالجة الآلية لأمراض الكلام وفق منظور الكلية اللسانية، وإنما كان الغرض منها مطاولة ما صدع في النظرية الخليلية من ملامح تأسيسية تروم تكشف جملة الأدوات الإجرائية لمعالجة اضطراب الكلم، للمنطوق وفق خاصية الحرف العربي نطقاً و سماعاً و تمثلاً في التركيب. من ثمة، الوقوف على جملة التأثيرات التي يحدثها هذا التغير على الوظيفة التواصلية للملفوظ العربي. و عليه، فقد انتهى المنجز البحثي إلى جملة من النتائج نردها على النحو الآتي:

- اللغة كيان اجتماعي وعرفي، تستحضر وجودها ضمن جملة الوظائف الأدائية و الاستعمالية، عبر فعل التلفظ، كما تشكل كيانها عبر طرائق التواصل التي ترهن إلى النظام اللساني عبر مستوياته الأربع.
- لأن كانت اللغة تشكل من العلامات والرموز، فإنّ الكلام تجسيد لها بوصفه واقع وحدث كلامي و جب علينا العناية به من حيث هو استعمال وتوظيف للنظام اللساني، وعملية ذهنية عضوية تتحقق وفق علائق منطقية عقلية و فيزيولوجية لا يمكن الفصل بينها.
- اللغة تشكل فطري مكتسب، وفي الوقت ذاته، يولد الإنسان مزوداً بيولوجياً بآليات فطرية غريزية تسمح له باكتساب اللغة في حدود المحاكاة والممارسة الفردية في ظل المعطيات العقلية والتجربة الاجتماعية والثقافية والعرفية.
- ترهن عملية النمو اللغوي وفق النظرية الخليلية الحديثة إلى ظاهري المحاكاة والبناء الذهني النشط.
- تتطور لغة الفرد بتطور نموه الذهني والجسدي، وارتقاء قدرته على التحكم في المدخلات وإعادة استعادتها واستعمالها وقت الحاجة .

- اهتمام التراث العربي بالأمراض اللغوية قديماً تحقق بفضل فطنتهم ووعيهم العلمي حتى في ظل غياب الإمكانيّة التكنولوجيّة والمخبريّة الداعمة.
- ما أفضت إليه الدّراسة اللّغويّة العربيّة القديمة، من رؤى وتصورات، حول مسألة النّطق وعيوبه، تتميز بالعلميّة والموضوعيّة والدّقة، فبالرغم من انعدام الوسائل والعدة، واعتماد جمهور اللّغويين على دقة الوصف والملاحظة، فإنّ ما قدمه الخليل بن أحمد والجاحظ من بعده يُعدّ مادة تأسيسيّة دون أدنى شك. وتستدعي الاهتمام المتمحّص وتبسيط الضوء عليها.
- يتحدّد الفرق بين الاضطرابات اللّغوية والنطقية في اختلاف الأسباب والمسببات وطرق العلاج، ويتم إثبات الفصل بينهما عبر ، عمليتي التشخيص والعلاج .
- اضطراب الصّوت خلل يحصل على مستوى الأداء الصّوتي يجعل الصّوت يخرج عن طبيعته إلى طبيعة أخرى بسبب تغيّرات تلامس طبقة الصّوت وشدّته وعلّوه يعود هذا الخلل إلى مشكلات عضويّة نفسيّة وسلوكيّة.
- اضطراب الطلاقة خلل يحدث على مستوى سلامة الأداء الكلامي وفصاحته، حيث يتخلل الكلام جملة من العيوب أهمها: التكرار والإطالة والوقفات الفجائية بسبب عوامل فيزيولوجيّة نفسيّة اجتماعيّة.
- اضطرابات النّطق اضطراب يلحق بعملية النّطق وتشكيل الأصوات والكلمات يجعل الكلام غير واضح لإبدال الحروف وتشويهها وحذف بعضها.
- الحبسة الكلاميّة خلل يحدث على مستوى المناطق المسؤولة عن حدوث اللّغة حددها علماء الأعصاب في اضطرابات تمس الجانب الحركي (منطقة بروكا) واضطرابات تمس الجانب اللفهامي (منطقة فيرنیکا).
- يتّسم الأداء اللّغوي لدى مرضى الحبسة الكلاميّة باضطرابات صّوتيّة تُجلبها ظواهر فونولوجيّة وظيفيّة في نحو الإبدال، الحذف والإطالة والقلب المكاني والتشويه، والتقديم والتأخير.

- توجّب علينا أن نسلط الضوء على العلاقة الوطيدة بين الأمراض الكلامية والبحوث اللغوية، ولا نجد أكثر من ذلك فيما تناولته الدراسات اللسانية البنوية والوظيفية.
- نضج البحوث المتعلقة بأمراض الكلام في كنف الدراسات اللسانية مع أعمال جاكبسون في طور التأسيس للنظرية التواصلية .
- ينبري عمل اللساني في المراحل العلاجية للاضطرابات اللغوية إلى تدارك الاضطرابات الحاصلة على مستوى مراحل التلقين و الاكتساب والأداء.
- يتركز الاشتغال اللساني في عملية معالجة الكلام، على استيعاب جملة المعوقات التي يمكن أن تكون سببا مباشرا في إعاقه الأداء الكلامي و خرق عمليتي الفهم والافهام.
- اللساني كفيل بمعالجة الاضطرابات اللغوية، من خلال تسليط الضوء عل طبيعة التشكلات الوظيفية والفونولوجية للبناء اللغوي، ومدى حضوره التواصلي.
- تنهض النظرية الخليلية الحديثة على إحداث المقاربة الإجرائية و المنهجية بين المبحث اللغوي التراثي عند الخليل وسيبويه والجاحظ وابن جني، وبين ما أفضى إليه الرافد اللساني الغربي الحديث.
- تأسست المبادئ الخليلية على نمطية منطقية، جمعت بين وحدات تجريدية وصورية تعمل على ضبط نظامية العناصر اللغوية و تحديد مواضعها وتحديدها داخل الأنساق الكلامية.
- النظرية الخليلية أبرزت مواطن التأسيس لمباحث اضطرابات الكلام في الدرس التراثي العربي، انطلاقا من المقاربات التي شملت مقولات الخليل ابن أحمد وسيبويه في نحو الأصل والفرع، التفرع والتحويل، المقام، الموضع والموقع.

قائمة المصادر

والمراجع

مكتبة البحث

القرآن الكريم

❖ المصادر والمراجع العربية

1. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، دط، دت، مصر .
2. إبراهيم أنيس، عبد الحلیم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، سنة 2004م، القاهرة مصر.
3. إبراهيم عبد الله فرج الزريقات، اضطرابات الكلام واللغة التشخيص والعلاج، دار الفكر ناشرون، ط1، سنة 2005م، عمان الأردن.
4. ابن دريد الأزدي أبو بكر محمد بن الحسن ، جمهرة اللغة، دارالكتب العلمية، دط، دت، بيروت لبنان .
5. ابن سيدة أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي، المخصص، دار الكتب العلمية، ج2، باب الفصاحة، بيروت لبنان .
6. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ج1، ج4، ط3، سنة 1998م ، لبنان.
7. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، ج13، ط2، سنة 2004م، لبنان.
8. أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، مقاييس اللغة ،تح عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، سنة 1979م.
9. أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، دار غريب، ط1، سنة 2007م، القاهرة، مصر.
10. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، ط3، سنة 2008م، دمشق سوريا.
11. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، ط6، سنة 1988م، القاهرة .

12. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، سنة 2005م، بن عكنون الجزائر.
13. أحمد نايل الغرير، النمو اللغوي واضطرابات النطق والكلام، عالم الكتب الحديث، ط 1، سنة 2009م، عمان، الأردن.
14. أسامة فاروق مصطفى سالم، اضطرابات التواصل بين النظرية والتطبيق، دار المسيرة، ط 1، سنة 2014م، عمان الأردن .
15. إياد عبد المجيد، المهارات الأساسية في اللغة العربية، مركز الكتاب الأكاديمي، ط 1، سنة 2015م، عمان الأردن.
16. إيمان فؤاد كاشف، مشكلات الكلام واللجاجة، دار الكتاب الحديث، ط 1، سنة 2010م، القاهرة مصر.
17. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، دار التراث، ج 3، دط، سنة 2006م.
18. بن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتب، ط 3، ج 2، سنة 1983م.
19. بن جني أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تح حسن هندراوي، دط، دت.
20. تمام حسان، الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو-فقه اللغة-البلاغة، عالم الكتب، دط، سنة 2000م، القاهرة مصر .
21. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، سنة 2009م، مصر.
22. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان و التبيين، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ج 1، ط 7، سنة 1998م، القاهرة.
23. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان، تح عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى الباي، ج 4، ط 2، سنة 1966م، مصر.
24. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مؤسسة هندراوي، دط، سنة 1994م، القاهرة مصر

25. جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان .
26. جمال شمس الدين، علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياها، مؤسسة الثقافة الجامعية، ج 2، دط، دت، الإسكندرية مصر.
27. الجوهري أبو نصر إسماعيل حماد ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحضارة العربية، مج 2، بيروت .
28. حاتم صالح الضامن، علم اللغة، مطبعة التعليم العالي بالموصل ، دط، 1989م، جامعة بغداد.
29. حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، دار المناهل للطباعة، ط1، سنة 1994م، مصر .
30. حلمي خليل، التفكير الصوتي عند الخليل، دار المعرفة الجامعية، ط1، سنة 1988م، الإسكندرية مصر.
31. حمدي علي الفرماوي، نيروسيكولوجيا معالجة اللغة واضطرابات التخاطب، مكتبة الأنجلو، ط1، سنة 2006م، القاهرة مصر .
32. حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ديوان المطبوعات الجزائرية، ط5، سنة 2003م، الجزائر.
33. خديجة الحديشي، أبنية الصرف في كتاب سيوييه، مكتبة النهضة، ط1، سنة 1965م، بغداد.
34. خليل احمد عمارة، المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، دار وائل، ط1، سنة 2004م، عمان الأردن.
35. خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق، عالم المعرفة، ط1، سنة 1984م، جدة .
36. الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن ، العين، تح مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي.
37. رمضان عبد التواب، التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، مكتبة الخانجي، ط2، سنة 1994م، القاهرة.

38. سامي عبد القوي، علم النفس العصبي الأسس وطرق التقييم، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، دت، مصر .
39. السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث ، ط1، سنة 2008م، القاهرة مصر .
40. سلامة العبد لله، الاضطرابات الصوتية المفهوم، الأسباب، العلاج، دار أمجد، ط1، سنة 2015م، عمان الأردن.
41. سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي، إبدال الحروف في اللهجات العربية، مكتبة الغرباء الأثرية، ط2، سنة 1995م، م العربية السعودية.
42. سمير شريف استستية، الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية دار وائل، ط1، سنة 2002م، عمان الأردن.
43. سمير شريف استتية، اللسانيات المجال الوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، ط2، سنة 2008م، عمان الأردن.
44. سهير محمود أمين، اللججة أسبابها وعلاجها، دار الفكر العربي ، ط1، سنة 2000م، القاهرة.
45. سيويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب، مكتبة الخانجي، ج4، ط3، سنة 1988م، القاهرة.
46. السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، مكتبة أنجلو المصرية ، دط، سنة 2005م، القاهرة .
47. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث، ط1، سنة 2004م، بيروت لبنان .
48. صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند عبد القاهر الجرجاني ، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، سنة 1994م، بن عكنون الجزائر .
49. صالح بلعيد، مقاربات منهجية، دار هومة، دط، سنة 2004م، الجزائر.
50. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط4، سنة 2009م، بيروت.

51. الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون، دار العربية للعلوم ناشرون، ط1، سنة 2007 م، لبنان .
52. عادل هادي حمادي العبيدي، الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، سنة 2005م، القاهرة.
53. عبد الجليل مرتاض، في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط2، سنة 2007م، الجزائر .
54. عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة: مفاهيمها الأساسية، موفم للنشر، كراسات المركز، الجزائر.
55. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، دراسة أحمد الزعبي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، دط، دت، بيروت، لبنان .
56. عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، دط، سنة 2012 م، الجزائر.
57. عبد الرحمن حاج صالح، البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، سنة 2016.
58. عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، موفم للنشر، سنة 2012 م، الجزائر .
59. عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، ج2، سنة 2012م، الجزائر.
60. عبد الرحمن حاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، دط، سنة 2012م، الجزائر.
61. عبد الرزاق حسين، مهارات الاتصال اللغوي، دار النشر العبيكان، ط1، سنة 2010م، الرياض .
62. عبد الفتاح أبو معال، الاستعداد اللغوي عند الطفل، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2000م، عمان الأردن.

63. عبد الفتاح بن قدور، اللغة دراسة تشريحية - اكلينيكية، دار أبي رقرق ، ط1، سنة 2012م، الرباط المغرب.
64. عبد الفتاح صابر عبد المجيد، اضطرابات التواصل عيوب النطق و أمراض الكلام، جامعة عين شمس، دط، سنة 1996م، مصر.
65. عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل رومان جاكسون نموذجاً، دار الحوار، ط1، سنة 2003م، سورية .
66. عبد القادر المرعي، المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، عالم الكتب الحديث، دط، سنة 2016م.
67. عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، سلسلة الدراسات اللغوية، دط، سنة 1998م.
68. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمد التنجي، دار الكتاب العربي، ط2، سنة 1997م، بيروت .
69. عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة، ط2، سنة 2010م، الجزائر .
70. عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية، دط، سنة 1979م،
71. عزيز سمارة عصام النمر، هشام الحسن، سيكولوجيا الطفولة، دار الفكر، ط3، سنة 1999م، عمان الأردن.
72. عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا، دار الفكر اللبناني، ط1، سنة 1992م، لبنان.
73. علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، الفجالة ، دط، سنة 2003م، نھضة مصر ، القاهرة.
74. علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تح ابراهيم الاياري، دار الكتاب العربي، ط1، دت، بيروت، لبنان .

75. عوض محمد القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث هجري، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، سنة 1983م، الجزائر .
76. فاضل مصطفى الساقى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، دط، سنة 1977م، القاهرة .
77. فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط1، سنة 1993م، بيروت لبنان.
78. فتح الله سليمان، دراسة في علم اللغة، دار الآفاق العربية، ط1، سنة 2008م، القاهرة مصر.
79. فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ت نصر الدحاجي مفتي اوغلي، دار صادر، ط1، سنة 2004م، بيروت، لبنان.
80. فيصل العفيف، اضطرابات النطق واللغة، مكتبة الكتاب العربي، دط، دت.
81. قحطان أحمد الظاهر، اضطرابات اللغة والكلام، در وائل، ط1، سنة 2010م، عمان الأردن .
82. الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريني، الكليات، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط2، سنة 1998م، فصل النون، بيروت لبنان .
83. كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم و الجديد، دار غريب، ط1، سنة 2005م، القاهرة.
84. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، عالم لكتب، دط، دت، بيروت.
85. محفوظ أبو محفوظ، المهارات اللغوية، دار التدمرية، ط1، سنة 2017م، الرياض م ع السعودية.
86. محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الحديث، ط ج، باب الكاف، سنة 2003م، القاهرة .
87. محمد الاوراغي، اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، دار الكلام، دط، دت.

88. محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، سنة 1998م، الجزائر .
89. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الحديث، سنة 2003م، القاهرة .
90. محمد حسين عبد العزيز، سوسيور رائد علم اللغة الحديث، دار الفكر العربي، دط، دت، مصر .
91. محمد حولة، حبسة الطفل المكتسبة، دار الكتب العلمية، ط1، سنة 2007م، بيروت لبنان.
92. محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط9، سنة 2009م، بيروت.
93. محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة، دط، سنة 2001م، القاهرة مصر.
94. محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، سنة 2004م، بيروت لبنان.
95. محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب و منهج البحث في الأدب و اللغة، دار النهضة، دط، سنة 1996م، القاهرة مصر.
96. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، دط، دت، بيروت لبنان.
97. مروة عادل السيد، استراتيجيات اضطرابات النطق والكلام التشخيص والعلاج، المكتبة العصرية، ط1، سنة 2012م، المنصورة.
98. مصطفى فهمي، أمراض الكلام، دار مصر للطباعة، ط5، دت، الفجالة مصر .
99. المعلم بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، دط، سنة 1987م.
100. موريس شربل، التطور المعرفي عند بياجييه، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط1، سنة 1986 م.
101. موسى محمد عمايرة وياسر سعيد الناظور، مقدمة في اضطرابات التواصل، دار الفكر ناشرون، ط2، سنة 2014م، عمان الأردن.

102. ميشال زكريا، اللسنية التوليدية و التحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية، ط2، سنة1986م، لبنان.

103. هالة إبراهيم الجرواني، رحاب محمود صديق، اضطرابات الناتأة رؤية تشخيصية علاجية، دار المعرفة الجامعية، دط، سنة 2013م، الإسكندرية مصر.

❖ المراجع المترجمة

104. جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة ، جامعة الملك سعود، دط، دت.

105. جوليا بوردن كاثرين هاريس، أساسيات علم الكلام، ترجمة محي الدين حميدي، دار الشرق العربي، دط، دت، بيروت لبنان .

106. جون بياجيه، الاستومولوجيا التكوينية، تح السيد نفاذي، راجعه وقدم له محمد على أبو ريان، دار الكوين، دط، سنة2004م، دمشق سوريا.

107. جون ليونز، اللغة وعلم اللغة، ترجمة وتعليق مصطفى الطوني، دار النهضة العربية، ج1، ط1، سنة 1987م، القاهرة .

108. ديديه بورو، اضطرابات اللغة، منشورات عويدات، ط1، سنة 1997م، بيروت لبنان.

❖ المراجع الأجنبية

109. Dominique Maigneau pour abordes la linguistique p8-9

110. *Nasri Ouahiba ,la variation incrémentielle :crière d'analyse de la cohésion chez l'aphasique analyse sémiologico-Grammaticale(la revenue al-lisanyyat,centre de recherche scientifique et technique pour le*

*développement de la langue arabe ,alger :Numéro
10,2005,p.25-42)*

❖ الدوريات

111. ابراهيمي بوداود، حوسبة اللغة العربية في ضوء المتحدّد المعلوماتي، مقال بجسور المعرفة، المجلد 5، العدد 1، سنة 2019م، الجزائر.
112. آمنة شنتوف، أثر الإبدال في تيسير اللغة العربية، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد 4، العدد 3، سنة 2021م، الجزائر.
113. بن زينة صافية، دريم نور الدين، أثر النصوص في الممارسة التعليمية التّعليمية ودورها في تنمية المهارات اللغوية كتاب لغتي الخالدة للصف الثالث المتوسط نموذجاً، ، التعليمية، المجلد 11، العدد 1، سنة 2021 م.
114. رشا عبد الله العلي، دراسة مسببات التأتأة عند الأطفال وتأثيراتها المستقبلية ، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات، المجلد 1، العدد 2، سنة 2020م، الأردن .
115. الزايدي بودرامة، النظرية الخليلية، أسسها وحدودها المائزة، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 13، العدد 2، جامعة محمد لمين دباغين ، سطيف 2، الجزائر.
116. سميرة نورين، اضطرابات اللغة الناتجة عن الإصابات الدماغية الحبسة أتمودجا، مجلة دراسات لسانية، العدد 5، جامعة الجزائر.
117. شادلي عمار، بن يمينه بن يمينه، المهارات اللّغوية الأساسية وأهميتها في بناء الكفاءات القاعدية لمتعلمي مرحلة التعليم الابتدائي وفق المناهج الجديدة، جسور المعرفة، المجلد 8، العدد 2، جوان 2022 م.
118. عائشة محمد عثمان، ياسمين سعد الموسى، دور الجاحظ في الدرس الصوتي العربي، دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 43، العدد 2، سنة 2016.
119. عبد الله عنبر، نظرية التوليد والتحويل بين القدرة الكامنة والأداء اللغوي، ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 36، العدد 2، سنة 2009.

120. **علي القاسمي**، الطفل واكتساب اللغة بين النظرية والتطبيق، الممارسات اللغوية، العدد 4، سنة 2011م، تيزي وزو الجزائر .
121. **محمد بن مبخوث قرفة زينة**، منهج التقليلات الصوتية في الصناعة المعجمية العربية ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد 9، العدد 5، سنة 2020، الجزائر
122. **نصيرة شوال**، دور النظرية الخليلية الحديثة في تفسير بعض اضطرابات اللغة و التواصل، مجلة دراسات لسانية، المجلد 3، العدد 1، سنة 2019م.

❖ المخطوطات

123. **ابراهيمى بوداود**، القياسات الحاسوبية للكليات الصوتية في التراث، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف مكى درار، جامعة وهران، سنة 2006م-2007م.
124. **ابراهيمى بوداود**، فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامى وقياسات المحدثين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف مكى درار، جامعة وهران 2011م-2012م.
125. **أجد محمد عربي**، تأخر نمو اللغة الشفهية عند الطفل مقارنة لسانية عيادية في ضوء مفاهيم النظرية الخليلية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في الارطوفونيا 2017م، جامعة الجزائر 2 .
126. **حاج عبو شرفاوي**، علاقة البنية المعرفية الافتراضية بالبنية المعرفية الملاحظة دراسة تحليلية في ضوء نظرية بياجيه، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في علم النفس العام، جامعة وهران، سنة 2012م، الجزائر.
127. **سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي**، إبدال الحروف في اللهجات العربية ، مكتبة الغرباء الأثرية، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، ط1، سنة 1995م، المملكة العربية السعودية.
128. **سمية الجيلالي**، أمراض الكلام و العادات النطقية في لسان سكان الغرب الجزائري، شهادة الدكتوراه في اللسانيات والتواصل اللغوي، سنة 2016م-2017م ، جامعة الجيلالي يابس، بلعباس، الجزائر .

129. لايماء بن موسى، اضطرابات الصوت في الوسط العيادي الجزائري، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه في الأرتوفونيا، سنة 2013م، الجزائر.
130. منى حسين جميل محمد، الخطاب اللغوي لدى مرضى الحبسات الكلامية، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، سنة 2008م، الجامعة الأردنية.
131. نسيمه ناي، مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، سنة 2011م، الجزائر
132. نور مروش، عيوب النطق عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، 2012م-2013م، جامعة قسنطينة.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وعران

أ-د

مقدمة

30-9

مدخل

الفصل الأول:

النظريّة الخليليّة الحديثة- من المقرب المفاهيمي إلى الأفق الإجرائي -

- 32 توطئة
- 33 مسالك التأصيل للنظريّة الخليليّة :
- 33 جهود الخليل ابن أحمد الفراهيدي:
- 37 جهود سيبويه :
- 41 جهود الجاحظ:
- 44 جهود الجاحظ في التأسيس للدرس الارطفوني
- 46 النظريّات اللسانيّة العربيّة :
- 46 تشكّل النظريّة اللسانيّة العربيّة :
- 47 النظريّة الشموليّة للسكاكي :
- 49 النظريّة النظميّة عبد القاهر الجرجاني 471هـ:
- 52 النظريّة الاجتماعيّة الارتقائيّة
- 53 النظريات اللسانيّة الحديثة :
- 54 النظريّة البنيويّة:
- 57 النظريّة الوظيفية :
- 59 النظريّة التوليديّة والتحويليّة عند تشومسكي:
- 62 النظريّة الخليليّة :
- 64 المبادئ النظريّة للمدرسة الخليليّة الحديثة:
- 65 الاستقامة وما إليها:
- 66 الانفراد وحدّ اللفظة :
- 68 العامل :

71	المثال :
72	منهج تحديد مُثل الكلم في النحو العربي الخليلي
73	الأصل والفرع :
77	القياس :
79	الموضع والموقع:
	الفصل الثاني:
	اكتساب اللّغة ونموها في ضوء النظريّات اللّسانية
84	توطئة
84	اللّغة الكلام الفكر التّطق:
84	الكلام لغة:
85	الكلام في الاصطلاح:
85	الفكر في الاصطلاح:
86	النطق في الاصطلاح:
87	التواصل :
88	أشكال التواصل :
88	Verbal Communicationالتواصل اللفظي :
88	No Verbal Communication:التواصل غير اللفظي
89	نشأة اللّغة عند الطّفل :
89	النّظريّة الأولى اللّغة الهام ووحّي :
90	النّظريّة الثّانيّة: اللّغة تواضع واتفاق
91	النّظريّة الثّالثة: اللّغة محاكاة للطبيعة:
91	النّظريّة الرّابعة: التنفيس عن النفس:
92	النّظريّة الخامسة: الاستعداد الفطريّ:
92	نظريات اكتساب اللّغة:
92	النّظريّة السلوكيّة :
93	نظريّة التّعلم الاجتماعيّ :
94	النّظريّة الفطريّة :
94	النّظريّة المعرفيّة :
95	العملية النطقية والأعضاء المسؤولة عن حدوثها لدى الطّفل :
96	أعضاء التّطق :

100	مراحل النطق عند الأطفال:
101	المرحلة ما قبل اللغة:
101	المناعة:
102	التقليد:
102	المرحلة اللغوية:
103	اكتساب اللغة باعتبار المراحل العمرية بحسب النظرية المعرفية لبياجيه:
103	المرحلة الحسية الحركية (من الميلاد حتى سنتين):
104	المرحلة الحدسية (ما قبل القيام بالعمليات):
104	مرحلة العمليات الحسية المباشرة (7 إلى 11):
105	مرحلة العمليات الصورية (11 إلى 15 سنة):
106	الذكاء الحسي الحركي:
106	المرحلة الأولى عند الطفل التمرين الانعكاسي:
106	المرحلة الثانية: أول أنواع التكيف المكتسبة وردة الفعل الدائرية:
106	المرحلة الثالثة: أنواع التكيف الحسية الحركية الهادفة
107	المرحلة الرابعة: تنسيق الصور الثانوية وتطبيقها على المواقف الجديدة
107	المرحلة الخامسة: الحركة الدائرية من الرتبة الثالثة واكتشاف الوسائل الجديدة بالتجريب الحي
107	المرحلة السادسة:
108	المهارات اللغوية ودورها في تشكل القدرة التواصلية لدى الطفل
108	مهارة الاستماع:
110	مهارة القراءة:
111	مهارة الكتابة:
112	مهارة التحدث:
113	الأعضاء المسؤولة عن العملية التواصلية:
114	الجهاز العصبي:
114	الدماغ:
116	المناطق الاستقبالية للغة:
116	المناطق التعبيرية للغة:
117	الذاكرة:
117	مرحلة الاكتساب:

117	مرحلة الاحتفاظ والتخزين :
118	مرحلة الاسترجاع أو الاستعادة :
118	الجهاز السَّمعيّ :
120	أهمية السَّمع في العمليّة التواصليّة :
121	أهميّة اللّغة وعلاقتها بالتواصل :
	الفصل الثالث:
	إجرائية معالجة الكلام في ضوء تصورات النظريّة الخليليّة
126	توطئة
127	اضطرابات الكلام:
127	تصنيف اضطرابات اللّغة والكلام :
128	أعراض عضويّة :
128	أعراض وظيفيّة :
128	الفرق بين اضطرابات النّطق واللّغة :
129	أنواع اضطرابات الكلام:
129	اضطرابات الصّوت
130	اضطرابات النّطق :
131	تقييم اضطرابات النّطق:
131	المسح المبدئي لعمليّة النّطق :
132	تقييم النطق:
132	اختبار السَّمع :
132	فحص أجزاء جهاز النّطق:
132	مقياس النّطق :
132	اختبار القابلية والاستثارة :
133	تأخر الكلام عند الأطفال :
133	مظاهر تأخر الكلام:
134	انتشار اضطرابات النّطق والكلام:
135	اضطرابات الطلاقة :
135	التلعثم:
137	التأتأة:stuttering
141	اللّجاجة :
152	علاج اضطرابات الصّوت :

- 145 علاج التلعثم :
- 146 علاج الثأأة:
- 147 علاج اضطرابات النطق :
- 147 تجليات موضوع معالجة لاضطرابات الكلام في الدرس اللغوي القديم
- 148 الجاحظ (159-255هـ):
- 149 ابن سيده ت 458:
- 150 ابن سيناء (370هـ-1036م):
- 150 تجليات موضوع معالجة لاضطرابات الكلام في الدرس اللساني الحديث
- 151 الآليات الإجرائية اللسانية لمعالجة أمراض الكلام
- 153 مقترحات النظرية البنائية عند رومان جاكسون: (1896-1982):
- 154 اضطراب التماثل :
- 155 اضطراب المجاورة :
- 155 مقترحات النظرية المعرفية عند بياجيه:
- 157 مقترحات النظرية التوليدية التحويلية عند تشومسكي:
- 158 الحبسة الكلامية عند تشومسكي:
- 159 أمراض الكلام في ضوء تصورات النظرية الخيلية :
- 159 لغة الطفل في ضوء النظرية الخيلية :
- 160 النمو اللغوي عند الطفل في ظل المعطيات الخيلية :
- 161 التصورات العلاجية لأمراض الكلام في ضوء النظرية الخيلية – التأهيل اللساني-
- 161 صعوبة والعسر والحصر
- 161 الخطل
- 163 الاضطرابات الصرفية والنحوية في اللغة العربية وفق النظرية الخيلية :
- 163 الإبدال:
- 165 القلب المكاني :
- 167 الحذف :
- 168 التقديم والتأخير :
- 169 الاضطرابات التواصلية /أمراض الحبسة:
- 170 الحبسة لغة :
- 170 الحبسة اصطلاحا:
- 171 التصنيف العصبي للحبسة عند عبد الرحمن حاج صالح:

172	الأفازيا الحركية :
172	الأفازيا الحسية :
172	أ/العمى اللفظي ALEXIA:
173	ب/ أفازيا مضادات الألفاظ أو ترديدها ECHOLALIA:
173	أفازيا نسيانية :
174	Conduction Aphasia : الأفازيا الايصالية :
174	الأفازيا الكلية :
174	اضطرابات صوتية: Phonological Disorder:
174	الاستبدال :
175	الإقحام والإضافة :
175	الحذف أو الاسقاط
175	التشويه أو التحريف
175	حبسة بروكا في النظرية الخليلية – الأصل والفرع
176	حبسة فرنيك في النظرية الخليلية الموضع والموقع
179	خاتمة
183	قائمة المراجع والمصادر
196	فهرس الموضوعات

يعتد التّواصل اللّغوي ظاهرة اجتماعية لازمت الإنسان منذ بدء تواجده فوق البسيطة، وتولّد مقتضى التعبير عن الحاجة لديه، وبروز الضّرورة الملّحة لنقل ما يكتنفه عقله من فكر وتدبير، بغرض ترجمته إلى سلوك معيشي، ضمن علاقة منطقيّة قائمة بين مرسل ومستقبل عبر سياق مشترك؛ حيث تتمثل اللّغة بوصفها أداة ووسيطا ناقلا للمحمولات الدّلالية التي تؤدي وظيفة التبليغ والتعبير.

وبغض النظر عن هذا الوسيط، فإنّه لا يعدو أن يكون إلّا بناء من الوحدات والعناصر والعلائق التّوافقية المسؤولة عن تحقيق التّواصل بين أفراد المجتمع، عبر خطية المعيار اللّساني الذي يؤديه الجهاز التّحوي، وعبر سلسلة الاختيارات الأدائية التي ترهّن إلى فردية الأداء على غرار ما يؤديه الفعل الكلامي في الخطاب المنطوق.

ووفق هذا المعطى، فإنّه من البديهي أن تكون أشكال الاضطراب بدلالة اللّغة المستعملة وطبيعتها سواء كانت مكتوبة أم منطوقة، يرتد إلى عوامل عدّة، قد تكون فيزيولوجية أو نفسية أو اجتماعية أو سلوكية مكتسبة عند المرسل أو المستقبل تؤثر على هيئة الرّسالة التّواصلية.

ولئن كان مردّ الاضطرابات التي تعيق تحقيق العمليّة التّواصلية، يعود في أغلبه إلى علل فيزيولوجية تلحق بقطبي العمليّة التّواصلية (مرسل/مرسل إليه) يؤدي ذلك إلى تشوّهات أدائية في الكلام وصعوبات أكوستيكية في استقباله؛ حيث كان الاهتمام بالجانب العضوي المسؤول عن إحداث عمليتي التّلفظ والسّماع، فإنّ الدّراسات الحديثة التي عُنت بحقل التّواصل أثبتت أنّ الاشتغال على اضطرابات الكلام قد ترتد إلى أسباب و معارف وعلوم أخرى، تتقدمها الدّراسات الاجتماعية واللّغوية اللّسانية.

إنّ الوثبة التي حققتها المدرسة البنيوية بخاصة في حقل الفونولوجيا، حيث انفتحت إلى دراسة الخصائص الفيزيائية للصّوت اللّغوي أو الفونيم؛ حيث أدركت الميزات الخلاقية للفونيمات في كافّة الأنظمة اللّسانية، لم تكن اعتبارية، فهي أسباب مباشرة في إحداث التشكل البنيوي للّفظة، كما تسهم تلك الفروقات في أداء الوظيفة التعبيرية للفونيم التي تعتد بهيئة الصّورة السّمعية وتشكل الصّورة الذهنية.

وعلى الرغم من التّحول الذي أحدثته المدرسة الفونولوجيّة في تعضيد البّحث الأرتوفاونيّ الذي عُني بسؤال اضطراب الكلام، فإنّ المتمحّص في ثنايا المدوّنة اللّغويّة العربيّة يقف على إسهامات قويّة لعلماء البلاغة والخطابة الذين التفتوا إلى ظاهرة العلل الكلاميّة، يتقدّمهم "الجاحظ 155 هـ - 255 هـ" الذي جعل للكلام مراتبا وأنواعا يتصدّره الحسن والمليح وينتهي به إلى الهذر والهجر، وعلى ذات المنوال سار بعض من اللّغويين المحدثين العرب الذين أولوا اهتماما لإشكاليّة اضطراب الكلام في بعده اللّساني اللّغوي، يتصدرهم "عبد الرحمن حاج صالح 1927 م - 1917 م"، بخاصة في أعماله التي عُنيت بالمقاربات التراثيّة الحداثيّة لعلوم اللّسان التي جمعها في نظريته الموسومة بالنظرية الخليلية ومن هذا المنطلق جاء عنوان بحثنا موسوماً بـ:

"الآليات الإجرائيّة لمعالجة أمراض الكلام في ضوء النظرية الخليلية"

فالعنوان بما يحمله من عناصر عبر تشكّله اللّغوي، يرتّخ إلى جملة من الحقل المفاهيميّة وإلى نسيج اصطلاحية، يستدعي التّمحيص والإبانة، لترسم لنا بذلك حدود البحث، وتتكشّف لنا مواطن التقاطع والتداخل مع المصطلحات والمفاهيم التي تُبقي على الغموض وتبتعد بنا عن مسالك البحث الموضوعيّة، ومن ذلك تداخل المصطلحات والمفاهيم اللسانية.

وعبر هذا المآخذ من الاهتمام، انقاد بحثنا إلى ترصد جملة من الأطروحات التي لامست موضوع الأمراض اللّغويّة عبر عمليّة مسح للدراسات التي عُنيت بالموضوع - التراثيّة منها والحداثيّة- وذلك قصد الوقوف على ردود شافية ودقيقة بعيدة عن الحس الانطباعي الذاتي، نجملها في الآتي:

- كيف تناولت اللّسانيات العربيّة والغربيّة موضوع الاضطرابات الكلاميّة؟
- على ماذا يتوقف عمل اللّساني في معالجة الأمراض اللّغويّة؟
- ما الغاية التي ابتغتها التّظرية الخليليّة في تبنيها مسلك البحث في الحبسة الكلاميّة؟
- الفرق بين الحبسة الكلاميّة من المنظور التشريحي الفيزيولوجي و البعد اللّساني؟
- كيف تعامل الباحث اللغوي الجزائري مع المفاهيم المتعلقة بالاضطرابات الكلامية؟

ولالإجابة عن هذه التساؤلات، سعينا إلى رسم خطاطة بحثية، نعتد فيها بخطة منهجية تضبط موضوع مسالك التفصي، وفق معايير ترتحن إلى آليات المنهج الاستقرائي التحليلي الذي يهتم بوصف الظواهر اللغوية المرضية، أو الاضطرابات التي تلحق النظام اللساني. وانبت خطة البحث عبر مدخل، ضُمن جملة من المفاهيم اللغوية والاصطلاحية في نحو اللغة، والنظرية، والكلام، والمرض، وذلك بغرض ضبط الحدود المفاهيمية عبر طبيعة تمثلها في حقل الدراسة.

وقد ارتأينا أن نفرّع البحث إلى ثلاثة فصول نحسب أنّها تكفل لنا إمكانية الإحاطة بأهم النقاط التي يجب إثارتها ومدارستها؛ حيث خصّصنا الفصل الأول الذي وسمناه بالنظرية الخليلية – من المقرب المفاهيمي إلى الكشف عن أفق تشكّل النظرية والمنطلقات التي ارتكزت عليها، وفلسفة تناولها لموضوع اللغة والمناويل المعتمدة في طرحها لجملة المقاربات بين المصطلحات والمفاهيم اللغوية التراثية وتمثلها في المبحث اللساني الحديث.

أما الفصل الثاني فقد عني بموضوع اكتساب اللغة ونموها في ضوء النظريات اللسانية المختلفة، وحاولنا فيه أن نسلط الضوء على ظاهرة نشأة اللغة واكتسابها وتطورها عند الطفل، ومن ثمة سعينا إلى تقديم توصيف مفصّل لموضعيّات حدوث الكلام وكذا كفيّات تشكل عمليتي حدوث النطق والسماع وكذا البناء الذهني للكلم داخل الدماغ.

وعبر ذات المسلك من التفصي، جاء الفصل الثالث الذي وسمناه ب: إجرائية معالجة الكلام في ضوء النظرية الخليلية، ليتوجّه صوب الكشف عن ماهية ظاهرة اضطرابات الكلام وتجلياتها في الدرس اللساني العربي القديم والحديث، وقد سعينا إلى أن نركز على الأمراض الكلامية التي تلحق بالبنى الصرفية والتحوّية للغة، ومن ثمة، الكشف عن الاضطرابات التواصلية التي تسبب فيها الإخلالات التلّفظية، وكيف تناولتها النظرية الخليلية وما هي الطرائق العلاجية والحلول المقترحة لمختلف الاضطرابات اللغوية، كما انتهينا في الأخير إلى خاتمة عرضنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

وفقا للخطة البحثية، تصادف بحثنا كغيره من البحوث جملة من العقبات والعراقيل التي كانت ستغير مسار بحثنا إلى نحو آخر من الموضوعية، حيث أننا لم نتمكن من الالتحاق بمؤسسة

الصم والبكم و مزاوله حالات مرضية تعاني الحبسة الكلامية و مطاوله تطبيق المعطيات والآليات التشخيصية والعلاجية التي كان بدورها أن تمدنا بنتائج تطبيقية ترتقي ببحثنا إلى مكان آخر.

لا شك أن البحث يندرج ضمن المجالات اللسانية التي تتوخى مطاوله الرد على الإشكالات اللغوية ذات البعد التكاملي التي تستثمر في الحقائق العلمية الموضوعية والمفصلية، سعيها منها إلى فك اللبس والتوق إلى سدّ الفجوات والفراغات التي بإمكانها أن تقدّم الحلول اللغوية المناسبة، من خلال الطرائق الأدائية التي يتوخاها الباحث اللساني، بخاصة وأنا سنسلط الضوء على مضامين نظرية حديثة لم تلق العناية الكافية من البحث.

إننا لا نسعى من وراء هذا البحث أن نطاول الكمال، وإنما نتوخى الإجابة عن انشغال مهم راود علماء اللغة منذ الأمد البعيد، وذلك عبر الالتفات إلى المستجد والمستحدث الذي جاءت به نظرية عربية لعالم لساني جزائري فدّ، حاول أن يعالج الكثير من القضايا وأن يفك إشكالات لغوية مركزية برؤية علمية عارفة وواعية.

فإذا كنا قد وُفقنا في مسعانا فمن الله وإذا جانبنا الصواب والمسعى فمن أنفسنا، حسبنا أننا اجتهدنا وبذلنا قصارى ما أوتينا من مُكنة علمية وبجته لم نكن لنبلغها لولا جهود فريق التكوين في اللسانيات العربية المقارنة يتقدمهم أستاذي الدكتور "إبراهيمي بوداود" الذي لا يمكن أن أنكر أو أنسى فضله ما حييت، كما أصل بالشكر السادة الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على تجشّمهم متاعب القراءة والتصويب والتقويم، لهم مني أسمي عبارات الامتنان والشكر.

الفصل الأول:

نشأت وارتسمت معالم الدرس العربي في كنف الاهتمامات الدينية والفلسفية التي سلطت الضوء على لغة الشعر ولغة القرآن الكريم، ودفعت بجمهور النحاة واللغويين إلى التأسيس لمعيارية لغوية ثابتة تنهض على سمت نحو العرب عبر الارتهان إلى جملة المقاربات الوصفية لمدونات العرب المشفوهة والملفوظة من شعر ونثر، وعلى سمت نحو العرب من خلال تقصي أثر منطوقهم ورصد متغيراته اللهجية التي تؤدي دلالات القول وتصنع الخطاب.

جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي (100 هـ - 173 هـ):

تمثلت إسهامات الخليل بن أحمد الفراهيدي في دراسة الخصائص التركيبية والفونولوجية لبنية الكلمة العربية في معجمه الموسوم بالعين الذي حرص فيه على مطاولة الألفاظ العربية و شرحها، تحديد مخارج الحروف وصفاتها والاشتغال على مستوى المفردة و أبنيتها وأوزانها، ومن هنا، يصح لنا أن نجزم بأن "الخليل" قد أسس إلى دراسة فونيتيكية وفونولوجية محضة، وذلك في تعامله مع طبيعة الصّوت اللّغوي، وتصنيفه لمخارج الحروف وصفاتها، وبيان خصوصية التصريف العربي المحصور بين الثنائي والخماسي مع الإشارة إلى ما يحتمله الصّوت في تجاوزه مع أصوات أخرى داخل التركيب وعلاقة الصّوت بغيره ودراسة القوانين العامة التي تتحكم في علاقاته .

جهود سيبويه (148 هـ - 180 هـ):

تجلّت جهود "سيبويه" في الاشتغال الفونولوجي واللّساني بالتعبير الحديث، في مصنفه الموسوم "بالكتاب" عبر جملة الرؤى و القوانين الصّوتية والصّرفية والدلالية التي تجسدت في مواضيع لامست الجانب الوصفي والتطبيقي للدراسة الفونولوجية للحرف في مستويات عدة، وقد احتوى مصنفه على أبواب هامة عُني فيها بمخارج الحروف وصفاتها وكذا الظواهر الصّوتية التي يؤديها الصّوت في الأنساق الكلامية، في نحو ظاهرة الإدغام والإعلال والإبدال بالإضافة. ومن ثمة، علاقة الصّوت بالقرآن والقراءات، كما حُمل الكتاب بجملة من القضايا اللّغوية التي صاغها على نحو علمي، معتمدا على آراء علماء المنطق والفلاسفة وعلى مذاهب الفرق الكلامية وعلى الحقائق العلميّة لطبيعة اللّغة العربيّة، مستفيضا في علمه ومستعينا بعلم شيوخه ومن جاء قبله، نظر سيبويه في حقل علوم النحو و مدارسته لبنى اللغة العربية و طبيعة رصفها و تركيبها و التعليل لها، كما خص كتابه أبوابا أخرى تكلم فيها عن القياس والكلم والمسد والمسد إليه، الفعل الثلاثي والرباعي والمجرد والمزيد وغيرها المسائل النحوية والصرفية وكان له نصيب في البلاغة والخطابة في حديثه عن فصول الكلام ولغة الاستعمال التي تدرج على ألسن المتخاطبين.

جهود الجاحظ (159 هـ - 255 هـ):

استقر "الجاحظ" في تحديده لمفهوم البيان العربي على الجدلية التي تنهض عليها ثنائية الفهم والإفهام، وعلى علاقة التناسب بين اللفظ بالمعنى، ومن هنا، فقد كانت أكثر جهوده تصب

في إرساء مبادئ الخطابة العربيّة من حيث فصاحتها وجهارتها وبلاغتها، وذلك عبر جملة التأمّلات التي خصّها بأشكال القول وأحواله، ومن خلال تقفي أثر الظواهر البيانيّة التي تُجلبه نحو (المجاز/التشبيه/الاستعارة/الكناية).

جاء حديثه عن البيان والإبانة وإظهار الدلالة وحرص على حسن اختيار الألفاظ وجزالتها و توفّقها مع مقاماتها، كما عني بباب المعاني التي خصها بالوحدات اللغوية والغير لغوية وجعلها في خمسة أصناف "اللفظ و الإشارة العقدة الخط والنسبة"، إنّ ما ذهب إليه "الملاحظ"، يقف على حقيقة الأهمية القصوى التي أولها للعملية الإفهاميّة والتواصلية، واستبيان وسائلها وأهدافها، و ما يتكون عنها من أنساق خطائيّة تتشكل من الذات المنتجة والمستقبل للرسالة الكلاميّة التي تتغيّإ يصل المعنى وبلوغ المقاصد.

النّظريّات اللّسانيّة العربيّة والغربيّة:

تشكل النّظرية اللّسانيّة العربيّة :

- النّظرية الشّموليّة للسّكاكي (555هـ - 626هـ) :
- النّظرية النّظميّة عبد القاهر الجرجاني (400 هـ - 471 هـ):
- النّظرية الاجتماعيّة والارتقائيّة ابن خلدون (732هـ - 808هـ):
- النّظرية البنويّة:
- النّظرية الوظيفيّة:
- النّظرية التّوليديّة والتّحويليّة عند تشومسكي:

النّظرية الخليليّة :

نظية أرسى دعائمها الدكتور "عبد الرحمن حاج صالح" والتي تروم إلى تجديد وتطوير المفاهيم الخليليّة، عن طريق إعادة قراءتها من جديد بشكل علمي يستدعي التدقيق في كل الفرضيات التي تضمنت مقترحات الخليل وسيبويه وغيرهم من علماء اللّغة العربيّة والنّحو ومحاولة ربطها بنظيرتها المستحدثة حتى يصبح هذا التجديد عمادا وقاعدة لكل طرح أو نظريّة عربيّة جديدة. تكمن فناعة "عبد الرحمن حاج صالح" في الدعوة إلى التجديد، وقراءة التراث العربي الأصيل قراءة جديدة، وإحداث المقارنة بينها وبين ما توصل إليه البحث اللّساني الحديث

واستثماره في الدراسات اللغوية. وقد انبنت هذه القناعة بإدراك حاج صالح للقيمة العلمية التي أنجزها اللغويون العرب الأوائل، التي لا زالت تحتفظ ببيائها ووضوحها وقوة حجتها المبادئ النظرية للمدرسة الخليلية الحديثة:

- الاستقامة وما إليها / الانفراد وحدّ اللفظة / العامل / المثال / الأصل والفرع / القياس / الموضع والموقع.

الفصل الثاني:

نشأة اللغة عند الطفل :

- النظرية الأولى اللغة الهام ووحى
- النظرية الثانية اللغة تواضع واتفاق
- النظرية الثالثة اللغة محاكاة للطبيعة
- النظرية الرابعة: التنفيس عن النفس
- النظرية الخامسة الاستعداد الفطري

نظريات اكتساب اللغة

- النظرية السلوكية / نظرية التعلم الاجتماعي / النظرية الفطرية / النظرية المعرفية

العملية النطقية والأعضاء المسؤولة عن حدوثها لدى الطفل:

إنّ العمليّات النطقية، تحتاج إلى تدخل كافة العوامل النفسية والمكونات العضوية المسؤولة عن إنتاجها و التي تشكل نسيجاً من العلاقات الوظيفية يصعب فيها تمييز دور مكون عن الآخر؛ حيث أنّ الوظائف تنضد بعضها بعضاً وتشتغل بشكل ممكن في تداخل منسجم ومنظم، لدرجة أنّه لا يمكن حصر ولا تحديد العنصر المتدخل عبر إحدائيات ثابتة.

أعضاء النطق: الشفتان / اللسان / الأسنان / اللثة / الحنك الصلب / الحنك اللين / اللهاة / الحلق / الحنجرة / القصبة الهوائية / الرئتان / الأنف / والحنجرة الأنفية / الوتران الصوتيان.

مراحل النطق عند الأطفال:

- المرحلة ما قبل اللّغة: تمتد هذه المرحلة من الولادة إلى الشهر الثالث
- المناغاة: تمتد هذه المرحلة من الشهر الرابع وتنتهي في الشهر السابع
- التقليد: منذ الشهر السابع حتى الشهر الحادي عشر
- المرحلة اللّغوية: تمتد هذه المرحلة تدريجياً من الشهر الحادي عشر إلى عمر 5-6 سنوات

المهارات اللّغويّة ودورها في تشكّل القدرة التواصليّة لدى الطّفل:

1. **مهارة الاستماع:** إنّ مهارة الاستماع، تكمن في نجاح وتحقيق العمليّة التواصليّة ومد سبل التواصل وتبادل الآراء بين الأفراد، فهي من أهم مبادئ النجاح وفهم واستيعاب الآخرين، والتأثير فيهم وقد أدرك العرب سابقاً أهميّة الاستماع في عمليّة اكتساب الملكة اللّغوية وهذا ما دفعهم إلى إرسال أبنائهم إلى البادية لسماع اللّغة السليمة واكتساب الفصاحة.
2. **مهارة القراءة:** تعد القراءة من أهم وسائل التواصل البشري المكتسبة التي تهدف إلى تقويم الذات وإدراك المعارف وفهمها وتحقيق التفاعل وتوظيف الرسالة والانتفاع بها في الحياة اليومية.
3. **مهارة الكتابة:** مهارة إبداعية، وأداة تواصليّة ترميزيّة تركز على الممارسة الكتابيّة للّغة في إطار أسلوب منطقي واضح، يستوفي الشروط الوظيفيّة والإنتاجيّة للكتابة.
4. **مهارة التحدّث:** أداء لفظي، وأكثر الطرائق تمكيناً من إحداث عمليّة التواصل عند الإنسان، ويقف على قدرة الفرد على التحكم في قواعد الأداء الكلامي، وتوظيفها داخل الأنساق الكلاميّة المختلفة مع مراعاة تنظيم الأفكار ووضوحها.

الفصل الثالث :

اضطرابات الكلام:

مفهوم اضطرابات الصّوت: هي كل اضطراب يُعيق الصّوت ويخرجه من محيط الصّوت الطبيعي إلى صوت غير طبيعي، فالأصوات تختلف بطبيعتها من فرد إلى آخر بسبب التباينات

الحاصلة في العوامل التي تميّزها عن بعضها البعض، كما أنّ هذه الأصوات لا تستقر على حال واحد، إذ يطرأ عليها التّغير المستمر، بفعل المتغيّر في جنس الأفراد وأعمارهم و المورفولوجيا الجسديّة، وحالاتهم النفسيّة والمزاجيّة، وأيّ خلل في حدوث الأصوات الإنسانيّة بشكل طبيعي، يؤدي ذلك إلى تشكّل عيب كلاميّ أو اضطراب نطقيّ يؤثر رأساً على العمليّات التواصليّة.

تصنيف اضطرابات اللّغة والكلام:

أعراض عضويّة:

تتمثل الاضطرابات العضويّة، في عيب يحصل على مستوى الجهاز النطقيّ أو السّمعيّ كالتلف أو التشوه أو سوء التركيب في أيّ عضو من أعضاء الجهازين، أو النقص في القدرة الفطريّة العامة (الذكاء) يؤدي إلى خلل في تأديّة هذا العضو أو تلك القدرة، فيحدث نتيجة لذلك عيب في النطق أو احتباس في الكلام أو نقص في القدرة التعبيريّة .

أعراض وظيفيّة:

وهي أعراض لا يشكو فيها المصاب من أي نقص أو تشوه عضويّ في الجهاز الكلامي أو السّمعي، وكل ما هنالك أنّ قدرة الفرد على التعبير متأثرة بعوامل غير عضويّة تسبب له اضطرابات، على المستوى النطقي والإدراكي .

الفرق بين اضطرابات النطق واللّغة: تختلف اضطرابات النطق عن اضطرابات اللّغة، باختلاف

أسبابها، وطرق علاجها ويتكشّف ذلك من خلال الحالات المرضيّة التي يتم متابعتها من قبل الأخصائيّين اللّغويين، فمنها ما يعود تشخيص أسبابها إلى إعاقة على مستوى نطق الألفاظ، أو على مستوى اللّغة.

أنواع اضطرابات الكلام:

اضطرابات الصّوت: اضطرابات تقع على مستوى الصوت كالبحة والارتعاش الصوتي الخمخمة.

اضطرابات النطق: يقصد بها الاضطرابات التي تصيب عملية النطق وتشكيل الأصوات بحيث لا يستطيع الطفل التلفظ بمجموعة من الأصوات والكلمات ويتميز كلامه بجملة من الاضطرابات من بينها اضطرابات إبدالية، تحريفية، اضطرابات الحذف والإضافة .

مظاهر اضطرابات النطق:

- الإبدال **Substitution**: ويحدث عندما يستبدل الفونيم المستهدف بفونيم آخر غير مناسب.
- التشويه **Distortion** : إنتاج الصّوت بطريقة غير معيارية أو غير مألوفة على الرغم من أنّ الإنتاج يدرك على أنّه فونيم مناسب، حيث أنّ الخطأ في إنتاج الصّوت يجعل صوت الفونيم مختلفا لكن الاختلاف لا يؤدي إلى تغيير الإنتاج الصّوتي إلى فونيم آخر.
- الحذف **Omission** : وهو حذف الصّوت في كلمة .
- الإضافة **Addition** : يضاف صوت إلى الكلمة المستخدمة لغير معناها

تجليات موضوع معالجة لاضطرابات الكلام في الدّرس اللّساني الحديث:

عرض الدّرس اللّساني العربي والغربي الحديثين إلى سؤال معالجة أمراض الكلام، من خلال التّوجهات والبحوث التي خاض فيها علماء اللّسان بخاصة بعد التحول الإجرائي والمنهجّي الذي عرفته الدّراسة اللّسانية في بدايات القرن العشرين، وتبدى ذلك بداية من المقارنات التي أحاطت بعملية التّلفظ عند الطّفل السليم في اكتسابه اللّغة عبر مراحل النمو، مركّزين على الجانب الوظيفي للفونيمات **Les phonemes** ضمن المنظومة التّلفظية

وقد تفردت الدّراسة اللّسانية التي عُنت بمسألة اضطرابات الكلام بنظرة مخالفة لما عرضت إليه اللّسانيّات التّشريحية والعصبية، فاللّغة عند البنويين والوظيفيين، عبارة عن بناء يتركب من أصوات وكلمات وجمل يكتسبها الطّفل السوي عبر مراحل متدرجة من تنشأته، وإذا ما تعرض هذا الطّفل إلى خلل على مستوى اللّغة فإنّه يفقد القدرة على التحكم في هذه المستويات بسبب إخلال في توظيف هذه الفونيمات، وهذا ما سنحاول أن نتداركه من خلال الوقوف على الإرهاصات الأولى لهذا المبحث

عند كل من رومان جاكسون وتشومسكي، لننعطف بعدها إلى ما قدمه عبد الرحمن حاج صالح في نظريته الخليلية من مقترحات .

الآليات الإجرائية اللسانية لمعالجة أمراض الكلام:

يتجلى عمل اللساني في مبحث علاج الكلام، من خلال متابعته لجملة الإخلالات الأدائية واللغوية، التي تترد إلى الاهتمام بالناحية التلقينية أو التفسيرية للغة من حيث الرسالة التواصلية. ومن ثمة، العمليات المنطقية في الدماغ، بغرض تدارك التأخير الحاصل في عملية اكتساب اللغة باعتبارها منظومة فكرية، ومن هذا المنطلق، يتشكل عمل اللساني في استيعابه للمعوقات اللسانية الحاصلة على مستوى الأداء الكلامي أو عمليتي الفهم والإفهام، بعيدا عن المعالجة الإكلينيكية والمعالجة النفسية التي لم تثبت جداتها في أغلب الحالات المرضية، والتي تحتاج إلى تكثيف لساني لغوي في متابعة العمليات المنطقية التي تصنع اللغة، فقد تكون الحالة سليمة فيزيولوجيا ولا تعاني أي اضطراب على مستوى المناطق التي تم تحديدها من قبل علماء الطب والتشريح للغة والكلام وإنما يعود ذلك إلى خلل وظيفي يتحدد فيما يأتي:

- عدم التلقين الجيد للطفل أثناء نموه أو أثناء التطور المرحلي اللغوي وعدم اكتمال اللبنة المنطقية لديه.
- الضعف الإدراكي للحالة مع ضعف القدرة الاستيعابية التي تختلف من شخص لآخر وما ينتج عنها من تأخر لغوي.
- فقدان القدرة على التعامل مع العلامة اللسانية (الصورة السمعية).
- فقدان القدرة على التحكم والانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية.
- عدم الوعي الكافي للأصوات اللغوية صوتا ومخرجا ووظيفة.
- خلل على مستوى التركيب والاختيار (التفكيك وإعادة البناء).

وفقا للمعطيات السالفة الذكر، يتحدد المسار اللساني والمتمثل في البحث عن العلاج الذي يتوافق مع الحالة المرضية المتمثلة أمامه بعد عملية التشخيص والمتابعة اليومية، ومن أهم الآليات التي يلجأ إليها في مساره العلاجي يمكن أن نشير إلى بعضها والمتمثلة في :

- إعادة اكتساب اللغة من خلال ترويض الملكة اللغوية وتنمية التعلم الذاتي لدى الحالة .
- يُعد التعليم الذي يركز على كفاءة الطفل من أهم الوسائل العلاجية التي يركز عليها اللساني، وفي هذه الحالة يصبح المتعلم هو السلطة المطلقة في العملية التعليمية من خلال توظيف جميع قدراته المعرفية والمنهجية في عملية الاكتساب بدل العمليات التلقينية أو تقنية الشحن المعرفي المعتاد عليها سابقا.
- إعادة تأهيل الطفل وتمينه على الأصوات والحروف صوتا ومخرجا ليتمكن من التمييز بين الأصوات والتحكم في جهازه النطقي.
- استعمال الوسائل التقنية والاستراتيجيات المناسبة في هذه الممارسة .

أهم النتائج المتحصل عليها:

- اللغة كيان اجتماعي وعرفي، تستحضر وجودها ضمن جملة الوظائف الأدائية و الاستعمالية، عبر فعل التلفظ، كما تشكل كيانها عبر طرائق التواصل التي ترتكز إلى النظام اللساني عبر مستوياته الأربع.
- لأن كانت اللغة تشكل من العلامات والرموز، فإن الكلام تجسيد لها بوصفه واقع وحدث كلامي وجب علينا العناية به من حيث هو استعمال وتوظيف للنظام اللساني، وعملية ذهنية عضوية تتحقق وفق علائق منطقية عقلية وفيزيولوجية لا يمكن الفصل بينها.
- اللغة تشكل فطري مكتسب، وفي الوقت ذاته، يولد الإنسان مزودا بيولوجيا باليات فطرية غريزية تسمح له باكتساب اللغة في حدود المحاكاة والممارسة الفردية في ظل المعطيات العقلية والتجربة الاجتماعية والثقافية والعرفية.
- ترتكز عملية النمو اللغوي وفق النظرية الخليلية الحديثة إلى ظاهري المحاكاة والبناء الذهني النشط.
- تتطور لغة الفرد بتطور نموه الذهني والجسدي، وارتقاء قدرته على التحكم في المدخلات وإعادة استعدادها واستعمالها وقت الحاجة .
- اهتمام التراث العربي بالأمراض اللغوية قديما تحقق بفضل فطنتهم ووعيهم العلمي حتى في ظل غياب الإمكانيات التكنولوجية والمخبرية الداعمة.

- ما أفضت إليه الدراسة اللغوية العربية القديمة، من رؤى وتصورات، حول مسألة النطق وعيوبه، تتميز بالعلمية والموضوعية والدقة، فبالرغم من انعدام الوسائل والعدة، واعتماد جمهور اللغويين على دقة الوصف والملاحظة، فإن ما قدمه الخليل بن أحمد والجاحظ من بعده يُعد مادة تأسيسية دون أدنى شك. وتستدعي الاهتمام المتمحض وتبسيط الضوء عليها.
- يتحدّد الفرق بين الاضطرابات اللغوية والنطقية في اختلاف الأسباب والمسببات وطرق العلاج، ويتم إثبات الفصل بينهما عبر ، عمليتي التشخيص والعلاج .
- اضطراب الصّوت خلل يحصل على مستوى الأداء الصّوتي يجعل الصّوت يخرج عن طبيعته إلى طبيعة أخرى بسبب تغيّرات تلامس طبقة الصّوت وشدّته وعلّوه يعود هذا الخلل إلى مشكلات عضوية نفسية وسلوكية.
- اضطراب الطلاقة خلل يحدث على مستوى سلامة الأداء الكلامي وفصاحته، حيث يتخلل الكلام جملة من العيوب أهمها: التكرار والإطالة والوقفات الفجائية بسبب عوامل فيزيولوجية نفسية اجتماعية.
- اضطرابات النطق اضطراب يلحق بعملية النطق وتشكيل الأصوات والكلمات يجعل الكلام غير واضح لإبدال الحروف وتشويهها وحذف بعضها.
- الحبسة الكلامية خلل يحدث على مستوى المناطق المسؤولة عن حدوث اللغة حددها علماء الأعصاب في اضطرابات تمس الجانب الحركي (منطقة بروكا) واضطرابات تمس الجانب اللفهامي (منطقة فيرنیکا).
- يتّسم الأداء اللغوي لدى مرضى الحبسة الكلامية باضطرابات صوتية تجلّيتها ظواهر فونولوجية وظيفية في نحو الإبدال، الحذف والإطالة والقلب المكاني والتشويه، والتقديم والتأخير.
- توجّب علينا أن نسلّط الضوء على العلاقة الوطيدة بين الأمراض الكلامية والبحوث اللغوية، ولا نجد أكثر من ذلك فيما تناولته الدراسات اللسانية البنوية والوظيفية.
- نضج البحوث المتعلقة بأمراض الكلام في كنف الدراسات اللسانية مع أعمال جاكبسون في طور التأسيس للنظرية التواصلية .

- ينبري عمل اللساني في المراحل العلاجية للاضطرابات اللغوية إلى تدارك الاضطرابات الحاصلة على مستوى مراحل التلقين و الاكتساب والأداء.
- يركز الاشتغال اللساني في عملية معالجة الكلام، على استيعاب جملة المعوقات التي يمكن أن تكون سببا مباشرا في إعاقة الأداء الكلامي و خرق عمليتي الفهم والافهام.
- اللساني كفيل بمعالجة الاضطرابات اللغوية، من خلال تسليط الضوء عل طبيعة التشكلات الوظيفية والفونولوجية للبناء اللغوي، ومدى حضوره التواصلي.
- تنهض النظرية الخليلية الحديثة على إحداث المقاربة الإجرائية و المنهجية بين المبحث اللغوي التراثي عند الخليل وسيبويه والجاحظ وابن جني، وبين ما أفضى إليه الرافد اللساني الغربي الحديث.
- تأسست المبادئ الخليلية على نمطية منطقية، جمعت بين وحدات تجريدية وصورية تعمل على ضبط نظامية العناصر اللغوية و تحديد مواضعها وتحديدها داخل الأنساق الكلامية.
- النظرية الخليلية أبرزت مواطن التأسيس لمباحث اضطرابات الكلام في الدرس التراثي العربي، انطلاقا من المقاربات التي شملت مقولات الخليل ابن أحمد وسيبويه في نحو الأصل والفرع، التفريع والتحويل، المقام، الموضع والموقع.

ينبرى موضوع الدراسة إلى طرح مقارنة لسانية، تعندبالآليات الإجرائية لمعالجة أمراض الكلام وفق المنطلقات اللسانية عموماً، ووفق النظرية الخليلية الحديثة بخاصة، وفي الآن ذاته نسعى إلى تبيان أوجه التقاطع والتكامل بين مبحثي الأرتوفونيا باعتبارها مبحثاً علاجياً نفسياً، والفونولوجيا باعتبارها مبحثاً لغوياً، يعنى بالعمليات الذهنية للوحدات الصوتية-الفونيم-

وفي ذات الصدد، يسعى هذا المنجز العلمي إلتأصيل للدرس اللساني العربي القديم، من خلال الكشف عن الجهود التي عرض إليها جمهور اللغويين القدامى في نحو الخليل والجاحظ، وذلك عبر المقاربة التراثية التي عرض إليها عبد الرحمن حاج صالح ضمن نظريته الحديثة، من خلال تبيانه للحدود المفاهيمية لجملة من المقولات القديمة على غرارالموقع والموضع، الأصل والفرع، اللفظة والكلمة.....

ومن هنا، فقد اشتغل البحث المقدم على تقصي ماهية المرض الكلام وتصنيفاته وطرق علاجه، مركزاً على الأمراض والعيوب الكلامية التي يشترك فيها الأرتفوني واللساني في تشكف أسبابها وتقديم المقترحات الكفيلة بعلاجها على غرارللحبة الكلامية، والإبدال، والقلب المكاني، والتقديم والتأخير.

Résumé

Le sujet d'étude vise à proposer une approche linguistique, qui s'intéresse au mécanismes procéduraux de traitement des maladies de la parole selon les prémisses linguistiques en général, et selon la théorie moderne de Khalili en particulier. En même temps, nous cherchons à montrer les aspects d'intersection et de complémentarité entre les deux études de l'ortophonie comme sujet psychothérapeutique, et de la phonologie comme sujet linguistique concerné par les processus mentaux des unités phonémiques – le phonème –

Et suite a cela, cette réalisation scientifique vise à enraciner l'études linguistique arabe ancien, en révélant les efforts que nos ancêtres linguistes leur ont présentés en direction d'Al-Khalil et d'Al-Jahiz, à travers l'approche traditionnelle qu'Abd al-Rahman Haj Saleh a présenté dans sa théorie moderne, en clarifiant les limites La conceptualisation d'un groupe de dictons anciens tels que lieu et position, origine et branche, mot et mot.....

.Par conséquent, la recherche présentée a porté sur l'étude de la nature des maladies de la parole, ses classifications et ses méthodes de traitement, en se concentrant sur les maladies et les défauts de la parole dans lesquels l'ortophoniste et le linguiste participent à la découverte de leurs causes et à la présentation de propositions pour les traiter telles que l'aphasie, substitution, inversion spatiale, précession et retard.

Abstract

The subject of study aims to propose a linguistic approach, which is interested in the procedural mechanisms of treatment of speech diseases according to linguistic premises in general, and according to the modern theory of Khalili in particular. At the same time, we seek to show the aspects of intersection and complementarity between the two studies of artophony as a psychotherapeutics subject, and phonology as a linguistics subject concerned with the mental processes of phonemic units – the phoneme –

And following this, this scientific achievement aims to root the ancient Arabic linguistic study, revealing the efforts that our linguist ancestors presented to them in the direction of Al-Khalil and Al-Jahiz, through the traditional approach that 'Abd al-Rahman Haj Saleh presented in his modern theory, clarifying the boundaries The conceptualization of a group of ancient sayings such as place and position, origin and branch, word and word.....

.Therefore, the presented research focused on the study of the nature of speech diseases, its classifications and treatment methods, focusing on speech diseases and defects in which the artefoni and the linguist participated discovering their causes and presenting proposals to treat them such as aphasia, substitution, spatial inversion, precession and delay.